

FRIGOLI SYNDROME

منال معشي

متلازمة فريجولي

رواية

هل تؤمن بالصُّدفة؟..

لكني لا أؤمن بها..

أؤمن أن الخضر يتجول بيننا، يخرق سفينة هذا ويقتل
حبیب آخر، ويبني القلاع لآخرين!

أؤمن أنه..

لم يحرك إخوة يوسف من فلسطين لمصر الجوع فقط!
ولم يكن قذف أمواج نهر النيل الطفل موسى لقصر
فرعون حادثة فقط!؟

لا يوجد في القدر صُدفة أو خطأ.. إنها حكمة فقط..

حتى وجود هذا الكتاب بين كفيك الآن.. ليس صُدفة.

متلازمة فريجولي

الموسم الأول

الفصل الأول

اليوم 5 مايو - 8 صباحاً -

بدا التأفف على ملامحه وهو يسير بخطوات متثاقلة إلى حيث حجرة (فارس) مريضه الأول في أكبر مستشفى للطب النفسي بالعاصمة وبين كفيه استقر ملف ضخيم يشرح حالة (فارس) بأكملها منذ دخوله المستشفى في سن التاسعة وإلى هذا اليوم.. «ما مشكلة هذا المستشفى؟.. كيف يسندون حالة مرضية نادرة الحدوث لمستجد مثلي؟!.. وأيضاً دون طبيب مختص مسؤول؟!»

أوقف خطواته ورسم وجهه كل تعابير الحيرة.. بل الحمقى كيف قبلوا به موظفاً لديهم إن لم يكن هناك طبيب سيُشرف عليه ويدربه هو الآخر؟!!

أخذ نفساً عميقاً في محاولة لتمالك أعصابه الثائرة قبل أن يتذمر بصوته الأبحّ وعسلية تائهة تسقطان مجدداً على الملف:

«ألا يوجد بقائمتهم مضطرب نفسي مُقعد!.. مُسن!.. ولا بأس بالعجائز حتى.. المهم شخص بالكاد يتحرك.. سحقاً.. هذا ما كان ينقصني.. التعامل مع المراهقين المرضى نفسياً..»
زَمَ شفّتيه وتابع خطواته الضجرة نحو حجرة مريضه، كان

مظهره في أول يوم عمل له بغاية الأناقة.. بمعطفه الطبي الناصع
البياض الذي انتهى طوله فوق ركبتيه بعدة سنتيمترات.. ومن
تحت برز بنطاله الأسود المكوي بعناية..

رفع يده ليزيح خصلات شعره الكستنائية عن عينيه الغسلتين
في توتر ملحوظ وهو يقف أمام باب الحجرة المقصودة أخيراً..
«طبيب نادر.»

التفت للخلف بحقن لوصفهم له (بالطبيب) ليرى جمعاً من
المرضى وعاملي المستشفى الذين رفعوا أيديهم ملوحين له
من بعيد..

عقد حاجبيه في استغراب وأحدهم يشجعه من البعيد بنبرة
ساخرة:

«حظاً موفقاً معه.»

هذا ما كان ينقص (نادر) فقط ليرتفع منسوب غضبه لأقصاه،
فقد أصبح موطن سخرية من الأطباء والعاملين القدامى بسبب
تولية لحالة هذا الفتى ذي المرض الغريب، بينما شد أحد عاملي
التنظيف على مكنسته وهو يقترب من الحجرة هامساً بلهفة:

«لن يفوتني هذا الحدث أبداً.. فقد فوته في المرة الماضية.»

الجميع بلا استثناء كانوا يقفون فقط ليروا ما سيحدث عند
دخوله لحجرة فارس وكأنهم اعتادوا طقوس اللقاء الأول بين هذا

المريض وأطبائه المتعديدين..

.. زفر نادر بغيظ ويده تمتد لمقبض الباب ثم فتحه بهدوء ليظهر له من خلف الباب فتى في السابعة عشرة من عمره ذو شعر كثيف حالك السواد بدت الوسامة في كل جزء منه، كان يجلس جوار النافذة المغلقة بأسوار حديدية يرقب السماء الزرقاء الصافية..
«السلام عليكم ورحم..»

نطق نادر وهو يتقدم أكثر نحوه لينتبه الفتى لوجوده فالتفت إليه بعينين زرقاوين متسعيتين خوفاً، جعلتا نادر يحرك كفيه محاولاً تهدئته:

«أنا المسئول الجديد عن حالتك.. أدعى نادر.. سأتولى علاجك بدءاً من الآن..»

بتر عبارته وابتسم ساخراً من نفسه القليلة الحظ فقد وقف الفتى فجأة لينقلب المقعد من خلفه وهو ينظر نحوه بعينين مفزوعتين غشاهما الظلام وجسده يرتد للخلف ليلتصق ظهره بالحائط..

«أنا شخص آخر.. أنا نادر.. نادر.. ولست من تظنه..»

ورغم صياح نادر اليائس إلا أن الدموع غشت عيني الفتى قبل أن يفاجأ الجميع بحمله للمقعد للأعلى ثم رمى به نادر بكل قوته..

ومن خلفهما ابتسم المتجمهرون وأخذهم يهتف مستمتعاً:

«ها قد بدأ العرض».

_ ٨:٣٠ صباحاً _

«أي جنون يحدث هنا؟!»

تابع رئيس الأطباء اختراقه لصفوف المتجمهرين من أطباء وممرضين وعاملين المستشفى وهو يصرخ بتساؤله المستنكر دون أن يجد ردّاً من موظفيه الذين سدوا مدخل حجرة فارس التي علّت فيها الجلبة..

«كما قالوا عنه تماماً.. عنيف ووسيم.»

همست إحدى الممرضات بعبارتها، وعيناها تراقبان ما يحدث في الداخل، حيث علّت صرخات فارس وكفه القابضة على قلمه الرصاص تحاول إيجاد طريقها لصدر نادر الذي قيّد بكلتا يديه ذراعي فارس وراح يقاومه في استماتة صارخاً:

«اهدأ.. اهدأ.»

إلا أن نوبته كانت شديدة العنف مما سبب ضغطاً هائلاً على نادر الذي احتقن وجهه من فرط بذله لأقصى قوته كي يمنعه من أن يجرحه بطرف قلمه الرصاص الحاد، وزاد الأمر سوءاً حين انحنى فارس فجأة على ساعد نادر ليعضه بقوة..

«الوغد.. هل يظن نفسه كلباً؟!»

آهة متألّمة خرجت من بين شفّتي نادر وأنياب فارس تُغرس في ساعده أكثر وأكثر واكتنف رأسه ألم شديد إثر الشّجة التي سببها المقعد الذي ارتطم سابقاً برأسه..

ورغم ازدياد الصراع سوءاً لم يفكر أحد المتجمهرين بتجاوز عتبة الباب ليفصل بينهما فما زاد من غضب وغيظ نادر ليجد نفسه يتصرف بعنف هو الآخر، فقد اشتدت أصابع كفه بغتة لتُغرس في ساعد فارس الذي صرخ متألّماً وقلمه يسقط من بين أصابعه..

وقبل أن يرد فارس ضربه له، دفع نادر رأسه بقوة مُبعداً إياه عن ساعده ثم لوى ذراعه للخلف مما أجبره على أن يستدير نصف استدارة جعلت ظهره مقابل صدر نادر الذي ابتسم بظفر قائلاً:

« لا أظن الحائط ضمن مثيرات مرضك المزعج »..

وعلى الرغم من أن النافذة والحائط هما الوحيدان اللذان أصبحا في مدى رؤية فارس إلا أنه واصل حركته وصراخه وهو يعيد جسده للخلف ملتصقاً بصدر نادر محاولاً إسقاطه معه للخلف _ رغم قصر قامته مقارنةً بقامة نادر الفاره الطول _ مما دفع نادر ليدفعه بقوة وغلظة للأمام كي لا يسقط ولكن لم يكّد يفعل ذلك حتى صدرت شهقة عالية من بين شفّتي فارس تنم عن تألم بالغ وتراخي جسده أمام نادر الذي ارتفع حاجباه دهشة..

وأمام عينيه المتسعيتين تهاوى جسد فارس على الأرض
وغطت خصل شعره السوداء عينيه الزرقاوين اللتين تدفقت منهما
دموع غزيرة وكلتا كفيه تقبض على جانب ظهره حيث تلقى دفعة
نادر..

تراجع نادر للخلف وعيناه تُحدقان بقبضته فهو بحق لم يقصد
إيلامه إلى هذا الحد ولكن تلوي فارس على الأرض وشبهقاته
العالية تُنبئه بالعكس..

كان لا يزال بعمق صدمته حين دخل فجأة أربعة من العاملين
إلى الحجرة.. بدا من هيئتهم الضخمة وعضلاتهم البارزة من
أسفل ردائهم الطبي أنهم المختصون بمثل هذه الحالات من تمرد
المرضى، وأمام عيني نادر انحنوا نحو فارس ثم قيدوا أطرافه
الأربعة ورغم بكائه العالي وصرخاته بهم إلا أنهم جروه نحو
سريره المستقر في زاوية الحجرة ثم استخرجوا من أسفل الفراش
أغلالاً متينة، استخدموها في تقييد ذراعيه وقدميه، ورغم تعطيّلهم
لبحركته إلا أنه لم يتوقف عن نشيجه الباكي وصراخه:

« لا... يُؤ... يؤ... يؤلم. »

صوته المتقطع بدا لنادر وكأنه صوت طفل للتو تعلم النطق
أو.. فتى لم ينطق منذ سنوات عدة..

« اخرج. »

مزق شروده صوت رئيس الأطباء الغاضب الذي دخل
الحجرة وقد عكست عيناه نظرة ناقمة عليه وهو يتفحصه من
رأسه لأخمص قدميه، ورفع نادر يده ليضغط على رأسه فتلك
الضربة من المقعد ما زالت تؤلمه بينما أشارت إبهامه نحو فارس
سائلاً:

« كيف استطعتم التعامل معه كل هذه السنوات؟! »

ازداد انعقاد حاجبي رئيس الأطباء بشدة مما أشعر نادر وكأن
سؤاله كان خطأً وازداد يقيناً حين أجابه بحدة:

« أنت لست هو... هناك خطأ ما »

ثم أشار لباب الخروج آمراً:

« مدير المستشفى هو من أرسلني... إنه بانتظارك.. »

قفزت ابتسامة خبيثة لشفتي نادر فما دام سيلتقي بمدير
المستشفى فهو لن يخرج من عنده حتى يتخلص من هذا المريض
فمستجد مثله يجب أن يتم تكليفه بأبسط الحالات، وبخطوات
متحمسة غادر الحجرة شاقاً صفوف المتجمهرين لتلتقط أذناه
حديثهم المتحمس عن فارس:

« إنها المرة الأولى التي أراه فيها منذ دخوله المستشفى.. »

« مُدلل مثله كاللماس.. لن تحظى برؤيته إلا في الأحلام.. »

« أنا مستعد لتولي حالته ومحاولة علاجه عليّ أفوز بعدة

ملايين من أموال وصيته.

«وصيته؟!... أيها الأحمق الفتى نفسه ملياردير.. يكفي ما سيعطينا هو إذا تحسن.»

ملاً وجه نادر امتعاض شديد لحديثهم العديم الفائدة، فلماذا إذا لم يريحوه مسبقاً ويتولوا هم حالته العصبية!

«صبي يافع مثله يملك كل شيء من الحداثة والوسامة والمال.. أشعر بالأسف تجاهه أن يكون مثله مريضاً.»

تجعد أنف نادر تقززاً من الممرضة الصغيرة السن والجميلة التي همست بعبارتها السابقة وعيناها تتفحصان الفتى بنظرة بذئية جعلته يهمس بدوره وهو يمر بها:

«علمتُ الآن لمَ حظروا اقترابكم من حجرته.. تبّاً.. أنتم أشد خطراً من مرضه نفسه..»

احمراً وجه الممرضة حرجاً ومطبت شفيتها غضباً وهي تلتفت نحوه لتراه يبتعد بعد أن فجر كلماته كقنبلة في أذنيها..

- ٩:١٥ صباحاً -

«لا أريد علاج هذا المجنون.»

صرخ نادر بלהجة غاضبة وعيناه تحدقان بمدير المستشفى الذي تجاوز العقد الخامس من عمره والذي تنهد بتعب قبل أن

يتقدم للأمام ليتكىء بمرفقيه على مكتبه الفخم وأسند ذقنه على قبضتيه المضمومتين وعيناه تتفحصان نادر من رأسه لأخمص قدميه بشكل مستفز..

وحين لم يجد نادر لكلماته أي أثر؛ اقترب منه أكثر مشيراً لجرح جبهته المتورم ومحركاً معطفه الطبي الرث وهو يصيح:

« لقد زماني بمقعد حديدي أصاب رأسي قبل أن يقفز فوقى محاولاً إيذائي بقلمه الرصاص وحين قيدت حركته راح يصرخ ويصرخ ثم عض ذراعي ككلب متشرد لم يذق طعاماً منذ دهر.. سحقا له ولمن رباه.. إنه همجي أرعن.. »

وأطبق شفتيه عن شتيمة هي الأسوأ، بينما توجه مدير المستشفى وجسده المكتنز المحشور بالمقعد يهتز إثر محاولته النهوض سائلاً:

« ألسنت نادر عبد المجيد؟ »

هدأ غضب نادر وهو يجيب مستغرباً سؤاله:

« بلى.. أنا نادر عبد المجيد.. »

« ولكنك تعلم حالته بالكامل قبل قدومك للمستشفى!... أعني

عن مدى عنفه وغبابة مرضيه وقد قبلت.. »

« أي هراء هذا؟!.. كلا.. لم ينبهني أحد لذلك.. ولم أعلم أنه

سيكون مريضاً إلا قبل ساعتين من الآن.. بل وناشدتهم أن

أوظف للعناية بمسـن خرف.. موسـوس.. حتى لمضطرب
البوليميا إلا أنهم تجاهلوا حقيقة أني أخصائي نفسي ولست
طبيباً.»

اتسعت عينا المدير بالكامل وتحركت شفتاه مكررتين بصدمة:
(أخصائي نفسي..). وظل متجمداً لعدة ثوان قبل أن ينهض على
عجل ليسحب ملف نادر من الخزانة المجاورة له، ثانية فقط
وصاح ملء فمه تفاجؤاً:

« أنت لست طبيباً!.. »

« نعم.. هذا ما قلته سابقاً. »

رد نادر براحة وقد تأمل أخيراً تحقيق مطلبه، إلا أن جسد مدير
المستشفى الممتلئ ارتج بشدة وهو يقف في وجهه صائحاً:

« تَبّاً.. لم تكن أنت المختص بحالة هذا الفتى. »

وعلى الرغم من كلماته الغريبة إلا أن نادر لم يلتقط منها سوى
عبارته الأخيرة فقال بارتياح:

« هذا جيد.. إذا قُضي الأمر لن أتولى مسئوليته أبداً وعلى

المختص بحالته أن يُسرع بالمجيء. »

لم يفهم نادر سر نظرات المدير المتزعجة وهو يسأله مجدداً:

« كيف تم توظيفك هنا؟! »

عدل نادر من وضع معطفه المجدد وراح ينفخ الغبار عنه

مجيئاً بهدوء:

« لقد وضعتُ أوراقِي حيث قسم التوظيف وتم الاتصال بي..
هذا كل ما في الأمر. »

« الحمقى خلطوا بينك وبين الآخر. » زمجر بغضب ثم
استطرد بحزم:

« سيتم إنهاء عقدك إذا. »

صدمة قوية غطت وجه نادر بعد عبارة المدير القاسية اللامبالية
به بل التقط هاتفه على الفور مشيراً له بكفه ليخرج وهو يستطرد:

« ما حدث اليوم ستتلقى أجره كاملاً وتعويضاً عن كل ضرر. »

لم يكن هذا ما أراده نادر أبداً، أراد فقط إفراغ غضبه والتخلص
من مريضه الأول ليجدهم يسلبونه فجأة وظيفته.. اتسعت عيناه
وانقبض قلبه وراح يهتف في توتر:

« لم أكن أعلم أن الأمر سيزعجك إلى هذا الحد.. لقد كنتُ
ثائراً فحسب.. أعتذر عن.. »

أخرس كلماته المتبقية إشارة محتدة من عيني المدير حين
تناهى لسمعه صوت محدثه على الهاتف فراح يسأله في لهفة عن
سبب عدم وصول الطبيب المسؤول نادر عبد المجيد..

مظ نادر شفتيه وغشنى الضيق قلبه فهذا المدير المتعجرف لم
يفكر به إطلاقاً بل وبكل وقاحة راح يسأل عن بديله.. أدرك نادر

عندها أنه سيئ الحظ بدءاً من مريضه إلى رحيل وظيفته
المحترمة..

تذكر فرحة والديه الشديدة به بعد أن أبلغهما بحصوله على
وظيفته الأولى بالمستشفى، بل وتخليهما أمام عينيه يلتقيان بأهل
قريته ليفتخرا أمامهم أن ولدهما العديم الفائدة قد أصبح كما تمنيا
(طيباً!)..

كان ما حصل عليه مجرد عقد ولمدة عام كامل يُتيح له كسب
المال إضافة لشهادة خبرة من هذا المستشفى الشهير..

الآن أدرك كيف حصل كسول وعابث مثله على وظيفة في
أرقى وأكبر مستشفيات العاصمة!.. الأمرُ كان محض خطأ
فحسب.. فمن سيقبل بشاب مثله يُعدُّ الأدنى في دفعته من حيث
مستواه؟!..

« ستة أشهر!!.. ستة أشهر!!.. تبّاً لك.. لم يُصبه حادث
مروري إلا في هذا اليوم!.. كيف ستعامل إذاً مع المريض ما دام
طبيبه المختص لن يخرج من المستشفى إلا بعد ستة أشهر؟! »
صرخ المدير بجزع ووجهه يحترق بدماء الغضب ويبدو أن
محدثه كان قليل الحيلة مثله فما حدث كان مفاجئاً..

بصيص من الأمل لاح لنادر وهو يرى المدير يضرب بهاتفه
على المكتب في ثورة مخيفة صارخاً:

« ماذا سأقول لعمه؟! .. سحقا.. يا لها من مصيبة أوقعنا أنفسنا بها. »

عدل نادر ياقته وشد قامته ثم اقترب منه قائلاً بابتسامة:

« يمكنني تولي حالته. »

لم يصدق المدير ما سمعه فرفع عينيه المحتدتين نحوه فقد كان قبل خمس دقائق من الآن يرج جدران هذه الحجرة بصراخه الغاضب ورفع يده ليطرده فقد بدا له أن شخصاً كنادر يصعب ضبطه داخل دائرة عمله ولكن سرعان ما تبدد تفكيره هذا حين قال نادر بعزيمة صادقة:

« ولست أشعر فقط.. إلى حين عودة طبيبه المختص. »

ارتخت ملامح المدير وجلس على مقعده سائلاً بحذر:

« لماذا؟!.. ألم تكن ترفض تولي حالته قبل خمس دقائق من

الآن؟!.. كما أنك أخصائي نفسي ولست طبيباً حتى؟! »

دلك نادر خلف عنقه وابتسم بارتباك:

« ذلك كان قبل خمس دقائق.. والوضع الآن أصبح مختلفاً،

أنا أريد ورقة خبرة من هذا المستشفى الشهير.. وأنتم بحاجة إلى

مسؤول عن مريض واحد.. إنها مصالح متبادلة. »

عقد المدير حاجبيه وبدا غارقاً في تفكير عميق وعيناه تجوبان

ملامح نادر المشجعة له ليوافق، قبل أن يلتقط أوراق نادر من فوق

المكتب وراح يقرأها في تركيز شديد جعل نادر يتلع ريقه في
توتر.. فمن سيقبل في مستشفىاه بمثل مؤهلاته المتدنية للغاية!!..
بل والأسوأ هو لا يملك أي خبرة سابقة.. سيرفضه بالتأكيد..

وبعد عدة دقائق أشبه بالدهر لنادر رفع المدير رأسه وظل
صامتاً لثوانٍ يدرس الأزمة التي وقع بها ومدى أثرها على علاقته
بوصي فارس ثم.. هز رأسه أخيراً بالإيجاب لبتسم نادر ببهجة..
وفي أعماقه شعر بالصدمة ففارس من كان سبب بؤسه قبل قليل
أصبح سبب سعادته الآن..

أشار له المدير ليجلس قائلاً بحزم:

« ولكن هناك بعض الشروط عليك سماعها أولاً قبل أن
نتفق. »

أسرع نادر يجلس قائلاً بحماس: « جميعها مقبولة. »

ابتسم المدير برضاً كبير ثم راح يشرح له تلك الشروط التي
جعلت وجه نادر يمتقع بشدة إلا أنه لم يعارض ولا شرطاً واحداً
منها فهي لا تضره أبداً بل توفر له كل سبل الراحة في هذا
المستشفى الذائع الصيت..

ولكن لم يكذ يصل المدير بحديثه إلى أهمها حتى انفرجت
شففاً نادر وبدا استيعابه لما يُقال له غير متزن فكرر المدير في
تأكيد:

« احرص جيداً على أن لا يقتل الفتى نفسه. »

- ١١:٠٠ مساءً -

هبط الليل بظلامه وغرقت شوارع العاصمة تحت وقع تلك الأمطار التي استمرت لساعات عدة.. وفي شقة صغيرة بأحد مباني العاصمة القديمة ظلت قطرات المطر -المرتطمة بزجاج نافذة حجرة نادر- تُزعجه فوضع الغطاء فوق جسده بالكامل محاولاً النوم.. ومرت الدقائق تتلوها الساعات قبل أن يستوي جالساً.. ولم يستطع أن يكذب على نفسه فلم يكن المطر هو السبب الرئيس في انزعاجه بل ذلك الحظ السيئ الذي قاده ليقبل بعلاج ذلك الفتى العنيف والهمجي فارس..

كان يُدرك أن مسألة علاج مرضه النادر والغريب مفروغ منها، فهو طوال دراسته لم يسمع إشارة محفزة واحدة تُبشر بأن مثل هذا المرض قد تم علاجه بل كل ما كان يعرفه عنه أنه على مر الزمن لم يصب به في العالم سوى أشخاص لا يتجاوزون الأربعين.. وفارس هو الوحيد في عصره الآن!

بل أولئك المرضى بفترة علاجهم التجريبية لم يُعتمد أي دواء لمرضهم.. وهذا ما جعله يرفض سابقاً تولي مسئوليته فهو لا يريد أن يبدأ وظيفته الثقيلة بفشل مجنون يجر شؤماً عليه لما

تبقى من حياته..

تنهد بتعب قبل أن يضغط بأطراف أصابعه جانبي جبهته في ألم من صداع شديد زاد من حدته أن نفسه التي لم تتقبل علاج المرض الغريب لم تستبغ أيضاً صاحبه المراهق العنيف.

استسلم أخيراً لأرقه فسحب ملف فارس الضخم من فوق المنضدة وراح يطلع على ما كُتب فيه بدقة.. الفتى مُصاب بالمرض مُنذُ بلوغه سن الثامنة وإلى السابعة عشرة من عمره لتكتمل تسع سنوات من معاناته مع هذا المرض الغريب.

عمه هو وصيّهِ ومن يتولى رعايته، حين أُصيب بالمتلازمة مكث في منزل عمه لعام كامل يرافقه أطباء نفسيون متعددون قبل أن يتم نقله في التاسعة من عمره لهذا المستشفى..

لم يُسجل تحسن ولو طفيف في حالته إطلاقاً.. لا في منزل عمه ولا طوال السنوات السبع التي قضاها بالمستشفى يشرف على حالته أفضل طبيب بالعاصمة « فؤاد المسعود »..

لم يكد يصل نادر بقراءته لهذا الحد حتى انعقد حاجباه غير مصدق أن أشهر طبيب قد أشرف على علاجه، راح يقلب الأوراق في لهفة فوّققاً لما درسه يجب أن يُكتب مع اسم كل طبيب رقم هاتفه حتى يتواضل معه الطبيب المعالج من بعده للاستفسار عن أي أمر يُشكل عليه في حالة المريض..

ولكن كل محاولات بحثه عن رقمه باءت بالفشل فتنهّد بتعب ليرمي بالملف أرضاً ثم استلقى على السرير وراح يحرق بسقف الحجرة وذاكرته تحاول جاهدة استرجاع تفاصيل هذا المرض الغريب والنادر..

«متلازمة فريجولي هي من أغرب الاضطرابات التي تجعل المصاب بها يتوهم أن العالم كله هو عبارة عن شخص واحد فقط، وهذا الشخص يتنكر في هيئات وأوجه مختلفة بهدف خداعه، بل ويظن المصاب أن هذا الشخص قادر على انتحال حتى هوية الجنس الآخر، يُبادل المريض هذا الشخص المشاعر نفسها التي حملها له قبل إصابته بالمرض من كره أو حب، تلك المتلازمة تختزل عالم المريض في شخص واحد يستحوذ على تفكيره ويبالغ مخه بالتركيز عليه إلى حد إصابته بهذا الخلل والهلوسة.. ويعاني المريض من نوبات هلع و... و...»

اعتصر نادر ذاكرته محاولاً استرجاع باقي معلوماته حول هذا الاضطراب ولم يلبث أن أطلق ضحكة عابثة فهو لا يتذكر من دروسه الجامعية إلا لحظة دخوله للقاعة فقط ولولا غرابة المرض لم يكن ليتذكره أصلاً..

بل شعر بالغرابة من نفسه لمحاولته تذكر شيء لم يؤمن ولن يؤمن به في حياته يوماً ما.

لوح بكفه للخلف باستهجان قبل أن ينهض واقفاً ليتجه

لخزانة ملابسه وقد عزمت نفسه على اتباع خطتها التي رسمها لها سابقاً.. لن يُعطي نفسه لهذه الوظيفة.. سيكسب منها المال فقط وسيحمل منها اسمها فقط « طيب نفسي » ليرضي العجوزين الكبيرين بمنزله.

بل ولحسن حظه فقد أمره المدير بأن يدعي أمام الجميع أنه طيب نفسي وأن لا يفضح حقيقة نفسه بأنه ليس إلا معالجا نفسياً دون خبرة وقد وعده المدير بمنحه مئة غاه وبأعلى الامتيازات.

أخذ يُفرغ ما بالخزانة في حقيبة متوسطة فمِنذ الغد لن يكون سكنه إلا في المستشفى وبحجرة قريبة من حجرة فارس.. سيكون مسئولاً عن مراقبته فقط والتدخل في حالة محاولته إيذاء نفسه.. ليس ملزماً بدخول حجراته ولا فحصه ولا إجراء محادثته معه.. مهمة سهلة ومريحة وذات أجر عالٍ يستحيل أن يجمع مثله في عشر سنوات.

« ذلك البغيض عليه أن يبقى حياً فقط للستة الأشهر الخاصة بي. »

همس نادر بعبارته ببرود وهو يغلق الحقيبة مردفاً:
« وبعدها لن أمانع مغادرته الحياة للأبد.. فمثله ماذا يُرجى منه؟! »

الفصل الثاني

_ ٦ مايو _ ٨ صباحًا _

مساحة صغيرة شاغرة بموقف السيارات حشر فيها نادر سيارته
قسراً وشفته تطلقان سباباً ساخطاً.. أجل.. وظيفته لم ترحل...
ومستقبله المشرق بين يديه مجدداً.. إلا أن هذا كله لم يُفلح في
تهذئة عقله الرافض جر نفسه ليرافق ذاك المراهق الذي ما زالت
آثار أنيابه تحيط بمعصمه..

دفع الباب وترجل خارج السيارة ثم التف للباب الآخر وفتحه
ليحمل حقيبه التي ملأها بمستلزماته الشخصية..

وقف للحظة يتأمل ذلك البناء المكون من سبعة طوابق...
سيكون سجيناً فيه لسته أشهر.. وبطابقه السابع حيث لا أحد،
سواه هو ومريضه!..

أطلق زفيراً متأففاً وقدماه تتجاوزان باب الدخول ولم يكن
بحاجه للتعريف بنفسه فالكل دون استثناء أصبحوا يعرفونه، فقد
أصبح شهيراً بقدر شهرة فارس مريضهم لثماني سنوات، وحفل
استقباله بالأمس تكفل بمن تبقى ممن يجهله..

استشاط غضباً وهو يشعر بأن جميع الأعين لا ترى غيره
لتُحدق به..

وصل للمصعد واختار الطابق السابع وقبل أن تغلق دفتاه تذكر أن عليه أن يأخذ معطفه الطبي الذي رماه بالأمس في خزانة الطابق الأول بعد خروجه من حجرة المدير الذي أمر أحد العاملين بالتكفل بتنظيفه له من آثار العراك..

عاد بخطواته نحوه فلا بد من استعادته فليس هناك حاجة لاستخدام خزانات الطابق الأول ما دام سكنه الجديد سيكون بالطابق السابع..

وصل إلى الخزانة وفتحها ليجد معطفه قد تم تنظيفه جيداً..
(الخدمة الوحيدة التي تستحق التصفيق في هذا المستشفى!!)..
كان يعيد غطاء الخزانة حين..

« أوه.. إنه الطبيب السيئ الحظ. »

نظرة محتدة أطلت من عينيه وقبل أن يلتفت للخلف كان قد أحاط صاحب العبارة عنقه بذراعه مكملًا:

« أنت هو سيئ الحظ صحيح؟!.. الكل يتحدثون عنك وعن عراكك مع المريض.. أنت الوحيد من بين كل الأطباء من تجرأ أمام أعين الجميع على رد ضرباته إليه بل وآلمته. »

بنظرة جانبيه رأى نادر ذلك الشخص الذي تجرأ على لمس..
كان شابًا في عقده الثالث بدا من هيئته أنه مفرط المرح ولا مسئول
و.. ممل.. وهذا هو الأهم..

نظرات نادر تلك جعلت الشاب يضع كفه على رأس نادر قائلاً
بغیظ: « هل نظرت لي كعجوز الآن؟! »

دفع نادر ذراعه بحدة ثم رتب شعره وكأنه يمسح آثار لمسه
مجیباً بغلظة:

« إياك أن تضع يدك على رأسي مجدداً وكأني طفل.. وإلا فإنها
لن تعود لك سليمة. »

أطلق الشاب صغیراً مرتاعاً ثم سار خلفه متمتماً بحماس:
« كما قالوا تماماً... لا يُمزح معك.. أنت تروق لي.. اسمي
ياسر وأنا وأنت ستتشارك حجرة واحدة يكون بها مكتبنا معاً. »
تصلب نادر في صدمة غاضبة فهذا ما كان ينقصه فقط ليُختم
صباحه بالسوء، بينما تقدم ياسر في خطواته ليقابله وجهاً لوجه
وهو يشير بسبابته نحوه قائلاً:

« إلى اللقاء يا رفيقي المستجد.. بدءاً من هذه الليلة سيكون
عشاؤنا المشترك عليك. »

دفعه نادر من كتفه بخشونة مبعداً له عن طريقه وهامساً:

« ستموت مسموماً إذا. »

امتقع وجه ياسر وصاحت أعماقه: « إنه مخيف » بينما
غادر نادر سريعاً قبل أن يستفزه ياسر بكلمة أخرى فهو بحق ليس
في مزاج جيد ولا نفسية متزنة ليتحلى بفضيلة كظم الغيظ معه.

طابق مُغاير لما أسفل منه بالكُلِّيَّة .. إنه الطابق السابع حيث
حطّ نادر حقيبتَه الثقيلة أمام باب إحدى حجرها التي حددها له
المدير سابقاً .. تساءل في نفسه: (لِمَ لم يتبّه بالأمس لكل هذا
البذخ وكأنه بفندق وليس مستشفى!!) .. لا بد أن توتره من لقاء
مريضه هو السبب!!

زفرة عميقة أخرجها من صدره محمّلة بثقل ما هو مقدم عليه،
ويده تمتد لتدفع باب الحجرة الملاصقة لحجرة فارس ..

ولم يكد يكتمل انفراج الباب حتى كسا وجهه الجمود .. ليس
لفخامة ما بداخل الحجرة من مقاعد جلدية ومكاتب ضخمة ..
ولا لسبل الراحة من الأرائك الوثيرة أو الشاشة الكبيرة المعلقة
بأعلى الحائط .. بل وليس من أجل تلك المنضدة التي تراص
فوقها آلات مختلفة لصنع القهوة مع أكوابها الخزفية ولا ..
ولا .. ولا!

بل من أجل ذلك ..

ذلك الشيء الغريب الذي يفصل بينه وبين حجرة (فارس) ..

إنه غريب .. بل بغاية الغرابة!!

فبدلاً من حائط حجري مبني من الطوب، كان ما يفصله عن
حجرة فارس حائطاً مختلفاً ..

حائطاً من زجاج متين شفاف يسمح له برؤية كل ما تحويه

حجرة فارس.. بدءاً من جدرانها المطلية باللون الرمادي وأثاثها
الفخم المصمم بعناية والمنظم بدقة وانتهاءً بصاحبها الساكن
النائم الذي تبعثرت خصلات شعره فوق وسادته الرمادية لينافس
شعره الفاحم لون فراشه ولحافه في السواد..

انعقد حاجبا نادر وهو يفلت حقيته على الأرضية ثم سحب
خطواته ليقف مواجهاً لذلك الحاجز الزجاجي بل ملاصقاً له
تماماً وعيناه لا تغادران وجه ذلك النائم الذي لا يدرك أن هناك
أعيناً ولثماني سنوات كانت تُحْدق به وتتفحصه وتدرسه وتراقبه
من خلف هذا الحاجز.. بل وتقتحم خصوصيته..

تذكر نادر أنه بالأمس حين دخل حجرة فارس لم يتنبه لهذا
الزجاج الشفاف الكاشف لحجرة المراقبة هذه..
«إذاً يمكننا الرؤية من اتجاه واحد فقط كزجاج السيارات
تماماً.»

وازداد التحام حاجبيه لفكرة غير مستساغة فلا بد من أن
الاتجاه الآخر بالنسبة لفارس أسود بالكامل.. أي حائط أسود..
تذكر أن عراكه بالأمس معه لم يمنحه الوقت للتدقيق بكل
تلك الألوان القاتمة السائدة على الحجرة.. بل إن فارس لم
يمنحه الفرصة حتى ليتم بسلام ثلاث خطوات داخل مملكته
الخاصة..

الآن أدرك سر تلهف الممرضين والعاملين لرؤية هذه المملكة
بقاطنها الماسي..

ابتسامة مُستخفة علت شفتيه لتلك الخاطرة التي رماها له
عقله.. فبالتأكيد ليس هو الطبيب الصحيح ووجوده هنا محض
مصادفة.. ولا بد أن ذلك النادر ذو شهادات ومؤهلات عالية
تنافس الطبيب فؤاد المسعود ليتولى حالة هذا الفتى الثري..

عادت له طبيعته الباردة فجأة فهو هنا ليس بهدف دراسته، ولا
جعله فأر تجارب يستمتع بمراقبته من خلف قفصه الزجاجي..
ابتسامة عابثة تسلت لشفتيه فجأة.. (ماذا لو علم أساتذة جامعته
بهذا المكان؟!.. سيتسابقون حتماً وقد يدفعون هم أموالهم
ليحتلوا مكانه.. فأن يكون بشر حقيقي بدلاً من القردة هو محط
دراستهم وتجاربهم وبمرض نادر كمرض فارس!.. إنه لشيء مغرٍ
ومثير حقاً!..)

- أسف لكوني مخيباً لآمالكم.

قالها باستهزاء واضح وكأنه يعتذر لأساتذته فهو لا يسعى ولن
يسعى لما يسعون إليه..

سحب حقيبته الثقيلة والتفت باحثاً عن مكان لينام فيه فليس
من حق فارس وحده أن ينام بعد أن كان هو سبب أرقه البارحة.
لم يشعر بنفسه إلا وهو يرتمي بإهمال فوق إحدى الأرائك

الوثيرة بمعطفه الطبي وحذائه الجلدي الأسود وقد أغمض عينية
بالكامل مستسلماً لنوم عميق.

اهتزت أرنبه أنفه وتوسعت فتحاته لرائحة غريبة شاركتها
أحلامه البائسة والتي كانت كلها تدور حول رفيقه الذي لا يفصله
عنه سوى حاجز من زجاج.

تلك الرائحة كانت هي الأجل بل والألد وبالرغم عنه تملل
نادر في استلقائه وغزا وجهه الضيق فلم يكن يرغب بالاستيقاظ
ولكن..

شارك فجأة تلك الرائحة صوت كيس ما يهتز فوق رأسه
مصحوب بصوت مضغ عال جعل جسد نادر يقشعر بأكمله وهو
ينهض صائحاً بتقزز:
«تبّا»

استقبل ياسر صيحته بابتسامة كبيرة أظهرت أسنانه وبعض
قطع الدجاج المحشورة بينها وهو يواصل هز الكيس قائلاً
بصوت بالكاد يفهم:
«أخي.. رأ استيقظت..»

نظرة نارية أطلت من عينية العسليتين وكز على أسنانه في
عصبية وهو بالكاد يتمالك نفسه عن البطش بالواقف أمامه، فيما

ضحك ياسر وهو يتطلع لشعر نادر المشعث ومعطفه الذي
اختفت كوايته بالكامل لتملأه التجاعيد.. فيبدو أنه لم ينم فقط بل
كان يتقلب طوال الوقت فوق الأريكة مصارعاً عدوّاً وهميّاً قد
يكون اسمه فارس.

رفع نادر يده ليفرك وجهه بتعب من آثار النوم التي ما زالت
عالقة به بينما عاد ياسر يهز كيسه قائلاً بكرم:

« انهض واغسل وجهك.. وتعال لتشاركني قطع الدجاج
المشوية فقد مرت عشر ساعات على بقائك هنا ولا بد أنك
تتضور جوعاً وإلا لم تكن لتفلح رائحة قطع الدجاج في إيقاظك
بدلاً من صرخاتي لنصف ساعة عليك. »

- ارمها في كهفك.

بصق نادر كلماته صافعاً كرم ياسر الذي تجهم وجهه ورفع
يده ليغطي فمه المحشو وقد فهم تماماً ما يعنيه بكهفه.. فيما
وقف نادر و.. مهلاً.. (هل قال إنه مر على نومه عشر ساعات؟!)
أسرع لهاتفه ليأخذه من فوق المكتب ولم يكذري ساعة
الرقمية المشيرة للسادسة مساءً حتى اتسعت عيناه في صدمه.. هل
نام كل هذا الوقت!!؟

وبتوتر عنيف أدار بصره تجاه حجرة فارس ليجدّه لا يزال
نائماً فوق سريره بهيئته نفسها التي رآه بها صباحاً.

فهم ياسر ما تبادر لذهنه فقال بنبرة منخفضة وإن تسلل إليها
بعض من استيائه:

- لحسن حظك أنه لم يستيقظ.. فقد كدتُ أجن حين رأيتك
نائماً وأول ما تبادر لذهني أنه قد استغل الفرصة وأذى نفسه
بشكل ما.

- أين أجد دورة المياه؟

نطق نادر متجاهلاً حديثه تماماً وهو ينزع معطفه الطبي فقد
لمس في نبرته أنه يُجرّمه لنومه.. كيف يجرؤ على توبيخه؟!... بل
هو ليس في حاجة لأحد ليخبره بأنه أخطأ.

تجهّم شديد كسا وجه ياسر وشعر أنه سيصعب عليه التعامل
مع رفيقه هذا.. ولكن استيائه منه لم يمنعه من أن يشير لباب في
الجهة الأخرى من الحجرة مجيباً:

- توجد خلف هذا الباب حجرة نوم مُلحق بها دورة مياه..
الآن أدركت لم تمت هنا.. أنت لم تلاحظ وجود هذا الباب الذي
يقود لحجرة نومك الخاصة.

حك نادر رأسه وصدق به بوجوم فهو لم يلاحظها حقاً وإلا
لما تحمل آلام ظهره ورقبته بنومه على الأريكة.. وفجأة اتسعت
عيناه وتصلبت كل عروق وجهه لفكرة مريعة جعلته يلتفت لياسر
سائلاً:

« وهل ستشاركني أيضاً حجرة النوم؟! »

وفي هذه المرة لم يستطع ياسر منع الاستياء الذي تفجر في صفحة وجهه فهذا الشخص يعامله كما لو كان ذبابة مزعجة تجاوزت حدها واعتدت على ممتلكاته.

وبالرغم من استيائه واصل حشو فمه بقطع الدجاج وهو يسحب نفسه ليرميها فوق مقعد يقابل مكتبه الخاص الذي تناثرت أكياس الأطعمة من حوله مجيباً:

- كلا.. انعم بها فهي لك فقط.. فأنت الطبيب المسئول وأنا لست إلا مساعداً لك..

ارتخت ملامح نادر وبدأ فيها ارتياح كبير جعل حاجبي ياسر يهتزان مفكراً...: (أي شيء قدر فكر فيه حقاً هذا الوغد ليرتاح هكذا؟!).. ولم يسعده ارتياحه فقال محاولاً تنغيص سعادته:

« ولكن هذا لا يعني أنه لن يكون هناك شيء مشترك بيننا!!.. فمثلاً هذه الحجرة من الساعة السادسة مساءً وإلى التاسعة مساءً ستشاركها معاً لتبادل المعلومات بيننا حول المريض وما استجد بحالته، وستكون بعدها نوبة مرافقتي له من التاسعة مساءً وإلى السادسة صباحاً لتأتي بعد ذلك نوبتك من السادسة صباحاً وإلى السادسة مساءً ثم نلتقي مجدداً لثلاث ساعات وهكذا.. »

- سأخذ إذاً نوبة المساء.

- لما اذًا؟!

صرخ ياسر بها في حدة فقال نادر ببرود:

- لأنها تناسبني.

عينا نادر وثقته ووقفته جعلت ياسر يثق تماماً أنه يستحيل تغيير رأيه.. وعلى الرغم من أنه أكبر سنًا منه لم يستطع مجادلته فقال مستسلماً:

- لا بأس إذًا.. نوبة المساء هذا الشهر لك وما بعده لي وهكذا لما تبقى من ستة أشهر.. أظن هذا عادلاً كفاية.

اتجه نادر نحو حجرة النوم وهو يقول:

- بقايا طعامك وقمامتك وأنت أيضاً لا أريد أن أجذك بمجرد خروجي فإنه وقت نوبتي إذًا.

كتف ياسر ذراعيه أمام صدره وقد أدرك مدى استهتار شريكه فهو لم يختار نوبة المساء إذًا إلا من أجل هذه الليلة كي يطرده.. رمى بكيس طعامه على الأرضية قائلاً: « كلا إنه وقتنا المشترك... »

بتر عبارته فجأة والتفت الاثنان معاً لينظرا لذلك النائم الذي استفاق من نومه ليعتدل جالساً فوق فراشه وقبضته تفرك إحدى عينيه في تعب واضح ثم استند براحة يده الأخرى على طرف الفراش لينهض، ولكن لم يكد يستتم واقفاً حتى انهار مجدداً

فوق سريره وكان قدميه تأبيان احتمال ثقله.

تحرك نادر نحو الحاجز وقد انعقد حاجباه مستغرباً ما يراه
فقال ياسر بانفعال:

- لا يزال أثر المهدى في جسده.. يحتاج لوقت حتى يستفيق
جيداً..

أدار نادر بصره المتسع نحوه سائلاً باستنكار فالموضوع جاد
ولا وقت لإكمال شجارهما..

- لهذا إذا لم يستيقظ طوال النهار؟! لماذا؟!.. لا تحتاج
حالته لمهدى؟! وعرا كنا كان بالأمس صباحاً؟!
تنهد ياسر بتعب وهو يقف إلى جواره مجيباً:

- تلك الحقنة التي منحوه إياها ليهدأ بعد عراكه معك استفاق
بعدها في الساعة ليلاً فحاول قتل نفسه بشق معصمه بقلمه
الرصاص فاضطروا لمنحه جرعة مزدوجة من المهدئات.

صدمة عنيفة غطت وجه نادر بأكمله وهو يلتفت نحو فارس
الذي كان يتمايل نصفه العلوي من أثر المهدى وقد ضغطت
أصبعاه كفه اليسرى جانبي جبهته في ألم وصداع واضح ليرى نادر
قطعة الشاش المحيطة بمعصمه الأيسر وقد تلوثت ببعض دماء
جرحه..

خمس عشرة دقيقة مرت وفارس يُغيّر من وضعياته فوق سريره

ما بين جالس بترنح.. أو منحني عليه بنصفه العلوي حاشياً رأسه
في وسادته مقاوماً دواراً عنيفاً..

«لا تقلق.. لن يلبث أن يصيبك بالدوار ويحطم رقبتك بمتابعته
متنقلاً من زاوية لأخرى.»

نظرة جانبية محددة رماها نادر نحوه والذي كان لا يزال يقف
أمام الحاجز ثم استدأ فجأة مغادراً نحو حجرة نومه جازاً حقيقته
من خلفه وهو يقول مستنكراً:

«من القلق؟! أنا؟!.. هل تُعذُّ نفسك طبيياً نفسياً وأنت لا
تستطيع قراءة تعابير الآخرين؟!»

زفرة حانقة خرجت من حنجرة ياسر.. فهو يستقل به تماماً!!..
وقبل أن يرد له كلماته تابع نادر ببرود:

- موته سيحفظ أموال عمه من تبذيرها على هذا المستشفى..
وستفرغ مساحة لا بأس بها في هذا الطابق يتم استغلالها لمرضى
أكثر يُرجى شفاؤهم.

«أنت وغد بالكامل.. من رأسك إلى أخمص قدميك.»
قالها ياسر بصرخة كبيرة وعيناه لا تفارقان ظهر نادر الذي
وقف مجيئاً:

- هذا الوغد أدرك أيضاً أن موت هذا الفتى لن يسبب مشكلةً
لغيره.

- إذا استحافظ على حياته من أجل نفسك فقط وجيبك.
- نعم هذا ما كنت أفكر به ولو كان لديك حذاقة ومهارة طيب
نفسي مختص لأدركت ذلك قبل أن ترمي ترهاتك جزافاً.
صفعة عنيفة تلقتها جنبه يأسر من راحته المتسخة ببقايا طعامه
وهو يدير بصره نحو فارس الذي بدا كما لو أنه استعاد قوته أخيراً
فها هو يقف دون أن يسقط، وبفم ممتلئ همس:
« أيها الفتى.. إنه الأسوأ.. الأسوأ.. فلتنح على نفسك فقد
ولت أيام سعدك. »

ساعة بأكملها مرت قضباها نادر في حجرة نومه انشغل خلالها
بإفراغ ما بحقيته في الخزانة الملحقة بحجراته ثم استحم ليخرج
أخيراً بهيئة متأنقة للغاية مرتدياً قميصاً أصفر وبنطالاً أسود وقد
التف حول رقبته شال صوفي.. وللحق فإن أغلب الوقت قد قضاه
متجمداً بصدمة أمام تفاصيل الحجرة الفخمة غير مصدق أن
مثلها قد مُنح له.

و مع خروجه رأى يأسر الذي كان يدور حول مكتبه يلتقط
الأكياس الساقطة والأوراق المرمية فقد نجح بيث الرعب فيه..
ومن خلف الحاجز كان فارس خارجاً من دورة المياه الملحقة
بحجراته ماشياً ببطء وقد اتكأ بإحدى كفيه على الجدار سانداً
لنفسه من الوقوع بينما ضغطت كفه الأخرى على جانبه الأيسر

مكان ضربة نادر له السابقة.

انعقد حاجبا نادر أكثر وأكثر فكل ما يراه بهذا الفتى ليس بطبيعي على الإطلاق.. فما الذي يختلف به جسده عنه لتؤثر به ضربه خفيفة كتلك!!.. إنه مرفه ومدلل وزاد من حساسيته أن لا حياة له يشاركها مع الآخرين وخاصة المتنمرين بالمدارس كي يشتد عوده وجسده.

برز فجأة رأس ياسر من خلف مكتبه صارخاً به:

« هل ستخرج لتحضر لنفسك طعاماً؟ »

انزعجت صرخته نادر من شروده ليومئ بانزعاج فابتسم ياسر قائلاً بعجلة:

- أحضر معك بعض أكياس البسكويت المحلاة بالشكولاتة فقد نفدت التي هنا.. وستكون لذيذة جداً مع القهوة التي تصنعها لنا هذه الآلة.

- لماذا؟!

بدهشة سأل نادر ليسأل ياسر بدوره:

- لماذا ماذا؟!

- لماذا أصرف نقودي عليك؟

بهتت تلك الابتسامة على شفتي ياسر ووقف قائلاً بغیظ:

- بخيل للغاية.

- لستُ بخيلاً.. ولكن لا أجد سبباً كافياً يجعلني أبدد نقودي عليك.

أخرست إجابته ياسر تماماً لتلعثم الكلمات فوق شفثيه دون أن ينطق بحرف واحد وفي نفسه تساءل: كيف له أن يعيش كل هذا الوقت دون أن يقتله أحد؟!!

ولما لم يتلقَ نادر أي عبارة من ياسر مبررة طلبه غادر الحجرة صافقاً الباب خلفه فلا بأس بأن يقضي وقتهما المشترك بالتجول في المراكز التجارية والمطاعم ومراكز التسوق المحيطة بالمستشفى كي يتعرف عليها إذا ما احتاج إلى شيء ما فسته أشهر ليست بالقليلة..

- ٨ مساءً -

غطت الألعاب النارية سماء العاصمة المظلمة وازدحمت طرقاتها بالسيارات، والناس، القادمة من شتى المدن كي تشهد مهرجانات الاحتفال ببدء إجازة منتصف العام بعد انتهاء اختبارات المدارس منذ أسبوع..

ووسط ذلك الزحام بدا شخص متأفف للغاية وهو يمشي بحذر على الرصيف محاولاً تجنب الاصطدام بالمارة من أطفال ونساء وشباب..

تعالى صرخات الأطفال من حوله لرؤيتهم السماء التي
تزينت فجأة بالألوان المضيئة مصحوبة بصوت تفرقعها العاليي ..
وهرباً من ذلك الضجيج جر ذلك الشخص خطواته لأول مركز
تجاري ليلاحظ أنه لم يكن الوحيد الذي قد التجأ إليه ..

فها هو مسن يجلس على أحد المقاعد دون أن ينتاع شيئاً ..
وامرأة حامل تمسك بطفلها ذي السنوات الثلاث مانعة له من
مغادرة المحل وهي تهمس :

- دع الزحام يخف أولاً ..

(هل هو سينضم إليهما؟!) .. امتقاع شديد غطى وجه نادر وهو
يقرأ ذلك السؤال المستهجن في أعين الاثنين .. فهو ليس مسنّاً
ولا حتى امرأة و.....؟!!

« سحقاً .. لم الناس مزعجون هكذا؟! »

قالها نادر وهو يعود أدراجه للخلف ولكن لم يكند يستدير
حتى تساءلت نفسه : (ومنذ متى كُنْتُ أهتم برأي الناس؟!) ، ثم
عاد مجدداً للدخل متجاوزاً الاثنين بلا مبالاة ليبحث بين رفوف
المحل عن بعض متطلباته التي يحتاجها أثناء بقاءه بالمستشفى ..
سمع بغتة من خلف أحد الرفوف أصواتاً متهامسة :

- إنها مناسبة ورائعة جداً!

- هل حقاً يمكنك شراؤها؟!!

- أخبرتك أن هدية نجاحي كانت كبيرة جداً وكما وعدتك سأشتري لك أيضاً.

- ولكن أنا لم أتسلق الجبال من قبل؟!!

«أما زلتما تختاران حذاء للتسلق؟!»

ارتفع الصوت الثالث المتذمر من خلف نادر قبل أن يمر صاحبه من جواره.. كان فتى بأخر مرحلته الثانوية والذي التحق برقيقه مؤنباً لهما:

- لقد ضجرت من انتظاركما.. وباقي الفتيان يهددون بتحريك السيارة والمغادرة دونكما من أجل رحلة الجبال.. هيا.. لا نريد أن تشرق شمس الغد إلا ونحن هناك نتسلق لقمته.

بدا الارتباك والاستعجال على الاثنين اللذين كانا يتهامسان مسبقاً وكل واحد منهما قد سحب حذاء تسلق ليشتريه مارين من جوار نادر وقد بدا الحماس عليهما من أجل هذه الرحلة.

ابتسامة طفيفة مستهزئة تحركت بها شففتا نادر لهذا الشيء السخيف الذي ظنه في أحد أيام مراهقته حلمًا كبيراً وشيئهم بعينه إلى خروجهم من المحل وهم يتمازحون ويتضاحكون وقد أطلت السعادة من أوجههم...

عاد مجدداً ليختار حذاء خاصاً من أجل دورة المياه الملحقة بحجراته وعدة مناشف ومذكرات وأقلام.. تذكر فجأة حاجته

لسماعة لهاتفه النقال وحاسوبه الشخصي فأدار بصره في كل ما حوله ولكن هذا المركز الصغير الضيق لم يبدُ أنه مخصص لذلك، لذا غادر المركز بعد أن ابتاع ما يحتاج إليه..

ولكن لم يكد يضع أولى خطواته خارج المحل حتى كاد يرتطم به شيء ما مر من أمامه بسرعة فظيعة جعلت نادر يرتد للخلف مطلقاً سباباً عالياً وعيناه العسليتان تتحولان لجمرتين ملتهبتين تكادان تحرقان الفتى الذي واصل طريقه للأمام فوق لوح تزلجه صارخاً بصوت ممدود:

«أسف»

همّ نادر بشتمه ولكن تلعثمت الكلمات فوق شفّتيه حين تدافع من خلف الفتى مجموعة أكبر من الفتيان، البعض فوق ألواح تزلج والبعض بحذاء ذي عجلات يتسابقون نحو المهرجان وقد تراوحت أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة.

انتظر نادر بغيظ اكتمال مرورهم قبل مغادرته المحل.. الآن على الجميع أن يُدركوا لِمَ هو يكره المراهقين بشّتي أصنافهم!

«نادر..»

صوت مألوف صدح فجأة ويد صاحبه تلامس كتف نادر الذي مَيّز النبرة فوراً وقبل أن تلتقي أعينهما كان قد قال بدهشة: «أحمد؟!»

تبسم أحمد ابتسامة كبيرة وهو يتأمل له قائلاً:

- إنه أنت بالفعل .. نادر ..

مد نادر يده مصافحاً أحمد (جاره من قرينته) فيما تابع أحمد بنبرته المتحمسة وهو يشد على يده:

- لقد رأيتك من بعيد وشككتُ لو هلة أنه أنت!!.. يا للعجب..
لم أرك تتسوق مسبقاً من مثل هذه المحلات.

- الوظيفة الجديدة تطلبت بعض الأمور لذا كنت مضطراً.
ضحك أحمد بجذل:

- نعم.. لقد أخبرتني والدتي أنك قد حصلت على وظيفة
فوالدتك لم تترك أحداً لم تخبره.

ثم تأمله للحظة بصمت قبل أن يستدرك:

- لا بد وأنت بمزاج سيئ الآن..

- من الوظيفة؟!.. أم من التسوق؟!!

قالها نادر بضيق فضحك أحمد:

- يبدو أنه من كليهما.

ثم أشار لمطعم في الشارع الآخر هاتفاً بجذل:

- أنا أعمل هناك.. إن طعامه لذيذ للغاية.. تعال معي لنكمل
حديثنا هناك ويمكنك سؤالي عن أي شيء عن هذا المكان

وسأساعدك بالتأكيد.

(خدمة مجانية) لم يستطع نادر رفضها وهو يطيعه مباشرة
باللحاق به ولم يتوقف أحمد عن الثرثرة حول هذا وذلك ليعرفه
به..

فيما تسمرت عينا نادر فجأة على نافورة ضخمة تصاعدت
منها المياه للأعلى وتناثر رذاذها في كل مكان حولها وقد لمعت
من خلفها أضواء الألعاب النارية وواجهات المحلات التجارية
لتضفي جواً من البهجة والسرور على المكان وقد تقافز الأطفال
حول النافورة محاولين استقبال قطرات المياه المتساقطة فوق
أيديهم ومن أمامها تعالى صراخ مراهق وأصداقائه يحاولون
إسقاطه في حوض مياهها ممازحين له..

« ما زلت على طبيعتك.. »

عبارة أحمد رسمت ابتسامة خفيفة ونظرة عميقة بعيني نادر
وهو يجيبه دون أن ينظر إليه:

- وما الذي قد يغيرني؟!

- أنت محق..

قالها أحمد بصدق فالتفت له نادر وقد عكست عيناه نظرة
مهددة ومُحذرة:

- بجلبك لي للمطعم أنت لا تستغلني.. أليس كذلك؟!

توتر عنيف ظهر بملامح أحمد ولوح بكفيه أن (لا) وقد
تلعثت الحروف على شفثيه ليتحرك نادر مرافقاً له وهو يقول:
_ إن كان هدفك التسويق للمطعم ووجدت طعامه سيئاً..
فأنت ميت.

- يا لأفكارك السيئة.. أنت تعلم أني لم أفعل ولن أفعل هذا
معك أنت بالذات.

أوماً نادر عندئذ برأسه قبل أن يتبعه بثقة، فأحمد خير من
يعرفه.. فأى خطأ بحقه يرده أضعافاً مضاعفة حتى لو كان هذا
الشخص جاره ومن قرите.

حالة امتلاء شديدة أثقلت خطوات نادر من كل تلك الأطعمة
التي التهمها، وداهمته نوبة من الغثيان بالكاد كبحتها وهو يدفع
باب الحجرة المشتركة بالمستشفى وقد حملت كفاه أكياس
مشترياته.

لم يتبق من وقت نوبته المشتركة مع ياسر سوى عشر دقائق
وكم تمنى لو يدخل ليجده قد غادر.. تنهد بارتياح وعلت شفثيه
ابتسامة كبيرة حين توسط الحجرة ولم يجده فيها فلا بد من أنه قد
رحل إذاً..

وفي وسط ارتياحه حانت منه التفاتة للحاجز فرأى فارس

يجلس أمام طاولة صغيرة توزع فوقها مجموعة من الصحون
حوت أغذية مختلفة وإلى جوارها استقرت قارورة مياه
بلاستيكية.

لم يكن فارس يتناول شيئاً منها وكل ما يفعله أن يحرك ملعقته
بأحد صحونها في شرود وقد صبغ بياض عينيه احمرار خفيف
وأهدابه ترمش بقوة وكأنه يغالب نفسه عن نوبة بكاء ثم رفع كفه
ومسح بظاهرها أنفه.. كان يبدو عليه الحزن والملل الشديداً
لحد سأمته من طعامه حتى.

لم يستطع نادر منع نفسه من الاقتراب من الحاجز ليتأمل
ملامحه جيداً.. لم يكن فارس قصيراً جداً ولكن بالنسبة لنادر
يستحيل أن يتجاوز رأسه كتفي نادر الفاره الطول.. كان شعر
فارس كثيفاً بشكل كبير تناسب منه خصل متمردة أمام عيني
فارس الملونتين بزرقة البحر.. بشرته بدت بيضاء للغاية ولكنها
شاحبة أيضاً..

تسمرت عينا نادر فجأة على معصم فارس الأيسر وقد تدلى
منه بإهمال طرف ممزق من الشاش.. كان يبدو ميتاً في جسد
حي.. كهلاً عاف الحياة في عمر مراهق.. طفلاً غابت عنه كل
ألوان الحياة ولم يُبصر منها سوى السواد والظلمة..

جو من الكآبة لا يحتمله قلبٌ حي جعل نادر بالرغم عنه يعقد
مقارنة بين حاله وحال الفتيان المستمتعين في الخارج بالمهرجان

والذين كانوا قرييين من عمر فارس بل البعض في عمره نفسه..
« أخيراً عدت. »

انتفض جسد نادر بفزع حين صدحت هذه العبارة من خلفه
بصوت ياسر الذي خرج من خجرة نومه وهو يعدل من حزام
بنطاله متابعاً بمرح:

- لقد كنت أستخدم دورة مياهاك فقط.

عينا نادر اللتان استحالتا حمماً وتقطعية حاجبيه نبأته أنه قد
بلغ أقصى درجات غضبه فأسرع يقول مهدئاً له:

- لم تكن الكبيرة.. أقسم لك.. كنت مضطراً.. فبسبب تأخر ك
لم أستطع ترك المريض بمفرده.

تحرك نادر نحوه بصمت وبقبضتين مشدودتين جعلتا وجه
ياسر يشحب...: (هل سيتعارك معه من أجل شيء أسقطه في
مرحاضه فحسب؟!).

كان يستعد بالفعل لرد العراك والدفاع عن نفسه حين رآه
يتجاوز عتبة باب الحجر ثم يرمي بمشترياته داخلها قبل أن
يغلق الباب ويسحب المفتاح ليرمي به في جيبه، وعندها أدرك
ياسر أن الأمر قد حُسم، فمنذ هذه اللحظة ولستة أشهر قادمة لن
يسمح له بتجاوز عتبة باب حجرته.

أزال نادر الشال من حول رقبتة ليقبل من بعض الاختناق الذي

سببه وجود ياسر معه ورماء بإهمال فوق الأريكة التي نام عليها سابقاً.

- لقد جاء المدير في غيابك.

تصلبت ذراع نادر الرامية للشال وبقيت معلقة بالهواء واصفر وجهه ولحسن حظه أن ياسر لم يلحظ ذلك وهو يخطو نحو مكتبه متابعاً بابتسامة مفعمة:

- لا تقلق.. لقد تصرفتُ بطيبة واختلقت عذراً جيداً لتغطية غيابك.

- ماذا قلت له؟

- قلت إن هناك بعض الأشياء المهمة تنقصك ولأنك ستبقى لفترة طويلة احتجت للخروج للسوق لشرائها وقد ألزمتني بالبقاء لحين عودتك.

- لا يبدو هذا العذر الجيد وكأنه خارج منك.

قال نادر عبارته باستخفاف مصحوب بارتخاء ملامحه التي عاد إليها الارتياح، فيما مط ياسر شفثيه بحنق وكأنه قد كشف ليقول باستسلام تام:

- حسناً.. أعترف أنني حاولتُ تغطية غيابك ولكني لم أحسن ذلك حين أخبرته أن الألعاب النارية للمهرجان قد شدتكَ للخروج.. ولكن لحسن الحظ فقد كان يرافقني ثلاث من العاملات اللاتي أسرعن يثرثن حول ما ينقصك وحاجتك لشرائه كي تضمن عدم

مغادرتك هذا الطابق للاعتناء بمريضك لوقت أطول.

لم يدرِ نادر هل يغضب من عذره القبيح الذي اخترعه أم من وجود فتيات يقتحمن حجرته وقبل أن يثور كان قد التقط ياسر حقيبته استعداداً للمغادرة وقد امتلأت عيناه بخبث مقيت وهو ينظر لكتفيه العريضين وشعره الكستنائي وأنفه الحاد.. كان وسيماً بالفعل.. ثم قال بجماس:

- كن يتجولن سابقاً حول حجرة الفتى.. ولكن فوجئت الليلة بمجيئهن الواحدة تلو الأخرى يسألن إن كنتُ بحاجة لشيء.. ولم يكن هدفهن الحقيقي إلا رؤيتك والتقرب منك.

وبجدية صنادقة استطرد:

- إلى الآن أجد أنها الحسنة الوحيدة من مرافقتي لك..
- لقد تجاوزت وقتك بخمس دقائق.. إنها التاسعة وخمسن دقائق.. غادر وفي طريقك أخبرهن أن لدي أربع زوجات في منزلي.
ارتفع حاجبا ياسر وصرخ:

- تبّاً.. لن يتعدن عنك وحسب بل وسيكرهنك بالتأكيد.
لوح نادر بكفه بلا مبالاة فهذا ما يهدف إليه بالفعل ثم اشتدت ملامحه فجأة وأطلت من عينيه نظرة جعلت ياسر يهدأ حقاً وينظر له نظرة عميقة وهو يردف:

- وأخبرهن أني المسئول عن مريضتي ولا أسمح ولن أَرْضَى

باقتراب إحداهن منه حتى لو تجاوز عمرها السبعين.
صمت قصير حلّ في الحجرة قبل أن يومئ ياسر برأسه موافقاً
له وكأن هذا الشيء الوحيد الذي اتفقا عليه منذ لقائهما الأول..
وبنبرة جادة سأله ياسر وعيناه تتسمران على فارس الجالس
بسكون فوق مقعده يرتوي من قارورة مياهه:

- هل أخبرك عنه؟! .. عن والديه وكيف تَخْلِي..

« لا أريد أن أعرف عنه أي شيء.. »

(أي تناقض عجيب في هذا الشخص؟!).. شعر ياسر كما لو
أنه سيفقد عقله فقبل قليل يُصرح بحمايته من مضايقات الفتيات
وفي الوقت ذاته لا يهتم بمعرفة أي شيء عنه!!.. إذاً.. هو لا يريد
علاجه ولا حمايته!!.. يريد فقط رعايته والذود عنه كما لو كان
حيوانه الأليف.. سيُغذيه لسيّئة أشهر وبعدها سيقدمه للمذبح لو
لزم الأمر.

ابتسم ياسر بوجل فهو لم يقابل في حياته رجلاً بجراته ولا
وقاحته.. ألا يمكنه على الأقل الشعور بالخجل من إظهاره
لحقيقته السيئة أمامه!.. ثم استدار بظهره مغادراً وصافقاً الباب
خلفه تاركاً نادر ليقوم بنوبته الأولى مع.. حيوانه الأليف!

الفصل الثالث

ارتفع صوت احتكاك الحافة السفلية لمكتب نادر بأرضية
الحجرة المشتركة، ونادر يتابع دفعه لتلتصق مقدمته بالحاجز
الزجاجي الفاصل بينه وبين فارس ثم سحب المقعد ليجلس عليه
مبقياً حجرة فارس بكل ما فيها أمام عينيه..

تنهد بتعب وهو ينحني ليسحب حقيبة حاسوبه المحمول من
أحد الأدراج فلم يكن للحظة يظن أنه قد تكون مهمته بهذه
الصورة.. فهو أشبه بحارس شخصي من طبيب نفسي!!
وممن يحرس الشخص الذي أمامه؟! من نفسه؟!

« يا لها من مهزلة!! »

قالها وهو يضع حاسوبه فوق المكتب وأوصل سلك سماعة
الأذن به وبدأت أصابعه تتنقل على لوحة مفاتيحه بسرعة وهو
يلقي ما بين لحظة وأخرى نظرة على فارس..

وبعد مرور ساعة من تنقل عينيه بين شاشة حاسوبه وبين
مراقبته لفارس الذي ظل جالساً بوضعيته نفسها تتمم حالماً:

« ليت لدي القدرة على إيقاف المشهد هكذا إلى حين انتهاء

نوبتي.. »

ولكن يبدو أن آمانياته كاسمه نادرة التحقق فهذا هو بمجرد

إطباقه لشفتيه نهض فارس واقفاً بعد جلوسه الطويل ..

قد كان من قبل يجلس على الأرضية مستنداً بظهره على جانب سريريه وقد أحاطت ذراعاها بركبتيه في سكون وهدوء لا يخلو من رفعه لرأسه ما بين وقت وآخر ليلتفت فقط يمنة ويسرة قبل أن يعود مجدداً ليستند بذقنه على ركبتيه ولمدة ساعة بأكملها بعد مغادرته مائدة طعامه.

ولم يكثر نادر إطلاقاً بالتساؤل ولو لثانية واحدة ما الذي يجعله متجمداً هكذا وما الذي يفكر فيه طوال هذا الوقت! .. (بل ماذا لو علم فارس أن هناك شخصاً يتمنى لو يجمده كما لو كان تمثالاً لا حياة فيه!!)

تأفف قوي خرج من بين شفتي فارس لم يسمعه نادر ولن يسمعه فالحاجز الزجاجي عازل للصوت ومع صوت تأففه اتكأ بكفيه على ركبتيه لينهض واقفاً.. ولم يكتب لفارس أيضاً سماع زفرة الضجر المتأففة على الجانب الآخر والناقمة عليه تحركه..

اتجه فارس بخطواته البطيئة نحو مقعد خشبي وجدت أمامه منضدة ملتحمة بالجدار ويعلوها عدد من الزفوف الخشبية المعلقة تراص فوقها مجموعة من الكتب والأوراق..

توقف فارس أمامها دون أن يجلس وامتدت يده لتقلب تلك الأوراق ذات الحجم الكبير والتي يبدو من ورقها السميك

والخشن أنها مخصصة للرسم، بحث بينها عن شيء ما قبل أن
يفتر ثغره عن ابتسامة كبيرة وهو يسحب ورقة من بين الأوراق
كانت نظيفة تماماً ولم يغطها أي من رسوماته، سحبها بسرعة
بيده اليسرى فيما راحت عيناه تجوبان الرفوف بحثاً عن شيء ما
وحين لم يجده تحرك للبحث عنه في مواقع أخرى..

وخلف الحاجز التحم حاجبا نادر بغيط فهو لا يكاد يتنقل
بعينه من شاشة حاسوبه إلى فارس إلا ويجده قد غير موقعه..
فمرة أمام مائدة الطعام، ومرة بين رفوف الحائط، وأخرى إلى
جوار دورة المياه، والآن فوق سريره يُقلب كل الأغذية
والوسادات ملقياً بها على الأرض بإهمال، وأخيراً انحنى أسفل
فرجة سريره وقد غاب ذراعه الأيمن أسفله يحركه في عشوائية
وقد قبضت أصابع كفه اليسرى على ورقته التي شاركته تنقله من
مكان لآخر.

« ذلك الممل الوغد.. الآن أدركتُ ما كان يعنيه. »

قالها ووجهه يزداد احتقانه وذاكرته تسترجع قول ياسر بأن
فارس لن يلبث أن يتنقل من زاوية لأخرى مصيغاً له بالدوار وآلام
الرقبة.

« الأمر جيد ما دام لا يؤذي نفسه. »

حاول نادر أن يهدئ بها نفسه علّها تلهيه عن غضبه من ذاك

المزعج أمامه وتزيد من تركيزه على ما بشاشة حاسوبه... تناهى
لسمعه بغتة صوت محدثه من الحاسوب فرد بسرعة وبجدية
شديدة:

- نعم.. نعم معك.. كلا لقد غفلت للحظة.. كلا.. لا
عليك إنه ليس بشيء مهم على الإطلاق كي نؤجل عملنا من
أجله.

زفر بارتياح حين عاد محدثه يواصل حديثه السابق قبل أن
يختمه بقوله:

- سأرسل إليك الآن الصور بدقة عالية كي تقوم بتحليلها.. كما
أن هناك مقطع فيديو قد تستفيد منه.

أوما نادر برأسه موافقا قبل أن يكتسي وجهه بالحدة وهو ينظر
لشاشته التي مלאها وجه محدثه وقال:

- كالسابق تماما.. ثلاثة أرباع المكافأة التي ستحصل عليها
ستكون لي.

اصفر وجه محدثه وبدا عليه ضيق شديد:
« نادر.. كن رؤوفاً ولو لمرة واحدة.. لدي أطفال وزوجة..
ولولا حاجتي لم أكن ل.. »

قاطعه نادر بنبرة لا يمكن الجدل بعدها:
« مشكلاتك الشخصية ناقشها في مكان آخر.. نحن هنا وسط

عمل.. إما أن توافق وإما قد أضطر لعرض خدماتي على فريق آخر..»

أسرع محدثه يُعبر عن موافقته على طلبه فأن تذهب المكافأة لفريق آخر فهذا يعني أن يخسر حتى ربعها وفي نفسه راح يشتم نادر ألف مرة لا متلاكه موهبة لم يملكها..

فيما ابتسم نادر بظفر فسيحصل على المال مجدداً وأيضاً من هواية أحبها من أعماق قلبه.. أسرع يُنهي المكالمة لتفحص عيناه تلك الصور وسحب مفكرته ليدون فيها كل ما لاحظته واستنتجته.. (فهو بالتأكيد لم يشتر تلك المفكرات والأقلام من أجل دراسة أو علاج ذلك المراهق ولم يفكر به أصلاً).

مضى نصف ساعة يعمل على ما عنده، مضى مثلها عند فارس الذي لم يتوقف لدقيقة واحدة عن البحث عن ذلك الشيء قبل أن ينتهي به الأمر لتحقق عيناه قهراً وغضباً وتلتحم شفثاه من ضغط هائل أثقل صدره.. وفي ثورة راح يركل كل ما أمامه من أغطية ووسادات ساقطة وهو يصرخ..

حركته العنيفة جذبت نادر ليرفع رأسه عن مفكرته، قبل أن يقف ويتحرك نحو الحاجز وقد اتسعت عيناه من رؤيته لثورته المفاجئة..

لم يكن يسمع صراخه ولكن شفثيه المتسعيتين نباتاه أن صوته

قد بلغ حده الأقصى.. تلاها سعال شديد جعله يقبض على عنقه
في ألم فقد بح صوته والتهب حلقه دون أن يجيبه أحد..
إنه وحده..

وحده فقط.. حيث لا أحد..

يصرخ.. ير كل.. يبكي.. يتسهم.. يتألم.. وحده..

انحنى للأرض على ركبتيه واحمرت عيناه وتجمعت بهما
الدموع.. هل من العيب أن يبكي؟!.. هل من العيب أن يبكي؟!..!!
كلا.. هو حتى لا يفرق بين الصواب والخطأ.. هو إن أراد أن
يبكي سيبكي.. هو إن أراد أن ير كل سير كل.. هو إن أراد أن يصرخ
سيصرخ.. كالطفل تماماً..

انحنى رأسه للأسفل وخطت الدموع على وجنتيه وشهق بألم
فآخر ما بقي له من الحياة قد سلبوه منه..

هدأت ملامح نادر المكفهرة من خلف الحاجز وهو يرى
تكوره على نفسه وبكاءه ثم أصدرت حنجرتة ضحكة قصيرة
مستهجنة وهو يخفي كفيه في جيبي بنطاله قائلاً:

« من أجل قلم رصاص؟!.. مراهقو هذه الأيام لا يملكون ذرة
رجولة. »

لم يهتز قلبه ولم تتحرك ذرة واحدة منه بشفقة وهو يراقبه وكأن
ما أمامه مشهد من مسرحية ما هزلية وليس واقعاً حقيقياً..

وفجأة رأى فارس يعض على شفته السفلى في ألم ويده اليمنى تمتد لتقبض على ساعده الأيسر حيث جرحه.. هنا تحرك القلق ليظهر طيف منه على وجه نادر الذي دقق النظر على ساعد فارس خشية أن يكون قد عاد جرحه للنزف مجدداً.. وظل لوقت يتأمله قبل أن يتنهد براحة فالشاش كما رآه بالسابق وهذا جيد فهو يعني أنه لن يموت!!.. ولكن يبدو أن ألم جرحه قد عاوده مجدداً مع مغادرة المسكنات لجسده..

«تستحق ذلك.. حولته لأداة قاتلتني بها ثم حاولت قتل نفسك

به..»

ثم هز كتفيه ببرود مُضيفاً:

«وما دام هذا القلم مهمّاً عندك لهذا الحد كان عليك أن تفكر باستخدامه بلطف في غرضه الحقيقي.»

واصل فارس انحناءته وهو يضم ذراعه اليسرى لصدره مع اشتداد ألم جرح ذراعه المقطب وكأن ألم الموت الذي لم يصبه بالأمس عاد لينهش الآن كل جزء منه..

كانت شفتاه تنطقان بكلمات هامسة وكأنه يستغيث أو يئن!!.. المهم أنه شيء لم يستطع نادر تمييزه من مكانه وحين حاول الالتصاق أكثر بالحاجز ارتفع فجأة صوت زنين هاتفه النقال من خلفه فالتفت بسرعة نحوه فقد تكون مهمة أخرى يكسب من ورائها المال.

نسي مريضه تماماً ليلتقط هاتفه من فوق المكتب وينظر
للمتصل ولم يكدرى اسم أمه المدون على شاشته حتى
استغرب بشدة فالساعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساءً.. أي
موعد نوم عجوزه..

أسرع يرد على هاتفه ليتناهى لسمعه صوتها الأبح المليء
بالضيق: « نادر.. هل حقاً تعرضت للضرب من أحد المرضى؟! »
استشاط نادر غضباً واستحالت عيناه حمراً فيما تابعت أمه
بصوت متهدج: « أنت تكره وظيفتك ونحن من أجبرك عليها..
الذنب ذنبنا فيما تعرضت له. »

(إنه أحمد بلا شك)، فاضت براكين غضبه وكادت أصابعه
تحطم هاتفه من شدة ضغطه عليه.. سيتقم من ذلك الوغد..
كيف يجرؤ على إيذاء عجوزه إلى الحد الذي لم تستطع معه
النوم؟؟!!

«السافل» تمت بها شفتاه وأمه تواصل حديثها المنزعج عبر
الهاتف دون أن تمنحه الفرصة ليُجيب، وفي أعماقه نقم على نفسه
محادثة لأحمد في المطعم وإخباره له بقصته مع فارس، والأسوأ أن
أحمد استغله حقاً بإحضاره للمطعم حيث يعمل تحت إمرة مدير
هو والد صديقه.. أي أنه بإحضاره للمطعم كان يريد منه أن يُقدم
صورة حسنة عنه لوالد صديقه وبالتالي يقبل به إذا ما تقدم لخطبتها.

ابتسامة خبيثة قفزت لشفتيه وهو يذكر كيف انتقم منه وقتها
بإخبار ذلك الرجل بكل حماقات وطيش أحمد مما حول وجه
أحمد للون الأحمر غضباً وخرجاً وقد يكون أفقده حقاً فرصته
بالزواج..

ولكن هذه المرة علت شفتيه الابتسامة الأخيثة، لو رآها أحمد
لبكى نفسه دهرًا كاملاً فما هو مقدم عليه الآن سيجر ويلاته عليه
لما تبقى من عمره.

« أمي »

لفظ لطيف ملئ بالهدوء قاطع به نادر حديث أمه لتنصت إليه
فأردف:

- تلك العجوز سعاد والدة أحمد لا بد أنها فهمته خطأ..
فمجال عملي لا بد فيه من هؤلاء المرضى.. وأنا مستمتع جداً..
بل وأقدم لهم يد العون كما أحببتهما.

ارتفع صوت العجوز أقل انزعاجاً:

- ولكنه ضربك!!.. هل أنت بخير؟

ضحكة مصطنعة أطلقتها شفتاه أفلحت بامتصاص قلقها
أتبعها بقوله:

- هل يجرؤ أحد على ضربي؟!.. أنت تعرفين ولدك جيداً!!..
بل ذلك الوغد أحمد لا بد من أنه يغار مني لحصولي على وظيفة

قبله في أشهر مستشفيات العاصمة، وبالتأكيد كانت أمه تحاول
مداواة غيرتها هي الأخرى بقولها هذا لك كي تعكرفرحتك.
سمع صرير أسنانها الغاضبة: « الغيبة القدرة الغيورة... »

انطلقت تواصل شتمها لسعاد مما أقنعه بأنها صدقته وعندها
حرص على إزالة غضبها برمي دمية لها تلعب بها لحين الغد وقت
لقائها بجارتها سعاد:

« أمي.. ولكن هل أخبرتك جارتنا بأن ولدها الطيب أحمد
يهمل تطبيقه العملي بأحد المستشفيات ليققطع وقتاً يعمل به
بأحد المطاعم كي يستحسنه مديرها الذي هو والد صديقه
سوسن كي يوافق بعد ذلك على طلبه الزواج منها تاركاً بذلك
خطيبته ريم في قريتنا والتي اختارها له والداه مسبقاً وخسرا آلاف
الأموال من أجل حفلة خطوبتهما. »

كان سيلاً من المعلومات والفيضات ألجم لسان العجوز ولم
تنتبه أن ولدها كان يُلقنها بالحرف الواحد ما ستقوله بالغد لجارتها
انتقاماً منها..

شهقت بعد دقيقة وامتلات نبرتها بالحماس لتقول:

- القدرة.. وتعيرني اليوم بك كذباً وهي لا ترى ولدها!!!..

تبّاً.. سأجعل منها أضحوكة.

اتسعت ابتسامة نادر فهذه الفضيحة ستكون كالدمية تلهو بها

وسط القرية لوقت طويل قبل أن تجد جارتها سعاد شيئاً جديداً
تضايقها به، هذا إذا لم تشغل بمشكلاتها التي ألقى بها الآن.

ضحك نادر وقال بلطف:

- عليك أن تنامي أولاً.. فما أنت مقدمة عليه غداً يحتاج لكل
طاقتك.. وانتبهي لزوجك فهو لا يستطيع فعل شيء من دونك.

ضحكت لوصفه أباه بالزوج وكأنه يتحدث مع شابة صغيرة
ولكن بحق هي أصغر من والده.. ودعته بكلماتها التي تنوعت ما
بين الغضب والحنية كي لا يترك عمله أو يُقصر فيه وأن يرفع
رأسهما عالياً...

ظلت تثرثر بالحديث البذي ملّ من سماعه دوماً فالتفت
بضجر لينظر نحو فارس الذي غاب نظره عنه لنصف ساعة، ولم
يكذ يلتفت حتى اتسعت عيناه عن آخرهما وبان الارتباك بصوته
الذي بالكاد تمالك نبرته وهو يسرع مُنهيًا اتصال أمه:

« لقد فهمت.. لدي عمل الآن.. نامي جيداً.. وداعاً. »

رمى بهاتفه في جيبه وأسرع يقف أمام الحاجز ينظر لفارس
الذي تابع الارتطام بباب حجراته محاولاً كسره وهو يصرخ:

كان يصرخ مع كل اصطدام غضباً وألمًا..

غضباً من أجل قلمه الرصاص المسلوب..

وألمًا من كمية الضرر الذي تلقاه كتفه الذي كاذ يخلع مع كل

ارتطام بالباب الخشبي المتين الصنع..

اشتدت قبضة نادر وانتفخت أوداجه.. فما الذي عساه يفعل في مثل هذا الوضع!!.. ضرر كتفه لن يقتله بالتأكيد وبالتالي لن يفقده وظيفته.. ولكن..

« عنفه لا مبرر له. »

همس بها بحيرة، صحيح هو ليس الأول في دفعته ولكن هو أيضاً ليس بغبي أو ساذج فما يراه الآن لا يحتاج لعين خبيرة لتلاحظ ذلك!.. فكيف بمن درس تخصصاً بأكمله وتجاوزته بكل سنواته الأربع دون رسوب واحد!.

توقف فارس فجأة عن دك الباب بجسده لينهار شاقطاً أمامه على ركبتيه وقد بان التعب بكل ملامحه قبل أن يرفع قبضة ضعيفة لتطرق الباب برفق وكأنه بعد فشل عنفه فكر أن إحسان الأدب قد ينفع هذه المرة مع من بالخارج فيستجيبون له.

راقب نادر شفتيه المتحركتين ليقرأهما بصعوبة:

« لما اااا اذا تحبسنى؟!!!.. أريد أن أخرج.. أريد أن أخرج. »

بالكاد استطاع نادر تبين هذه الكلمات من وسط جمل كثيرة غاب عنه معظمها ولكن تلك الكلمات أحدثت داخله حيرة كبيرة.

« ألا يعلم أنه مريض؟!.. »

قالها وحاجباه يلتقيان بشدة.. وفجأة (هل أنا أحلله الآن؟!)،
قفز ذلك التساؤل لدماغ نادر لتعلو شفتيه ابتسامة غير مصدق تلك
الدقائق القليلة التي بدت وكأنها ليست من شريط حياته..

ضحك باستخفاف قبل أن يعود نحو مقعده ليجلس أمام
حاسوبه ليحلل تلك الصور.. شيء يستحق التحليل بحق!!

ولكن لم يكد يخطو بعيداً عن الحاجز حتى رأى فارس ينهض
من وقفته ليتجه نحو منضدة كتبه.. وقف أمامها ورفع ذراعه
اليسرى لأعلى ارتفاع.. ولوهلة لم يصدق نادر ما قاده إليه تفكيره
لولا أنه رآه بعينه يُسقط ساعده وبموقع الجرح تماماً ليرتطم
بحافة المنضدة.. (يحاول قتل نفسه مجدداً)..
«سُحْقاً»

صاح بها نادر وهو يجري ليلتقط مفاتيح حجرة فارس من فوق
مكتبه ثم اتجه لحجرة فارس مباشرة.. وبيد مهتزة أدخل المفتاح
في ثقب بابه وأداره بصعوبة ليُفتح ثم دفع الباب لتلتقط أذناه
صوت أنين فارس وصوته المبحوح وهو يواصل دك ساعده
بحافة المنضدة..

اندفع نادر نحوه..

سيوقفه..

وقد يضربه..

بل وسيعطيه مهدئاً قوي المفعول لو اضطر..
ولكن تفجر في ذهنه بغته ما حدث صباح أمس..
عنف فارس معه بسبب المتلازمة..

هو بالتأكيد لن يهدأ له بسهولة وقد يضطره مجدداً لضربه
ضربات عنيفة تزيد من حدة مرضه والأسوأ قد يُسيء ذلك
لوظيفته..

« تَبَّأ. »

همس بها محنقاً وهو يوقف اندفاعته ليخطو بهدوء من خلف
فارس فهو لم يلاحظ دخوله بعد وسط صرخاته..

وحين وقف خلفه مباشرة حتى كاد يلامسه بجسده مد ذراعه
اليمنى لتحيط بجسد فارس من الأمام وشده نحوه مُكبلاً حركته
بقوة، بينما قبضت أصابع كفه اليسرى على ساعده الأيسر موقفاً
له في الهواء قبل أن يرتطم بحافة المنضدة مجدداً..

شهقة مفزوعة أطلقها فارس وعيناه لا تريان الشخص المكبل
جسده من الخلف ولكن ذلك لم يكبح حركته الشديدة وركله لما
أمامه محاولاً تخليص جسده وذراعه الأيسر من قبضة نادر..

وكاد نادر يفقد صوابه مجدداً وهو يتحمل بصعوبة حركته
العنيفة بل كان فارس يلف رأسه للخلف محاولاً رؤية الشخص
الذي يُقيده.. ولم يكن نادر مستعداً لعنف أشد إذا ما رآه وصور له

عقله المريض أن نادر هو وهمه الذي يطارده..

وعندها زاد من ضغط ذراعه الأيمن حول جسد فارس حتى
كاد يحطمه من شدة اعتصاره، مما جعل فارس يشهق بألم ثم جره
بعيداً عن حافة المنضدة، بينما تركت يده الأخرى ساعد فارس
وارتفعت لتغطي عينيه بالكامل و..

هدأت..

هدأت حركة فارس بالكامل..

بل وتصلب جسده..

لتسع عينا نادر عن آخرهما..

(هل هو يخدعه الآن بخضوعه!!)

كان يخشى ذلك بالفعل.. يخشى أن يخفف من ضغطه
فيستغله فارس ويلتف نحوه ويتعارك معه.. ومع ذلك لم يستطع
منع نفسه من النظر من فوق كتف فارس لساعده الأيسر حيث
الجرح فرأى بضع قطرات صغيرة من الدماء تلوّثه..

(إذاً فقد فُتح جرحه مجدداً ولكن ليس بصورة قاتلة.. هذا

جيد.)

تلّفت فيما حوله مفكراً بحيرة.. كيف سيهدأ هذا الشخص إذا
ما تركه لثانية واحدة فقط ليحضر فيها ما يربط به جرحه!!

كان يفكر حين ارتخت ملامحه فجأة لتعلوها الدهشة لملمس

أصابع كف فارس اليمنى التي لامست ذراعه الضاغط عليه..
واصل نادر صمته وهو يُطل من فوق كتفه من الخلف ليراه
يمشي بأصابع كفه فوق ساعد نادر متحسّساً له وكأنه يحاول
تعرف هذا الشيء المحيط به قبل أن تتوقف فجأة فوق ساعة
نادر..

كان لا يزال أنين تألمه مستمراً ويكاد يخترق طبلة أذن نادر
القريب منه ومع ذلك لم ينشغل فارس بألمه ولم يتوقف عن
تحسس الساعة قبل أن يُقدم على تصرف أثار صدمة نادر بالفعل..
فبدلاً من غرس أصابعه في ذراع نادر أو محاولة إبعادها عن جسده
أحاطت أصابع كفه بها بقوة وضمها لصدره أكثر وكأنه التمس بها
أماناً من نوع ما وتفجرت من أسفل كف نادر اليسرى دموع عيني
فارس لتبللها بالكامل..

تباعد حاجبا نادر وارتخت ملامحه وهو يسمع إلى جوار أنينه
نشيجه الباكي، كان يشهق ببكائه ما بين لحظة وأخرى وعلى
الرغم من أن نادر خفف من ضغطه عليه قليلاً إلا أن فارس لم
يتخلّ عن ذراعه..

واتكأت مؤخرة رأس فارس على كتف نادر الذي لم يُبعد كفه
عن عينيه أبداً، وقد أنهك فارس الألم والبكاء حتى ما عاد يستطيع
البقاء محافظاً على اتزان جسده..

«.. أرجو.. وك.. أخرجني وس.. س.. سأحسن التصرف.. أنا
لس.. ت سيئاً.. أخرجني..»

كلماته المتقطعة.. توسله.. شهقاته..

الآن بدأ شك نادر السابق يعود أقوى.. فارس لا يعلم أنه
مريض..

بل وصوته المتقطع وكلماته التي تخرج بصعوبة.. هي
لشخص كأنه فاقد للنطق واستعادته فجأة..

(ألم يتحدث مع أحد منذ سنين؟!.. هل من الممكن أنه منذ
إصابته بالمرض؟!)

تساءل نادر في نفسه فيما ظل فارس على صمته وهدوئه فأدرك
نادر أنه ينتظر رده بعد توسله إليه بأن يخرج.. وكاد نادر ينطق..
ولكن أليس عليه أن يتحقق أولاً إن كان مريضه الغريب ليس له
ارتباط بصورة الأشخاص فقط بل وصوتهم؟!.. فقد يظنه من
صوته الشخص الذي يحاول إزعاجه ومطاردته؟!!

حيرة وتردد بقي فيهما نادر قبل أن تلمع فكرة ذكية في رأسه..
ففارس لم يهدأ إلا بعد تحسيسه له وكأنه علم أنه شخص مختلف
من خلال لمسه له.

وعندها شدت كفه اليسرى بخفة حول عيني فارس ليحرك
رأسه يميناً ويساراً وكأنه يجيبه على سؤاله بـ « لا »

انفجرت شفتا فارس وظل للحظة صامتاً ونادر يترقب ردة فعله حول رفضه لطلبه لتفاجئه ثورته وتحريكه لرأسه محاولاً النظر وهو يصرخ:

« لا.. لا.. أخرجني.. »

وعلى الرغم منه ابتسم نادر فقد فهمه فارس تماماً فيما عاد فارس فجأة لهدوئه ليذرف الدموع دون أن يؤذي نادر فهو لا يحمل أي ضغينة تجاهه وكل ما أرادته منه مساعدته ولكنه رفض، وذلك أكّد لنادر أن هذا الفتى ليس عنيفاً إلا في اتجاه واحد..

اتجاه الشخص الذي يصوره له مرضه..!! ولكن من هو هذا الشخص!!.. وهل هو يستحق أن يكون فارس عنيفاً تجاهه لحد العزاك؟
« آه.. يؤ.. لم.. يؤلم.. »

بالكاد نطقها شفتا فارس لينتبه نادر لجرح ساعده الذي اتسعت بقع الدماء فوق الشاش المغطي له فأدرك أنه يجب أن يتصرف بسرعة ويربطه له..!!
ولكن عجلته لم تسعفه ليأخذ معه مهدئاً..!!
كان يدرك خطورة تلك الحقنة فقد يؤذيها جسد فارس ولكن ما عساه يفعل!!
وفجأة شعر بارتخاء جسد فارس..!! بل أن رأسه سقط للأمام

وكاد ينسل جسده من تحت ذراعه...

تراخي جسده المفاجئ جعل نادر يُبعد كفه عن عينيه ليرى
مصدقاً شكه.. فقد كانت عينا فارس بالكاد مفتوحتين فاقداً
لوعيه..

توتر عنيف ظهر بوجه نادر وهو ينحني ليحمله، ثم تحرك نحو
سريره ليرقده عليه وراح يفك الشاش المغطي لساعده ولكن لم
يكذ يزي جرحه حتى ابتسم براحة فبالكاد انفتح الجرح ليتسبب
بتلك الدماء، أي أنه بلا شك ليس سبب فقدانه لوعيه.. وبالتالي
فإنه لن يموت.. ولن يفقد وظيفته..

«كم أنت متعب.»

تذمر وهو يتفحص وجهه وعينه وكتفه باحثاً عن السبب
الحقيقي لفقدانه لوعيه:

- هل بسبب ارتطامه بالباب؟!

- أم انهار بسبب بكائه المتواصل؟!

- أو لأنني رفضت إخراجه؟!

«تَبَّا.. تَبَّا.»

صرخ بها وتحرك نحو الباب كي يجلب أي طبيب بشري
وليس نفسياً كي يفحصه.. ولكن ألن يجر ذلك عليه مشكلة إذا ما
علم المدير بما حدث؟!!!

عاد يشتم أشد من السابق وعيناه المليئتان بالحيرة والتردد
تعودان لتعانقا جسداً ذلك الراقداً أمامه ..
وبعد دقيقة غالب فيها نفسه زفر بضيق ثم أخرج هاتفه ليطلب
رقماً ما ولم يكدر يرد محدثه حتى قال:
« أحمد.. أنا أحتاجك. »

الفصل الرابع

١- فجراً-

أحكم أحمد الضماد حول الجرح بمعصم فارس الأسر
وانتقلت عيناه لتنظرا لإبرة المغذي التي غرسها بظهر كفه الأيمن
قبل أن يتنهد:

- لقد انتهيت.

إلا أن عبارته لم تجذب انتباه نادر الذي ظل ساكناً فوق مقعد
قريب من سرير فارس ينظر للأرضية في ملل وانزعاج.
« نادر.. أنت محظوظ. »

وهذه المرة انتبه بالفعل لينظر لأحمد مستغرباً قوله فتابع
أحمد وعيناه المنبهرتان تجوبان الحجرة بأكملها:
- لم أكن أعلم أن حجر كبار الشخصيات والأثرياء بهذه
الفخامة.. أنت محظوظ بالفعل.

« لو كنتُ محظوظاً لم أكن لأحتاج لوجودك معي هنا. »

حطمت عبارته كل انبهار أحمد ليقف ناقماً على نفسه.. كيف
أطاعه!!.. وكيف ساعده!!.. خاصة بعد ما فعل به في المطعم؟!
ولكن قد يكون لكلمة « أحتاجك » وقعها الخاص على النفس

وخصوصاً حين تصدر من شخص مثل نادر..
وقف نادر بدوره فبوقوف أحمد أدرك أنه قد أنهى عمله مع

فارس..

كانت الساعة تشير للواحدة فجراً وعليه المغادرة قبل أن
يكتشف أحد عاملي المستشفى أنه قد أدخل رجلاً غريباً إلى
حجرة مريضهم الماسي فارس..

انحنى أحمد يُغلق أزرار قميص منامة فارس بعد أن تفحصته
مسبقاً ثم أعاد الغطاء فوق جسده وقد عكس وجهه بعض الضيق
سرعان ما أخرجه:

- نادر.. إنه فاقد للوعي ولا يوجد سبب لتبقي هذه الأربطة
المطاطية مقيدة لذراعيه وقدميه.

- قبل أن أغادر حجرته سوف أفكها.

تجاهل أحمد رده الفظ وراح يُرخيها الواحد تلو الآخر قائلاً:

- ستكون عائقاً أمام استفادة جسده من محتوى المغذي.

تقبل نادر نصيحته على مضض فتأذي الفتى لا يقود إلا لفقدانه
لوظيفته، ولذا تابع صمته وهو يراه يمسك بيد فارس بل وراحت
أصابع أحمد تضغط ببعض القوة فوق أحد أظافره مما جعل نادر
يسأله:

- هل هو بهذا السوء؟

تنهد أحمد وعيناه تتأملان الساكن أمامه:

- نعم.. أظافره تكاد تتكسر من ضغطي الخفيف وأظنه كان ليتألم لو شعر بي..

ثم رفع كفه ليتحسس بشرة وجهه الشاحبة التي ما زالت تلتصق ببعض دموعه وأضاف:

- بشرته جافة للغاية ومتقشرة.

وخلل أصابعه بين خصلات شعره السوداء الفاحمة لتخرج منها شعرات فوق راحة يده:

- يعاني من سوء تغذية شديد وهذا ما أفقده وعيه.

التقى حاجبا نادر بشدة وعيناه تتحركان لتحققا بالمائدة التي اعتلتها بعض الأطباق ثم قال:

- لقد تعارك معي صباح الأمس فأعطوه مهدئا ثم نام.. وبعدها استيقظ في الساعة ليلاً وحاول قتل نفسه فأعطوه أيضاً مهدئا ونام إلى غروب شمس اليوم، وعند نهوضه لم يتناول الطعام جيداً وظل يلهو به بملعقته ليكتفي أخيراً بشرب الماء.. بالتأكد سيمرض فلقد ظل طوال يومين دون أي طعام.

تحرك أحمد ليقف أمام تلك المائدة وجابت عيناه كل ما حوته صحنونها ثم تحدث بنبرة محتدة:

- توقف عن محاولة لصق الخطأ به.. إنه ليس مريضاً يظهر

خلال يومين فقط.. إنه بسبب هذه الأطعمة التي لا تحتوي على ما يحتاجه جسده..

ثم أشار للحساء الذي حوى نوعين من الخضروات فقط..
واللذين تكررا في باقي الأطباق ولكن مطهيين بطرق أخرى
فأردف باستهجان:

- لا لحم.. لا حليب.. لا فواكه.. مجرد فائض من النوع
نفسه.. وهذا ما أشعره بالعطش وبقي طوال الوقت يشرب الماء
فقط محاولاً تعويض نقص جسده وأنت تعلم....

«الخمول والتعب..»

اتسعت عينا أحمد لعبارة نادر المقاطعة له فيما أدار نادر بصره
لينظر لفارس قائلاً ببرود:

- أعلم.. نقص ما قلته لا يؤذيه جسدياً فقط.. فالإسراف بهذا
الخضروات وتكرارها هو ما سبب له حالة خمول وتعب لساعة
بأكملها ظل بها ملاصقاً لسريره قبل أن ينهض باحثاً عن قلمه.

صُدم أحمد من إدراك نادر لكل هذا، فيما ارتفعت عينا نادر
للأعلى ببطء وكأنه يفكر بأمر ما.. مما جعل وجه أحمد يحتقن
بشدة ويصيح به:

- سحقت لك.. لو ماتت فستكون أنت المسئول عنه أمام الله.

أنزل نادر نظره بحدة صارخاً بدوره:

- لماذا؟! .. إنه إهمال مسئول التغذية ولا شأن لي.
- نعم.. هو مهمل.. ولكنك المعالج المسئول عنه الآن.. وأن تفكر بعدم إيقاف ذلك لأنه سيُريحك قليلاً من حركته ومتابعته.. أنت أسوأ منهم وستعاقب من أجله في الدنيا قبل الآخرة.
- استشاط نادر غضباً وبصعوبة حاول خفض نبرته:
- لقد أحضرتك هنا طبيباً وليس ناصحاً.
- جئتُ هنا برغبتي وسأكون ما أريده.. ثم إنك من كنت تختار طعام والديك الكبيرى السن وكنت أمام عيني تتحرى التنوع فيه حتى توفر لهما كل ما تحتاجه أجسادهما ليعيشا لوقت أطول وبصحة جيدة.
- حتى لا يزعجاني بمرضهما ورعايتهما.
- افعل معه هذا أيضاً.
- وما الذي سأجنيه من ذلك؟! ..
- حتى لا تحمل ذنبه بعنقك فأنت معالجه النفسي الآن.. وإن لم يُقنعك هذا فلتعلم أن المريض الذي يموت تحت رعاية أحد الأطباء لا يتم توظيفه مجدداً وتتشوه سمعته.
- ارتخت ملامح نادر وبدأت عليه المعاناة كمن يصارع ذاته فيما انتبه أحمد لكيس المغذي الذي فرغت محتوياته تماماً بجسد فارس فاتجه نحوه لينزع إبرته من ذراع فارس الذي صُدرت عنه

حركة خفيفة تنم عن تألمه جعلت أحمد يدلك موضعها قليلاً قبل
أن تمتد يده نحو عينيه..

« إياك؟! .. »

صيحة نادر المهددة والمحذرة جعلت يده تتصلب قبل أن
يسمعه يضيف:

« إن أردت أن يبقى وجهك سليماً.. »

تأمل أحمد قناع العينين الأسود الخاص بنادر والذي كان قد
وضعه نادر مسبقاً فوق عيني فارس تحسباً إذا ما أفاق أثناء
علاجهما له.. ثم قال:

- لا أكاد أتخيله عنيماً كما تقول.

ثم التفت لنادر:

- وللحق لا أظنه أكثر عنفاً منك.. ولو علموا هوايتك
الحقيقية لم يكونوا لوظفوك لرعاية طفل بريء مثله..

« لقد انتهى عملي.. هيا غادر.. »

قالها نادر بحدة وهو يلقي أدوات أحمد بالحقيبة ويغلقها فيما
زفر أحمد منحنقاً قبل أن يأخذها منه مكماً نصائحته السابقة:

- افتح نافذته.. يجب أن تتعرض حجرته للتهوية.. كما ولا بد

أن يتعرض جسده للشمس لوقت طويل.. اصحبه لحديقة
المستشفى..

« لقد منعوا خروجه من هنا. »

قالها نادر بقلّة حيلة ممّا جعل أحمد يقول بانفعال:

- هو مريض وليس سجيناً..

ثم أدار بصره في أنحاء الحجرة ورغم فخامتها هتف

باستهجان:

- سيعتاد كل ما فيها وستصبح بالنسبة له أشبه بالسجن

الانفرادي.. وأنت تعلم ما تفعله تلك السجون بعقول الأصحاء

فما بالك بمريض مثله.

شيء من الانزعاج والضيق كسا وجه نادر ممّا أثار تعجب

أحمد فهو الموضوع الوحيد الذي أظهر فيه نادر موافقة له ولم

يكلف نادر نفسه إخباره بأن هذا الفتى حبس هذا السجن

الانفرادي لما يقرب الثماني السنوات..

تذكر توسل فارس الباكي له بأن يخرجّه، نطقه المتلعثم،

وتشبهه الغريب بذراعّه، ورغم مرضه الغريب فهو يعلم أنه لم يكن

مبرراً كافياً لحبسهم له!.. بل هو زاد من وطأة مرضه وضاعفه.

«أسف.»

زایل الضيق وجه نادر لينظر لأحمد الذي حمل حقيقته وتراجع

نحو الباب بعد أن نطق بأسفه.

التقى حاجبا نادر بشدة لاعتذاره فكلاهما يعلمان أنه قد انتقم

منه في المطعم لذا لا حاجة لاعتذاره ثم ابتسم فجأة حين فهم من نظرت المتوترة أنه يقصد شيئاً آخر.. (مهاطفته لأمه وإخبارها عن عراكه مع مريضه).. فيما ازدادت ملامح أحمد ارتباكاً وهو يقول:

- في لحظة غضب فعلت ما فعلت.. ولكنني ندمتُ جداً.

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي نادر وهو يجيبه:

- ولكنني لستُ آسفاً.. لذا لا بأس.

لم يفهم أحمد ما يعنيه وإن لم ترق له ابتسامته ومع ذلك واصل اعتذاره بإشارته لفارس قائلاً:

- تذكر غداً حين تُهاتفك والدتك أنني قد كفرتُ عن خطيئي بقدومي إليك الآن وعلاجه.

تظاهر نادر بعدم الفهم:

- حسناً.. لا أفهم ما تعنيه.. ولكن أنصحك أن تنام جيداً..

ولا تُبقي هاتفك مغلقاً أو صامتاً فقد تهاتفك والدتك وأنت تعلم كم تقلق بشأنك.

ضحك أحمد سروراً لاهتمامه به المفاجئ وأرجع ذلك لكونه شاكراً له مساعدته له بمنتصف الليل وفي نفسه تيقن أخيراً أن نادر يُخبيء داخله طيبة شديدة، ثم وبإخلاص شديد قال:

- هذا المغذي عوضه بعض ما يحتاج إليه جسده وسينام

لثلاث ساعات وإذا ما احتجت لأي مساعدة يمكنك الاتصال
بي.

- أشك في أنك ستحتفظ بعرضك هذا إلى طلوع الشمس .
تمتم نادر بضحكة ساخرة، ومجدداً شعر أحمد بالغباء وهو
يودعه ليغادر المستشفى مجدداً من سلالم الطوارئ كي لا
يُفتضح نادر ويكتشف أحد إدخاله لغريب.

مرت ثلاثُ ساعات.. وكما قال أحمد تماماً فقد كان موهوباً
في مجاله على عكس أحدهم فيها قد بدأت تصدر بعض الحركة
الخفيفة عن فارس مُندرة بإفاقته..

كانت الحجرة تغرق في ظلمة شديدة وكل ما شعر به فارس
ذلك الألم الخفيف الذي تسلل لوعيه من ذراعه الأيمن حيث
انغrust إبرة المغذي.

حرك يده اليسرى ليضغط فوقها ولأول مرة يستيقظ ويستطيع
تحريك جزء من جسده دون تعب أو ثقل.. شعور غريب دأهمه
وهو يعتدل جالساً ليمد يده نحو مفتاح الإضاءة ولا مسته أصابعه
ليضغطه..

مرة..

اثنتين..

ولكن ما زال يسبح في ظلمة شديدة..

شهق بخوف.. هل فقد بصره بعد قلمه؟!.. حرك قدميه لينزل
من سريره في لهفة.. سيدير الأضواء الملاصقة لباب حجراته..
فقد تكون القرينة منه معطلة!!

وكاد يصطدم بهذا وذاك من أثاث حجراته وهو يسرع نحوها
حين لامست كفاه الحائط وأسرع يدير مفاتيح الإضاءة.. ومجدداً
لا يزال غارقاً في الظلمة..

غرق قلبه في صدمة غرقت عيناه بمثلها وهما تتبللان بالدموع،
ولكن احتجاز دموعه في مكانها جعله يشعر بالغربة فهي لم تخط
على وجنتيه ككل مرة، فانتبه أخيراً لتلك اللقافة الغريبة المحيطة
بعينه والتي حبست دموعه وقد كانت بحق مريحة بنسيجها
القطني الذي امتص كل دموعه فامتدت يده لتسحبه بسرعة فغشى
الضوء عينيه مجدداً ليُصر اللقافة السوداء المستقرة فوق راحة يده
والمتمسبة بحجب الرؤية عنه..

ارتفع حاجباه، وأظهرت شفاته ابتسامة هي الأولى منذ وقت
بعيد ووجهه يعكس عدم تصديقه بما يراه..

هذا الشيء الصغير غمر قلبه بسعادة لا مثيل لها..

(سعادة لا معنى لها).. كما يراها نادر الآن الذي ظل يراقبه

وأضراسه تطحن بعضها بعضاً حسرةً لئسيانه أن يأخذه معه قبل
خروجه.. كيف سيستطيع النوم الآن دون قناع عينيه!!.. إنه رفيقه
منذ أن كان بالإعدادية وإلى الآن.

فيما وصلت سعادة فارس لأقصاها وهو يعود ليضعه فوق
عينيه ثواني ثم يسحبه وهكذا.. إنه يعرفه.. بل وذكره بشيء من
الماضي.. ويبدو أنه ماضٍ جميل جعل وجهه يشرق وعينه
المبتهجتين تتلفتان فيما حولهما باحثتين عن صاحبه الذي منحه
إياه..

(يبحثُ عني؟!).. لم يستطع نادر تصديق تفكيره وهو يراقب
فارس الذي تابع التفاتته فيما حوله قبل أن يتجه لدورة المياه
ويدفع بابها ثم ينظر داخلها..
هو يبحث عنه حقاً..

وأمام عينيه رآه يرفع قناع العينين ليشم رائحته ثم يرفع كفه
ويغطي بها عينيه بالطريقة نفسها التي غطى بها نادر عينيه ثم راح
يومئ برأسه عدة إيماءات وكأنه يتقن من شكوكه بأن من غطى
عينيه هو نفسه صاحب القناع.

ضاقت عينا نادر ورفع كفه ليشمه ليجد رائحة عطره النفادة
ملتصقة بها.. لا بد وأن تلك الرائحة قد علقت بقناع عينيه حين
كان يشبه فوق عيني فارس.

« ذكي » .. همس بها نادر وكان يقصد كل حرف منها .. فارس
ذكي بحق ليربط بينه وبين القناع فقط بسبب هذا التفصيل
الصغير ..

ولكن كيف سيستعيد قناع عينيه الآن؟
« سحقا » ..

تمتم بها وقد غشى التعب عينيه، كان مرهقا للغاية من مراقبته
لفارس ومن عمله على الحاسوب طوال وقت نوم فارس .. وقد
أوشك وقت نوبته على الانتهاء، وحجرة نومه مليئة بنوافذ تحتل
حائطاً بأكمله بمعنى أنها لن تمنع عنه ضوء الشمس وقت نومه ..
الآن فقط ..

ذلك الحاجز الزجاجي كان يفضل بين عينين ملوئهما الجحيم
وعينين تعيشان النعيم ..

وازداد الجحيم اشتعالاً حين رأى فارس يسقط القناع عن
عينيه ليعلقه برقبة حتى لا يفقده .. أو ليبقى قريباً من قلبه ..
ومحطماً حلم نادر باستعادته ..

فيما انتبه فارس فجأة لمائدة طعامه المليئة بالطعام ..

كان جائعاً بالفعل ..

ومداواة أحمد له جعلت جسده يشعر ببعض الصحة والشهية

للطعام ..

جلس على مقعده لتتسع عيناه الزرقاوان وهما تتنقلان بين
الأطباق المليئة بأصناف لم يذُقها مسبقاً..

اتسعت شفتاه بابتسامة كبيرة وامتدت يده تأخذ من هذا وذاك..
كان نهماً بشدة.. وعكس وجهه استمتاعه الشديد وتلذذه
بكرات اللحم والبطاطا المشوية والبيض المقلي والحليب الدافئ
و.. و.. و..

شعور غريب تسلل لقلب نادر رسم طيف ابتسامة على شفتيه،
وكان مسّ السعادة والجنون الذي مسّ فارس قد مسّ جزءاً منه..
ولكن سرعان ما اختفت تلك الابتسامة والمشاعر، بل قتلها
بلحظة مولدها فجدول طعامه الذي غيّره بعد نزوله لمسئول
التغذية كان سببه أن لا يموت تحت رعايته.. وقناع العينين لم
يمنحه له لیسعده بل فقط ليقلل من عنفه وبالتالي فإنه أخذه بسبب
نسيانه له فقط..

ولكن هل تلك السعادة التي لامست قلبه فجأة لأنه ولأول مرة
منذ وقت طويل يؤخذ منه شيء دون مقابل ليسعد شخصاً آخر!!
أم أنها فقط عدوى أصابته من ذلك المجنون الذي قضى ليلته
الماضية ياكياً!!

لم يفهم نادر ولم يرد حقاً إطالة التفكير بشيء لا طائل منه..

« إنه سعيد بجدول غذائه الجديد. »

انتفض جسد نادر والتفت بحدة نحو صاحب العبارة الذي
دخل دون أن يشعر به ليجده رئيس الأطباء الذي ابتسم مطمئناً له
بقوله:

- أعتذر.. لم أرد إفزاعك ولكنك كنت غارقاً بالنظر إليه
ومراقبته إلى الحد الذي لم تشعر معه بدخولي! بالحد الذي
امتدت يد نادر ليُطبق حاسوبه المحمول مخفياً بذلك عشرات
الصور الشنيعة التي غطت شاشته ولم ينتبه رئيس الأطباء لفعله
هذا وهو يتأمل عينيه المرهقتين فقال: إن يد نادر قد دخلت
- يبدو أنك بقيت مراقباً له طوال الليلة.

- إنه عملي. -
رد نادر ببرود وكأنه استشعر تعجب رئيس الأطباء من ذلك..
(لم الكل يظنونه مُهملاً للغاية؟!!!) راسخاً لحقه
- لقد جئت لأتحقق من أن الوضع جيد هنا ولكن ولأول مرة
أراه يأكل هذا النهم ولذا لن أعاقبك. -
- تعاقبني؟!.. ما الذي ارتكبته خطأ لتفكر بذلك؟!.. -
سأله نادر بنبرة عصبية مستهجنة فقد اكتفى بحق من تلك الليلة
العصبية ولن يحتمل أكثر فيما أجابه رئيس الأطباء متجاهلاً جراته
عليه:

- تغييرك لجدول غذائه.. لقد اتصلت بـ مستغول الأغذية

وأخبرني أنك كنت وقحاً في تعاملك معه بل وأنتك هددته بالإبلاغ عنه للهيئة الصحية لمكافحة الفساد.

اشتدت قبضة نادر.. (العجوز الجبان يسرق طعام الفتى ثم يتشكى كالأطفال!!).. بالكاد كتمها داخله حتى لا تخرج من بين شفثيه وهو يهدأ ليقول:

- الفتى يعاني من سوء تغذية شديد قد يؤدي لموته قبل أن أتم الستة الأشهر الخاصة بي.. وأنا لست مستعداً لتحمل خطأ شخص آخر.

أدرك رئيس الأطباء من حديثه أنه ليس مكترثاً لفارس إطلاقاً وما فعله يصب في مصلحته الشخصية إضافة لمصلحة المستشفى فصحة فتى مثل فارس قد تؤثر سلباً على سمعة مستشفاهم الذائع الصيت فقال بتقدير كبير:

- حسناً.. سأخبره بأنك المسئول عن ذلك وأن يطيعك.

ثم اكتست لهجته بلطف يُعاكس لقاءه الأول به وهو يردف:

- اسمي سالم.. ويمكنك التواصل معي شخصياً إذا ما صادفتك أي مشكلة في العناية به.. فهذا الفتى مهم جداً للمستشفى.

وجود رئيس الأطباء في الحجرة معه كان كفيلاً بأن يدرك نادر ذلك دون الحاجة لأن يخبره.. وبجدية واهتمام أوماً برأسه إيجاباً..

وبحق كان كل ما يعانيه نادر الآن هو اتخاذ القرار في إذا ما كان بحاجة لأن يعامل الواقع أمامه بأدب؟!.. فيكفي المدير ليهتم لأمره ليصبح الآن اثنين!.. على حين غادر رئيس الأطباء وأغلق الباب من خلفه..

« ألم يمت بعد؟! »

انتفض جسد نادر بفزع وبأسر يقف أمام الحاجر محدقاً بفارس وقد كثر عن أسنانه ضاحكاً وهو يضيف:

« ظننته سيكون ميتاً بحلول الصباح. »

- بقي خمس دقائق على السادسة تماماً أي على نوبتك؟!.. ثم كيف دخلت دون أن أراك؟!

- استعجلت خشية أن أكون أنا الميت بيدك إذا ما تأخرت.

قالها دون خجل وهو يمشي ليرتمي فوق الأريكة مستطرداً:

- ودخلت أثناء انشغالك بالحديث مع سالم..

وامتلأت لهجته بحبث مقيت: « كنت مصدوماً ولا أكاد أصدق فلقد كنت بشراً طبيعياً في حديثك معه لذا بقيت كالتمثال محدقاً بك. »

عبارة استغزت نادر بالكامل وعبث ببعض كرامته ليرد:

- أنا هكذا مع البشر.

إهانة جديدة احتقن لها وجه ياسر.. إذاً فهو ليس من البشر..

ماذا يظنه إذا؟! .. ذبابة بالتأكيد.

« تبّا.. أنا أريد حقًا أن أكون صديقًا لك. »

قالها ياسر بانفعال وهو يرفع كيسًا مملئًا بأقراص الفيديو التي تنوعت ما بين أفلام الأكشن والرعب ليتابع بإحباط:

- حتى أني أحضرت أقراصًا كي نشاهدها معًا في وقتنا المشترك كي لا تشعر بالملل.

نظرة نادر المتسعة نبأته بقدر استهجانه واستنكاره لهذه الفكرة حتى أنه لم ينطق وكأنه لا يستطيع أن يتخيل مجرد تخيل أن يشاركه المشاهدة..

« أسف.. ليس لدي اهتمام بك. »

قالها نادر بسخرية بعد دقائق ليحمر وجه ياسر خجلًا وغضبًا فقد فهم ما يقصده تمامًا.

« وغد قدر.. لدي خطيبة.. »

- أسف من أجلها.

قالها نادر بنبرة بها أسى لتتحطم كل جسور الصلة بينه وبين ياسر الذي أشار إلى حجرته أمرًا:

- لقد بدأ وقتي.. اذهب.. لا أريد رؤيتك.

حطت تلك العبارة كالبلسم على قلب نادر الذي استقبلها بابتسامة وراح يللمم أغراضه ليغادر إلى خجرة نومه فيما أسقط

في يد ياسر فهو لن يستطيع مجادلته أو إغاظته أبداً.

التفت بتأفف وتململ نحو مريضه ليراه يقف أمام باب حجرته
يطرقه بأدب وقد شدت يده بلطف حول القناع الأسود المحيط
بعنقه متمتماً بعدة كلمات لم يستطع تمييزها فالتفت بحيرة نحو
نادر ليجده متجمداً وقد حملت عيناه نظرة عميقة مندهشة ثم
ابتسم فجأة..

« ماذا يقول؟! »

اختفت ابتسامة نادر مع سؤال ياسر وتجاهل إجابته ليتجه نحو
حجرته صافقاً الباب خلفه.

مرت ساعة بأكملها ونادر يتقلب فوق سريره دون أن يعلم هل
هو لم يستطع النوم بسبب فقدانه لقناع عينيه!! أم بسبب ما قاله
فارس!!..

لم يستطع منع ضحكة خافتة من التفلت من بين شفتيه وهو
يكبر قوله:

« أريد شرائح برقر على العشاء. »

هل هو يهزأ به؟! .. أم يظنه خادماً؟! ..

ألم يكفه ما مر به مع مسئول الأغذية كي يغير وجبته؟! ..

ضحك مجدداً من طلبه وتفاؤله بأنه قد يحققه له.

تذكر ابتسامته العذبة وطرقه الخفيف على الباب ويده مشتدة
حول قناع العينين الخاص به..

« من الجيد أنه لم يُثَرَّ جلبه ويفضح ما حدث في نوبتي الأولى
معه. »

قالها وهو يرفع اللحاف ليغطي به رأسه ومن الجيد أن إرهابه
وتعبه كانا ذَوِيَّ فائدة ليغرق في النوم بدون قناع عينيه المسلوب.

الفصل الخامس

مر أسبوع ونصف الأسبوع على تلك الحادثة وبالطبع لم يحقق نادر طلب فارس الغريب والذي ظل يكرره طوال تلك الأيام، سواء في نوبة ياسر أو نادر..

والشيء الوحيد الذي استجد أنه لم يصدر عن فارس أي تصرف عنيف تجاه نفسه، أو تجاه ما يشاركه حجراته من أثاث، بل ولم يكرر بكاءه من أجل قلمه المسلوب، وظهر أن صحته قد تحسنت بعض الشيء وأشرق وجهه بعد تغييرهم لوجباته..

كانت أياماً مريحة قضاهها نادر مستمتعاً بإنجاز ما لديه على الحاسوب رغم استمرار تلك الطرقات المؤدبة والخافقة من فارس المنادي له دون يأس أن يجلب له ذلك الصنف من الطعام..

كان اليوم الخامس عشر من تسلم نادر لوظيفته، الساعة الواحدة فجراً، حين أخذ الضجر من نادر مأخذه لعدم تسلمه مهمة جديدة تزيد من رصيده البنكي..

« تَبَّأ.. إلى متى سأنتظر؟! .. هل أصبح العالم مثاليًا فجأة! »
تذمر وهو يلتفت لينظر بانزعاج لفارس المتكى بظهره على

باب حجرته وظهر كفه اليمنى يتابع طرقة الباب بأدب مستجدياً
نادر أن يقدم له برقر..

« ألا يئأس أبداً؟! »

بابتسامة قالها نادر وللحق لم يجد أشد عناداً منه إلا هذا
الفتى.. فلا هو أجاب طلبه ولا الفتى توقف عن الطلب.

تجاهله كعادته ليفكر به يشغل نفسه ثم قرر أخيراً شرب كوب
من القهوة وإلا فإنه مع كل هذا الضجر قد ينام ويترك الفتى بلا
مراقب.

استقام أمام آلة صنع القهوة لينتبه لعدد من الأزرار المتراسة
على الحائط خلفها، مد سبابته بفضول ليضغط أحدها فاتسعت
عيناه عن آخرهما حين فُتح فجأة سياج نافذة حجرة فارس
أوتوماتيكياً..

وقبل أن يضغط الزر لإغلاقها رأى عيني فارس المشدوهتين
وفمه الذي توسع بصراخ وهو يقفز راكضاً بسرعة ليقف أمامها
ثم دفع دفعة النافذة الزجاجية على مصراعيتها.. كانت السعادة تملأ
ملامحه.. بل وأخرج ذراعيه وراح يضرب الهواء الخارجي بنشوة
وقد علت ضحكاته.. كان كالطفل تماماً.

تصلبت يد نادر فلو أغلقها فسيعود السياج على ذراعي فارس
وسيتأذى بالتأكيد..

غرق وسط حيرته وبعد عدة دقائق من المعاناة قرر عدم
إغلاقها حتى يتعد فارس بنفسه، فنحول ذراعيه يجعل من
المستحيل أن يستطيع أحد ملاحظته ومن الطابق السابع، كما أنها
الواحدة فجراً ومن المحتمل أن الجميع نائمون.

زفر بنقمة فلولا صغر حجمها مقارنة بجسد فارس لكان الآن
مضطرباً بسبب تهوره للدخول وجره بعيداً عنها فما أدراه أنه لن
يستخدمها لقتل نفسه.

صنع كوب قهوته وتصلب أمام الزرين الآخرين المجهولين،
نهته نفسه عن تهور جديد وخذرتة مما حدث قبل قليل إلا أن
ضجره انتصر على عقله مبرراً له طيشه أنه لن يكون هناك ما هو
أسوأ من فتح النافذة فضغطهما تتالياً وراح يتلفت فيما حوله إن
كان حدث شيء جديد..

لكن لا جديد..

وعندها تحرك ليجلس أمام مكتبه يرتشف من قهوته، فيما
انشغل فارس بأخذ نفس عميق من الهواء سرعان ما أخرجه
باستمتاع كبير، وكفاه تلامسهما فجأة قطرات غريبة جعلت وجهه
يتفجر سروراً وبهجة..

«مطر»

صرخ فارس بنشوة عارمة ليتفض جسداً نادر الغافل بفزع

وأسقط كوب قهوته فأحرق فخذه.. تأوه وشتم ووقف بسرعة
ليأخذ منشفة جفف بها بطناله وطرف قميصه إلا أنه سمع مجدداً
ذلك الصوت الذي أفزعته فامتقع وجهه بشدة..

نظر الى حيث فارس فرآه يخرج ذراعه أكثر لتغرقها مياه
الأمطار وصوت صراخه السعيد يهز طبلي أذني نادر فشحب
وجهه وجلاً، والتفت للزرين اللذين فتحهما سابقاً.. هل هما
السبب في وصول صوت فارس إليه؟!

أسرع نحوهما ليغلقيهما ومع اقترابه منها ارتفع فجأة في فضاء
الحجرة صوت ترتيل للقرآن من هاتفه فالتحم حاجباه لتذكره
انشغاله بتحميل المقطع الصوتي المرسل إليه من والده حين
صدحت صيحة فارس وأفزعته..
كانت تلاوة بصوته، بصوت نادر، بدا أن والده أرسلها إليه
وكأنه يذكره كم افتقده وافتقد وجوده إلى جواره يلبي له طلبه
بقراءته القرآن عليه.

إلا أن نادر تجاهل إغلاق هاتفه وهم بإغلاق الزرين الأهم
حين بلغ سمعه صوت شهقة عالية غريبة فأدار بصره إلى حيث
الحاجز الزجاجي لتضطرم عيناه بمرأى فارس المذهول ورأسه
يتحرك يمناً ويسرة وكأنه يبحث عن شيء ما..
وعلى الرغم من ظلمة ما حول فارس بسبب الإضاءة الخافتة

لحلول وقت نومه إلا أن وقوفه أمام النافذة المفتوحة جعل نور القمر يجد طريقاً لينعكس على تلك القطرات التي تسلت لتبلل عينيه المتسعيتين وهو يغادر النافذة ليتجه ببطء نحو الحاجز..

تكدر مزاجه المفاجئ أدهش نادر فقد كان يضحك منذ لحظات، ومع اقترابه من الحاجز استطاع تمييز اللمعة في عينيه لشيء ما بل رفع يديه يلمس الحاجز الحائل بينه وبين ذاك الشيء..

عدة ثوانٍ مرت قبل أن تكسو وجه فارس الخيبة ويتراجع بإهمال للخلف فيما أغمض نادر عينيه وتنهَّد بتعب.

- الصداق الذي سيسببه لي الآن بتنقله من زاوية لأخرى أقل مما أستحقه فأنا من جلبت هذا لنفسني.

لم يكذ يقولها حتى سمع ضجوت جلبة فالتفت بحدة ليرى فارس ساقطاً على الأرض بعد تعثره بإحدى وساداته الساقطة وقد عكس وجهه ألماً شديداً..

«أخرق.»

صرخ نادر من خلف الحاجز ليصدمه سلوك فارس حين قفز مبتعداً عن الحاجز في دعر شديد..

أظلمت عينا نادر فلم يكن فارس ليستمعه من خلف الحاجز العازل للصوت!.. وقفزت لتفكيره فكرة مريضة.. ماذا لو كان

فارس هو الآخر قادراً على سماعه بسبب تلك الأزرار؟!!

أسرع نحوها ليتفحصها فصدم بالرسوم المنقوشة عليها فأخذها عليه رمز مكبر الصوت بينما الآخر سماعة وهذا يعني أن أحدها مسؤول عن إيصال صوته لفارس كما أوصل الآخر صوت فارس إليه.

لقد تواصل مع المريض!.. تلك كارثة وخطأ فادح يكسر الشروط بينه وبين المدير وقد تكون عاقبته فقدته لوظيفته.. «تباً..» وأغلق الزرين لينهي تلك المشكلة، سيحفظها في قلبه ويأخذها معه لقبره دون أن يخبر أحداً بطيشه نتيجة فراغه المزعج وفي تأفف سحب هاتفه لينظر لرسالة والده وتصلبت كفه.. ماذا لو كان سبب تلك الدموع بعيني فارس سماعه لضوت التلاوة؟! «سحقاً.. لا..»

زجر نفسه إلا أن روحه بأكملها سكنتها رغبة مجنونة للتيقن من صحة تخمينه وتغلب عليه شيطان فضوله بعد عدة دقائق، فاقرب من المايك وعينه تركزان على جسد فارس المرتجف فوق السرير والملتصق بالحائط بخوف..

أخذ نفساً عميقاً ثم ضغط الزر ليبدأ بترتيل شيء من القرآن من حفظه الخاص، ومع صوته العذب الذي استقبله المايك ليعثه في حجرة فارس رآه.. رآه يلتفت باتجاه مصدر الصوت،

نحو الحاجز الفاصل بينهما، وقد امتلأت عيناه بالدموع بل وغادر
سريره ليخطو مجدداً نحو الحاجز..

تصلب نادر وصمت بضدمة غير مصدق أن فارس كان تأثره
ناتجاً عن صوت الترتيل.. أو مع صمته. توقف فارس ليتلفت
بجنون فيما حوله وعندها قرر نادر متابعة ترتيله بصوت أعلى
واستجابة لذلك الصوت تحرك فارس أيضاً إلى أن توقف فجأة
بعجز أمام الحاجز الزجاجي فتحرك نادر بدوره ليقابله وجهاً
لوجه..

ولم يكن يفعل ذلك حتى التقى حاجباه بشدة لوجهه المحمر
العاكس تأثره الشديد بل امتدت كفاه لتلامس الحاجز الزجاجي
قبل أن يلتصق بجسده كله فيه وشفته تنطقان دون صوت..

لم يفهم نادر ما الذي تتحرك به شفته وكان مضطراً ليقطع
ترتيله، ثم راح يحرك شفثيه بنفس طريقة تحريك فارس لهما

«...م...م... يا...»

«مايا».. همس بها نادر وقد التقى حاجباه بشدة.. «من مايا؟!..»

ولماذا ينادي فارس باسمها؟! رغم أنها ليست هي..

فيما واصل فارس تكراره لذلك الاسم وكأن الترتيل قد ذكره
بها..

وفجأة ارتفع نسيج فارس حتى أن نادر استطاع سماع صوت

بكائه، كان بكاءؤه لينم عن حرقه قلب شديدة وهو يحني جبينه على
الحاجز، ودموعه تواصل تدفقها من عينيه لتغرق وجنتيه وتنساب
فوق الحاجز الزجاجي...

ودون أن يعي وجد نادر يده تمتد بضيق لتلامس تلك الدموع
من الجانب الآخر.. تلك الدموع التي ارتاحت عينا فارس من
سكنها لأسبوعين بأكملهما..

فما الذي تسبب بذرفه لها الليلة إذا؟!

وبغته اختلط صوت بكائه بعدة كلمات:

«لمى.. لمى.. أنا قتلتها.. كلا.. لم أقتلها.. أنا سيء.. كلا لم
أكن قادراً فقط.. أنا لا أستحق أن أعيش مايا..»

ملامحه عكست اضطرابه وتناقض أفكاره الشديدة بين كونه
سيئاً أم لا، ولكن أدرك نادر أخيراً أن فارس قد حسب خيره حين
علقت كلماته الأخيرة في شفثيه بل وراح يضرب رأسه بخفة فوق
الحاجز الزجاجي صارخاً:

«أنا لا أستحق أن أعيش.. أنا لا أستحق العيش.. أنا لا أستحق
العيش..» واشتد دكه لرأسه بالحاجز ليفتح جرح في جبهته سالت

منه الدماء لتختلط بدموعه.
«توقف..»

صرخ نادر بغضب وأسرع ليغادر حجراته إلى حيث حجره

فارس ساحباً في طريقه حقنة مهدئ فهو يدرك أنه إن لم يتصرف
سريعاً فلن يكون قادراً على علاج جرح أكبر بجبهته كما أن
أحمد بعد مغادرته تلك الليلة لم يتصل به ولأسبوعين بأكملهما
مما يدل على أنه قد ناله انتقامه وأنه لن يساعده هذه المرة ولو كان
على فراش الموت..

وعلى الرغم من سماع فارس لصوت نادر عبر المايك إلا أنه
لم يتوقف وكأنه قد غرق في ألم آخر يفوق ألم رأسه، ألم معنوي
دفعه وبشدة لتخليص العالم من بقاء عاجز مثله..

وتساقطت قطرات الدماء من رأسه المجني فوق الحاجز
لتصنع بقعاً صغيرة عند قدميه مرافقة قطرات دموعه..
ومع ذلك لم يتوقف..

ظل يضرب ويضرب رأسه بالحاجز مراراً ومرات حتى أنه لم
يشعر بباب حجرته الذي فُتح..
«تبّاً.. قلتُ لك توقف..»

ولولا هذه الصيحات العنيفة التي أطلقها نادر لم يكن لينتبه
فارس أبداً لدخوله..

نادر نفسه تصلب وشتت تهوره ألف مرة حين رأى تجمد فارس
بعد سماعه لصوته وسط حجرته، وهنا تيقن نادر أن الصوت أحد
مثيرات مرضه وهذا يعني عنفاً أشد..

وباتجاه من؟! .. باتجاه جسد نادر..

ولم يكن الوقت ليسعه ليقيده أو يغطي عينيه كالسابق
فالمسافة التي تفصله عن فارس ليست بقصيرة كما أن فارس ليس
مُديراً ظهره له، بل والأسوأ ها هو يرفع رأسه لينظر إليه..
وذلك يعني انفجاراً وشيكاً بينهما يشبه لقاءهما الأول..

وعلى الرغم من أن رأس فارس يؤلمه والدماء ما زالت تتدفق
منه إلا أن ذلك كله لم يمنع من أن تحمر عيناه وتشتد قبضته
استعداداً للعراك وكفه الأخرى ترتفع لتسند جسده على الخاجز
إثر دوار كاد يفقده توازنه..

(هو الحثالة نفسه!!.. صحيح.. الصوت ليس شبيهاً بضوته!..
لكنه يستطيع تغييره كما يستطيع تغيير شكله!!.. هو يحاول
خداعي مجدداً والتلاعب بي ولكني لن أسمع له.. سأبطش به..
سأقتله فهو من جعل مني هكذا.)

تخاطرت هذه الأفكار دفعةً واحدةً على عقل فارس
المضطرب وعيناه المتقدتان شرّاً تسقطان أخيراً على جسد نادر..
ولكن..

بسبب الدماء المنسابة على عينيه والدموع المحتجزة بين
أهدابه لم ير سوى ظل يفوقه طولاً..
كان بصره مشوشاً بالكامل..

وذلك أزعجه..

رفع قبضته المنشدة ليمسح عينيه ولكن لم يكدر رفعها حتى
شعر بذراع ذلك الشخص تلتف حول رأسه ثم سحبه بقوة نحوه
ليصطدم وجهه بكتفه مانعاً له من رؤيته..

تلك الضغطة كانت قوية بالفعل كاذ يُسحق معها أنف فارس
فوق كتف نادر، شعر بالاختناق ولكن شعوره بالعجز والغضب
كان أشد فرفع قبضتيه محاولاً دفعه بعيداً عنه.. ولكن نادر لم
يخفف من ضغطه أبداً بل ظل شاداً بكفه اليمنى على رأسه أتبعها
بذراعه اليسرى التي لفها حول جسد فارس ضامماً له وشالاً بذلك
حركته..

وعلى الرغم من قوة نادر مقارنةً بجسد فارس الواهن
والمصاب إلا أن نادر استشعر من مقاومته العشوائية مدى كرهه
وبغضه وحقده على الشخص الذي يصوره له عقله..
كان يصرخ وبالكاد يحرك ذراعيه من أسفل منه، وراحت قدمه
تضرب قدمي نادر ولكنها ضربات بالكاد شعربها نادر فقد شل
حركته بالفعل.. بل وأرهقه.. وأشعره بالعجز لدرجة الألم فتبليت
عيناه مجدداً بدموع انكسار انطبعت على قميص نادر وهدأت
حركته تماماً..

لقد استسلم أخيراً كمن أدرك أنه عديم الفائدة أمام هذا

العملاق. كالماضي تماماً.. فليفعل به إذا ما يفعل!!.. بل فليقتله
ويرجحه من نفسه البائسة!!..

ظل ساكناً للدقائق لا يضره صوت قطرات المطر بالخارج
سوى صوت نشيجه الباكي.. وكانت فرصة مثالية لنادر ليُخرج
الحقنة من جيب قميصه ويغرسها في كتفه فما زال يشعر بدفء
دماء جرحه وهذا يعني أنه إن لم يتوقف عن النزف ويضمده
سريعاً سيتأذى ويوقعه في ورطة مع مدير المستشفى...
« اقتلني. »

تضللت ملامح نادر وانفجرت شفتاه استهجاناً لصراخ فارس
بكلمته تلك.. ..
تلك الكلمة أشعرت نادر بمدى الذل والبؤس اللذين وصل
إليهما فارس ليطلب منه ذلك.. كلا.. بل هو الآن يطلبه من
شخص آخر.. من الشخص الذي يُصوره له عقله ويكرهه أشد
الكره..

لم يفهم نادر لم يشعر بالغضب فجأة بل انتفخت أوداجه ووجد
نفسه ينطق دون تفكير:
- لقليل من العجز شعرت به تُسلم نفسك بكل بساطة لأبي
شخص كي يؤذيك.. كم أنت جبان!

لم يكذب ينطقها حتى اصفر وجهه وشتت نفسه الغبية، فبالكاد

هدأ فارس وها هو الآن يُشير بصوته فقط لأن طبيعته العنيدة التي
لم تعتد الاستسلام كرهت جنبه، وبالفعل كان لقوله أثر سيئ فقد
توقفت دموع فارس وكاد يستأنف عنفه السابق معه فقد أهانه
بشدة..

« ذلك الشخص الذي كان يتلو القرآن هو أنا! »
هتف نادر بارتباك وبابستامة باهتة، كانت مجرد فكرة بائسة
قفزت لعقله، إلا أنه وجد أنه لا بأس من تجربتها ما دام قد فقد
أمله بتهدئته..

ولكن ولد هشته تلك الكلمات جعلت كل ذرة من كيان فارس
تسكن.. بل وشعر نادر بأنفاسه المتباطئة وتصلبه..

لقد شلت كيانه لتعبت برأسه..
بتفكيره..
ولم يظن نادر أنها قد تكون ذات أثر كبير عليه، ومجدداً كانت
فرصته المثالية لنتزع الحقنة..

ولكن وقبل أن يهّم بفعلها كان قد أعاد فارس رأسه للخلف
محاولاً رؤية نادر فشد نادر على رأسه مبقياً له على كتفه وهاثقاً
به:

« لا تنظراً! »

كانت كلمتان فقط احتاجهما فارس ليتيقن أن هذا الصوت هو

نفسه الصوت الذي سمع منه التلاوة سابقاً..
ومع رحيل كل ذلك الغضب من أعماقه وإدراكه أن من أمامه
شخص مختلف عمّن يتوقعه..
اشتم أنفه العطر نفسه..
عطر نادر..
ذلك الشخص الذي لم يؤذه واكتفى بتغطية عينيه..
بل ومنحه قناع عينيه..
وغير له وجبات طعامه..
والآن أيضاً هو لم يؤذه..
واكتفى بتقييد حركته.. بل واحتمل هيجانه..
والأهم من هذا كله..
شخص مختلف..
شخص مختلف..
شخص حقيقي..
ليس مطارده المتنكر وسجانه..

وفي هذه المرة كان نادر قد نجح بانتزاع الحقنة حين شعر
برأس فارس الذي انحنى أكثر على كتفه بل وكفيه اللتين ارتفعتا
لتشدا على قميصه بقوة.. بل كادت أن تمزقانه وكأنه يخشى اختفائه..

لينهار كل تماسكه على هيئة جيش جديد من الدموع ..
دموع حارة حارقة شكت ألم وحزن ثمانى سنوات ..
وارتفع شهيقه وزفيره مطلقاً أنفاساً ملتهبة ..
كان يشهق بالبكاء حتى خُيل لنادر أن أنفاسه قد انقطعت وما
عاد قادراً على التنفس ..

ارتخت ملامح نادر وما عاد قادراً بحق على استخدام حقيقته
وهو يشعر به يتشبث به أكثر فأكثر ذراعيه فهو لم يعد بحاجة
لتقييده ..

.. هل هذه تلبية ما ينادي

« أخرجني . »

.. هل هي ما ينادي

نطق بها فارس بتوسل وبصوت مرتجف مهزوز ..

- لا أستطيع .

.. ملائكة نه

أجابه نادر بكل صدق بعد دقيقة صمت .. فلماذا يكذب
عليه؟! ويغرقه في أمل زائف؟! ..

.. هل هذه

ازداد بكأؤه حدة ولاحظ نادر أن عنقه قد تبدد بل وتحول لذاته
المسالمة ..

.. هل هي

« ألاني سيئ؟! »

.. هل هي

بحروف متوجعة مختنقة ببكائه سأل فجأة، ولم يعلم نادر إن
كان ظن عن نفسه أنه سيئ لأنه رفض إخراجه من جسده؟! أو
بسبب ما قاله سابقاً أمام الحاجز عن كونه قاتلاً؟! ..

انتبه فجأة لتناقضه الشديد ففي المرة الماضية كان يخبره عن
كونه ليس سيئاً وأنه سيُحسن التصرف إذا ما أخرجته!! والآن
يسأله إذا ما كان سيئاً!!...
ولم يأخذ الأمر كثيراً من نادر ليُدرك أن الفتى لا يعاني من
المتلازمة فقط... بل من عدة أمراض نفسية أخرى قد يكون كل
واحد منها أشدّ سوءاً من الآخر...
فهو إضافة للمتلازمة تتعذب نفسه وتكابد عقدة ذنب مرضي
لماضي لا يغفره لنفسه...
يُعاني من اتهام الذات وضعف الأنا...
بل الأسوأ على الإطلاق الفتى غارق بعمق وسط اكتئاب حاد
وهو ما تسبب بدفعه لمحاولة الانتحار مراراً وتكراراً...
كل تلك المشاعر السلبية والأمراض النفسية ما دام يصاحبها
الاكتئاب فهو بلا شك سيجعلها أضخم وأقوى ضرراً...
الآن فقط أدرك سكر بكائه الشديد وعدم قدرته على إيقاف
دموعه ومنعها كباقي الفتيان...
الشعور بالاكتئاب ليس بخيار حر، فالإنسان لا يبحث عنه ولا
يستجلبه، تماماً كالإنسان الذي لا يبحث عن مرض السرطان أو
مرض السكر.
هدأت تعابير نادر وعسلياته تنزلان للأسفل ينظر نحوه، ما زال

الفتى يتشبت به ويكرر سؤاله الغريب عن رأيه به..
سؤاله كان بمثابة رسالة تستجدي دعم ومواساة يجب عدم
التغاضي عنها.. رسالة تكشف أنه داخلياً ليس على ما يرام.. وفي
كثير من الحالات يعجز مريض مثله عن التعبير عن ألمه ومعاناته،
ولا يملك الوسائل للتعبير عنها ولكن فارس بسؤاله فقط كان قد
أوصل كل شعوره وألمه ومعاناته لنادر..

« أخبرني.. هل أنا سيئ؟! »
أعادها فارس بنبرة باكية مُلحة مستجدياً الإجابة من نادر بكل
لهفة ليحسم شكه ويتخذ قراره ما بين خيارين..
إما الموت.. أو الحياة..
الحياة إذا ما أخبره نادر أنه ليس كذلك..
والموت وقتل نفسه إذا ما أكد له صدق شعوره بأنه سيئ..
« نعم أنت سيئ.. »

شحب وجه فارس وارتخت أصابعه من فوق قميص نادر
وانقبض قلبه.. تلك الإجابة بدت كما لو أنها قتلت قبل أن يقتل
نفسه..
حتى هذا الشخص الذي لا يعرفه وعلق القليل من الأمل به قد
حطمه وقتل أمله الضئيل..

« لأنك أذيت نفسك.. »

أردف نادر فجأة بحدّة ليشعر بحركة فارس المعترض على إجابته فليس هذا ما كان يسأل عنه...

بل كان يسأل إذا ما كان سيئاً لمقتل لَمَى.. لمغادرتها الحياة أمام عينيه... ولكن نادر لم يسمح بابتعاده وهو يتابع قوله:

- أنت سيئ جداً لا يذائك نفسك.. وإذا ما حاولت أن تفعل ذلك مجدداً فسأكون أسوأ بالتأكيد وعندها أنا من سيرغب بقتلك.

وشدد على كلمته الأخيرة وكأنه يرسل له تهديداً ساخراً فما دام فارس لا يريد أن يكون سيئاً فلا بأس من أن يستفيد من ذلك في مهمته..

«أنا لا أعني هذا..»
رد فارس بحدّة مؤمناً أنه بمحاولة قتله لنفسه ليس سيئاً بل ومتيقناً من ذلك ولكن كلمات نادر التالية عبثت بكل أفكاره بل وقلبت كل تيقنه لشك وكل شكوكه ليقين..

- أيها الفتى عندما يخبرك الآخرون أنك سيئ فأنت سيئ.. ولكن عندما تخبر نفسك أنك سيئ فأنت لست السيئ.. فالأشخاص السيئون والمجرمون والأشرار لا يعلمون أنهم سيئون إلا عندما يخبرهم من حولهم أنهم سيئون حتى أن بعضهم

يدخل السجن لجريمة ارتكبتها وهو ما زال يُصر على أنه كان
محقاً وليس سيئاً بل ولا يشعر بأي ندم. ..
: تلك الكلمات كانت محملة بعاطفة غريبة أحس بها فارس
ولامست قلبه وشدت كل انتباهه. .. إذا ما دام يشعر بأنه سيئ فهو
حقيقةً ليس سيئاً لأن المجرمين لا مشاعر لهم ولا يشعرون
بالسوء لجرائمهم بل والأسوأ أنهم يرون أنفسهم جيدين. .. (إذا هو
ليس سيئاً). .. كان قد وصل به تفكيره إلى هذا الحد حين سمع
سؤال نادر التالي:

- إذاً هل أخبرك أحد قبلي أنك سيئ؟
أو ما فارس برأسه أن « لا » حتى أنه لم يستطع النطق فقال نادر
بابتسامة:

- إذا أنت لست سيئاً أبداً. .. حتى هذه اللحظة لمحاولتك إيذاء
نفسك.

شيء ما تفجر في قلب فارس، شغور لا حدود له من الراحة
أسال دموع ابتهاج تعاكس سابقتها وهو ينطق:

- لن أؤذي نفسي مجدداً.

وابتسم « لأني لا أريد أن تراني سيئاً! »

وكاد قلب نادر يرقص فرحاً. .. كانت مفضلة ولكنه استفاد

منها لسنة أشهر قادمة. .. لن يرهق نفسه مستقبلاً بإنقاذه ولا

بمغالجة عنفة وجنونه..

فقط سيراقيه من خلف الحاجز بكل ارتياح..

شعر بالفخر لذكائه وثيسليز مهمته مستقبلاً وبالتالي بقاء
وظيفته..

ولم يدرك فارس ذلك كله.. وسيطرت عليه رغبة عارمة برؤية
وجه نادر، ولكن لم يكد يُبعد رأسه قليلاً حتى داهمه ألم شديد
من جرح رأسه..

تأوّه جعل نادر يرتبك بشدة النسيان جرحه وعندها مديده
ليلا ميس ياقة قميصه ساخبا لها للأسفل كاشفاً عن كتفه ثم غرس
نصل الحقنة في كتفه..

والغريب أن فارس لم يُبدِ أي مقاومة وكأنه ياتمنه نفسه،
وباستسلام تام عقد حاجبيه فقط والنصل يخترق كتفه مؤلماً له
ومرسلاً سيلاً من الخدر جعل جسده يرتجى بالكامل..

وبالكاد استطاع نادر إمساكه وجسده يزداد ارتخاؤه حتى أن
رأسه سقط للخلف ليظهر أمام عيني نادر وأجهه وأقبح علت شفثيه
ابتسامة واهنة وعيناه تحقدان به..

أسرع نادر يسحب قناع العينين المعلق برقبته ليغطي به عينيه
ولكن صدمته يد فارس التي شددت عليه مانعة له متمماً بوهن...
« سيتسخ »

بالكاد قالها ليفهم نادر سبب رفضه.. لا يريد أن يتسخ قناع
العينين بدمائه..

(هذا الشيء السخيف يعني له الكثير حتى أكثر من صحته)..
تمتم بها نادر باستنكار شديد ولكن بحق لم يكن بحاجة
لاستخدامه فعينا فارس بالكاد مفتوحتان...
«أنت.. أيضاً.. لسيت سيئاً.»

غادر اللون وجه نادر لعبارة فارس - التي بالكاد نطقها مقاوماً
ثقل لسانه - واتسعت عيناه ولورأى أجد تصليبه لظن أنه فقد
الشعور بما حوله وعيناه تحديقان بوجوم بوجه فارس المبتسم..
كلماته الجميلة شعر بها تعذبه أكثر من كونها تمتدحه.. كانت
كخنجر نكأ جرحاً قديماً وراح يذور وسطه متلذذاً بإيلامه..

لامست نقطة ضعف لطالما كرهها.. وفي أعماقه شعر أن
فارس قد استشف من كلماته السابقة شيئاً من شعوره المخبأ
لذلك قالها له..

زفر بقوة فبقدر ما أثرت به..

قد آذته.. قد أغضبته..

والأسوأ من ذلك نقرت نفسه على صاحبها..

ولدقائق قاوم نفسه قبل أن يُظلم وجهه وهو ينحني ليحملة ثم
بغلظة وضعه فوق سريره ليهتم بجرح جبهته..

وفي نفسه قرر قراراً لن يستطيع أحد ثنيه عنه مهما كان..
حتى لو كان فيه فقدان المال الذي يسعى إليه..

الفصل السادس

- 21 مايو -

« ماذا حدث لرأسه؟! »

كانت السادسة صباحاً حين صرخ ياسر بجزع ووجهه الملتصق بالحاجز الزجاجي يكاد يخترقه محدقاً بفارس الذي التف شاش حول رأسه وقد غرق في نوم عميق، ثم التفت بحدة نحو نادر سائلاً بوجل:

- هل حاول قتل نفسه؟

أوماً نادر برأسه إيجاباً ليشق ياسر غير مصدق إجابته السريعة لسؤاله، فيما استشعر من وجهه المتجهم وعينيه الفاترتين أنه منزعج للغاية بل وعلى غير سجيته..

« إنه مُزعج ومُرْهق ومُتعب.. لا أعلم سبب حفظكم لحياته؟! »

قالها ليُصعق ياسر تماماً وهو يراه ينحني ليحمل حقيبة كبيرة على كتفه بعد ارتدائه لمعطف يقيه الأمطار بالخارج - والتي لم تتوقف - رامياً معطفه الطبي فوق الأريكة..

« أنت راحل؟! »

صرخ ياسر بضيق وصدمة ولكن نادر لم يهتم بالرد عليه،

وعيناه تُحدقان بذلك النساكن فوق السرير للحظات قبل أن يغادر
صافقاً الباب خلفه.

صنعت خطواته دوائر متموجة فوق برك المياه التي غطت
شوارع العاصمة واتسعت واتسعت لتتشابك مع الدوائر التي
صنعتها قطرات الأمطار الجديدة..

رفع نادر قلنسوته لتغطي رأسه والتفت ينظر للمطعم الذي
أخذه أحمد إليه سابقاً، ابتسم بخبث فلا بد من أن أحمد قد تركه
بعد أن وشى به لأمه بأنه يعمل فيه متجاهلاً تطبيقه العملي
بالمستشفى..

« لا بد أنه يولول الآن متمنياً لو أنه لم يعرفني يوماً. »

قالها ساخراً ومشى بهدوء نحو المطعم فقد كان مرهقاً لسهره
الليل كله كما أنه جائع وعليه أن يتزود ببعض الطاقة قبل أن يسعى
للبحث عن المال في مكان آخر..

دخل ليغمّ الدفء جسده ثم نزاع معطفه وحجز إحدى
الطاوولات.. كان المطعم شبه فارغ من الزبائن بسبب الأمطار..

جاء إليه أحد العاملين ليأخذ طلبه ثم غادر، فاتيكا نادراً على
الحائط من خلفه ساندًا مؤخرة رأسه عليه وراحت عيناه تُحدقان
بما أمامه في شروء..

مرت نصف ساعة بأكملها ونادر لا يخفض رأسه ولا ينظر لما حوله..

كان غارقاً.. غارقاً تماماً في تفكيره..

وقد علت عينيه نظرة بها شيء من الحزن..

(تداخلت الأصوات ووقف الحضور وعلا صوت طرقات مطرقة القاضي محاولاً تهدئة ذلك الصخب..)

وأمام سجن صغير بإحدى زوايا قاعة المحكمة علا صراخ امرأة كبيرة بالسن وبكاء شيخ طاعن بالسن وكفوفهما التي ملأتهما التجاعيد تتمسك بقضبان ذلك السجن الذي حُبس خلفه فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره وقد عكست عيناه ألماً وتأثراً كبيرين لرؤيته والديه الكبيري السن اللذين لم يستجيبا لصيحات رجال الشرطة الأمرة لهما بالابتعاد عن السجن فسحبوهما بخشونة وغلظة شديدتين حطمتا فؤاد ولدهما الذي راح يصرخ غاضباً: «توقفوا عن جرهما.. اتركوهما!..»

علا صراخ العجوز التي ما زالت عينها الحمراء وان من شدة البكاء مُعلقتين بولدهما: «ما فعلت بولدي هذا!..»

نادر أخبرهم.. أخبرهم أنك سيئ.. وأنت نادم..

ازداد غضبه وثورته لقول أمه فصرخ:

- أمي.. كم مرة قلتُ لكِ أنا لستُ سيئًا.. ولا يهمني أن ينظروا لي بسوء.. أنتِ فقط ووالدي لا أريد أن أسمعكما تقولان عني سيئ.

كان قد أنهى قوله حين رأى والده يضرب بعكازه أحد الرجال ليتجه نحوه مسرعًا قائلاً بتوسل:

- بني ما فعلته سيئ.. أخبرهم بذلك واعترف كي يخففوا الحكم عليك.

كلماتهما كسرت قلبه وملأت عينيه بالدموع أكثر مما ألمه وجوده خلف هذه القضبان وضياح مستقبله.. التفت بعينين ملؤهما التلهف والأمل إلى حيث صديقه أحمد يقف ليقول راجيًا:

- أحمد.. أنت تعرفني جيدًا.. أنا لست سيئًا.. أخبرهم.. أنا لست سيئًا.

التقى حاجبا أحمد وبدأ أنه يدافع دموعه وقلبه يؤلمه لسجنه وفراقه وهو يجيبه هامسًا:

- بل أنت الأسوأ.

ذلك الأمل البسيط تحطم إلى أجزاء صغيرة وتلاشى دفعة واحدة لترتجف شفتا نادر وعيناه تجوبان ما حوله..

والديه..

أصدقاءه..

طلاب مدرسته..

معلميه..

جيرانه..

يريد أن يسمعها ولو لمرة واحدة قبل صدور الحكم عليه..
ولكن الجميع اكتفوا بالضممت ونظرات مُشخّخة بالتأنيب
والاستياء..

« أنا لست سيئاً.. ولست نادماً.. سحقا لكم جميعاً. »
صرخ بها أمام القاضي وأمام الحضور ليعلو اللغظ والشهقات
والنظرات المستهجنة المستنكرة.. وبالفعل كان لكلماته تلك أثر
كبير على القاضي الذي أصدر حكمه عليه دون ذرة رحمة واحدة:
- نادر عبد المجيد.. تم الحكم عليه: مُذنب.. وبالسجن
لعامين بدلاً من ستة أشهر لإصراره على جريمته وعدم الندم
عليها.. وسيقضي فترة سجنه بسجن البالغين وليس الأحداث.
لم يكدّ ينهي إصدار حكمه حتى شحب وجه نادر وانهارت الدموع
من عينيه لرؤيته والده يسقط أرضاً من عظم ما ألمّ به من حزن ووالدته
تحبو نحوه باكية فراقه.. تلك الحادثة غيرت حياته بالكامل..
ولم يعلم بأن والده أصيب وقتها بجلطة إلا في السجن.. تلك
الجلطة أقعدته وأفقدته القدرة على المشي والنطق..

عامان بأكملهما قضاهما في السجن يُقاسي عنب القتل
واللصوص والمبتزين والمنحرفين ويقاومه بكل استماتة..

عامان صنعاً منه شخصه الجديد ليخرج من السجن وينبذ
الجميع كما نبذوه سابقاً..

بل وما زالوا.. فأى عائلة؟! وأي فتى؟! وأي عاقل سيقبل بأن
يكون له به صلة وهو خريج سجون؟!..

همساتهم المانعة أطفالهم من الاقتراب منه وتلميحاتهم
الجارحة وسط المدرسة ما زالت ترن في أذنيه..

ولكن هل يظنون أنهم سيؤثرون به؟!..

كلا.. فكما رأوه سيئاً سيكون سيئاً.. وما ظنوه عنه سيئاً من به
ويصدق بل وسيكون أسوأ..

وهكذا مرت أيامه إلى الآن دون أن يستمع ولو خطأ أنه لم يكن
سيئاً يوماً ما.. و..)

..

وفجأة..

تمزقت ذكرى ماضيه، وأطلق شهقة مقزوعة حين خط أمام
عينه مشروب غازي كاد يكسر الطاولة من أعنف ارتطامه بها،

رفع عينين تتقدان شراً سليبش بهذا الوقح القليل التهذيب
الذي أفزعه..

ولكن لم تكد ترتطم عيناه بالواقف أمامه حتى تمت بصدمة:
«أحمد!»

حمل لفظه كل ذهوله وغيناه المتسعتان متشمرتان على أحمد
الذي اقترب منه ليجلس على مقعد مقابل له قائلاً:
- أكلاً.. بل شيطانه وقرينه.

تراجع نادر للخلف واعتدل في جلسته بعد أن تجاوز صدمته
ليُرخي ساقه للأسفل دافعاً حقيقته تحت الطاولة كي لا ينتبه لها
أحمد..

ولكن يبدو أنه قد فات أوان ذلك حين راح أحمد يرتشف
أمامه كوباً من القهوة الساخنة وقد عكست عيناه شماتته وهو
يقول:

- ستكون حديث القرية لأشهر عديدة وقد ينسليهم ذلك
فضيحة أحدهم.
ازدرد نادر لعبابه وبدأ قلقاً حقاً إلا أنه حاول التماسك أمامه
قائلاً:

- لقد أخذت إجازة ليومين فقط أتجول فيهما في العاصمة.
ارتفع أحد حاجبي أحمد ساخراً منه:
- بحقيقة تكاد تكون أثقل منك!!
ثم عقد كفيه أمام وجهه واتكأ بذقنه عليهما مضيقاً:

- أي مستشفئ هذا الذي يعطي موظفيه إجازة بعد نصف شهر فقط من بدء عملهم!!

كانت كذبتة مكشوفة بالكامل أمام أحمد وهذا ما أدركه نادر فلاذ بالصمت بل وسحب علبة المشروب الغازي ليجرع محتواها مما جعل أحمد يقول: موت.

- إنه حمضي. خلا رسالة من نادر

لم يكن بحاجة ليقولها فبمجرد أن ارتشف منه نادر حتى تغير وجهه وراح يبصقه على الأرض وقد احتقن وجهه بشدة مما جعل أحمد يضحك بقوة فالتفت إليه نادر بعينين كالحمم اشتعالاً

« كنت تقصد ذلك. »

قالها نادر بنبرة ثائرة ليقطع أحمد ضحكاته

- نعم.. لعل الحساسية التي تعانيها من الحمضيات تقتلك وتريحنا منك. بعد أن أوصى نادر.. هبة شاذلي

تضخم العرق في جبين نادر وبدأ وكأنه سيقتله بنظراته قبل قبضته المكومة ولكن يندو أن أحمد بالفعل قد فقد عقله ليعبث معه متابعاً بشئ: .. ما بين ساعة وساعة تبدأ الشفت

- بل وليس هذا فيحسب.. فأنت طلبت قهوة في هذا الجو البارد وها أنا أحسسيها أمامك بل ووجبتك آخرتها لنصف ساعة

كي تثور وتصبرخ فنقذفك خارج المطعم... ولكنك اكتفيت
بالصمت والشرود مما جعلني أستنكر ذلك فاقتربت منك لأجد
جقيبتك إلى جوارك مطروداً من وظيفتك و...

« هل أبلغتك أمك سلامي؟! »

قاطع نادر ليغص أحمد بقهوته ويشغل عدة مرات محاولاً
التقاط أنفاسه قبل أن يرفع عينين محدتين غاضبتين.. فضحك
نادر وانحنى نحوه قائلاً:

- أوه.. أسف.. يبدو أن جرحك لم يُشفَ بعد..

ضرب أحمد بقهوته على سطح الطاولة ليتناثر الرذاذ من
حولها وقد بلغ غضبه أقصاه.. (بحق ألم يكفه ما فعله به ليتشمت
به أيضاً؟!)

رد نادر نظراته الحادة بنظرة باردة وهو يجوب المطعم بنظراته

قائلاً:

- ظننتي لن أجذك فيه... ولكن يبدو أن الحياة تحمل لنا

المفاجآت دوماً.

أعاد أحمد ظهره للخلف قائلاً بضيق:

- بفضلك أنت قطع والداي المصروف غني لأجد نفسي

أعمل هنا طلباً للمال كي أعيش بدلاً من الزواج.

- ووالدها لم يطردك؟! -

- لماذا يطردني؟!.. هل أنا غبي لأجعله يعلم؟!.. فما قلته قد
انتشر بكامل القرية فقط وقد فسخت تلك الحمقاء الخطوبة
وكانها ليست سعيدة بذلك.. هي لم تكن تريدني أساساً والدونا
هم من أخذوا زمام المبادرة وأجبرونا على الخطوبة..

ابتسامة عابثة تراقصت على شفتي نادر وهو يقول:
- إذا عليك أن تكون شاكرًا لي فقد هيأت لك طريقًا للزواج

ممن تحبني..
نظرة حاقدة أطلت من عيني أحمد:
- وكأنك تهتم؟!..

تظاهر نادر بالصدمة والانزعاج وكأن أحمد جرحه فنهض
ليقول زافعًا صوته:

- حسناً ما دمت لا أهتم لك سأذهب لأخبر مدير المطعم أنه
كان لديك في قريتنا خطيب..

«سحقاً!»..
صرخ بها أحمد وهو يسرع ليضغط على كتفيه معيداً له على
مقعده وهاماًسًا:

- أنت لا تزدد مع الأيام إلا سوءاً.. بحق أكره قلبي الطيب
الذي دعاك تلك الليلة لوجبة عشاء..
ابتسامة خفيفة غطت شفتي نادر وهو يجلس ليضع ساقاً فوق

الأخرى وناظرًا لأحمد بصمت، فيما التفت أحمد خلفه بوجل
وحين رأى أن المدير لم يسمعه عاد بنظراته الملتحدة ليرى نادر
ينظر له بحدة:

« لا تفعلها مجددًا. »

صوته العميق ونظراته أشعرت أحمد بالخوف وقبل أن يسأله
عن مقصده كان قد تابع:

- لا تحاول الانتقام مني عن طريق إغضاب والدتي.

كلامه أشعر أحمد بالذنب فهو أخطأ بالفعل ولم يجد شيئًا
ليبرر فعله سوى قوله:

- لقد أغضبتني حين أخبرت المدير بما كنا نفعله ونحن
صغار.

- أنت أخطأت أولاً... لم يكن عليك إحضاري للمطعم
واستغلالني.

- لم لا تفهم؟! ... أقسم لك أنني لم أكن أهدف لاستغلالك..

لقد جاء المدير نحونا وعندها خطرت لي الفكرة وندمتُ حقًا
وقتها وزدت ندمي بحديثك الفظ عني أمامه.

أحمد أنت تعلم أن والديّ خط أحمر... حتى لو قتلنا بعضنا
بعضًا يجب ألا نكون طرفًا في خصامنا.

« أسف. »

قالها أحمد هذه المرة بندم حقيقي ورفع رأسه. وكان هذه
المحادثة قد أزالَت شيئاً من مشاغلتهما والأعجب أنها قلبت
موازين المعادلة بأكملها ليصبح أحمد المخطئ..

وراحت عينا أحمد تُحدقان بنادر بلهفة وكأنه ينتظر أسفه. هو
الآخر ولكن نادر اكتفى بالصمت ومراقبته فتنهَّد أحمد بخيبة..

- لم تجد ما تنتقم به مني أليس كذلك؟! -

سأله نادر بثقة وغطرسة فضاقت عينا أحمد مجيباً:

- ألم أقل لك إنك قد جعلت مني شيطاناً؟! ما فكرتُ به كان

شنيعاً للغاية.

- لا تكذب، لم أفعل شيئاً يذكرك به.

- ولم أكذب؟!.. أظن فقداني لِمَال والدي كان هيناً عليّ؟!..

كنت سأقدم على فعل سيئ بحقك ومن الجيد أنك جئت إلي هنا.

ثم نظر للحقيقة « فعلى ما يبدو أنه لم يعد ذا فائدة ما دامت قد

طرُدت. »

اتسعت عينا نادر لفهمه ما يعنيه، بينما حدق أحمد بالمطر

خارجاً وقال:

- كنت أريدك أن تفقد المال كما تسببت في فقدي لمصروفي.

مرت لحظات صمت بين الاثنين.. ولم يلتفت أحمد لينظر

لوجه نادر المحتقن بدماء الغضب والصدمة..

« لا أريد أن أخسرك مجدداً. »

قالها أحمد فجأة بهدوء شديد وعيناها تحدقان بالأشجار المتمايلة في الخارج بفعل الرياح مخفياً عنيهِ اللتين حملتا تعبيراً متأثراً عن عيني نادر ومتابعاً:

- لو فعلتها لَكُنْتُ خسرتكِ للأبد! مجرد التفكير بأن أذهب إليهم وأخبرهم أن لديك سابقة جنائية آلمني بشدة وأغاظني.

ثم التفت بنظرة حادة عصبية:

- هل لاحظت أنك بتصرفاتك تدفعني للأسوأ؟! رة أمة

كانت ملامح نادر المتجهمه تنبئه بمدى غضبه كان يغلي من الداخل.. أن يستغل نقطة ضعفه الوحيدة ضده والتي قلبت موازين حياته ودمرت والديه - هو بحق لا يشعر بأنه قادر على أن يتسامح معه.. ماذا أريد منكم؟

- نادر.. لقد ظللت لثمانية أعوام أتبعك بعد خروجك من السجن أملاً بأن تقبلني وبالكاد منحتني بضع مرات من وقتك ولكنك لم تكف عن تصرفك الغليظ معي فهل تظن أنني قد لا أزد بعضها لك؟! رة أمة

« اذهب وأخبرهم إن كنت تريد دخولي السجن مجدداً.. »

اتسعت عينا أحمد لقول نادر المفاجيء فهتف بذعر:

- ماذا؟! ولماذا ستتدخل السجن مجدداً إن أخبرتهم؟! رة أمة

- بسبب جريمة قتلي لك..
غادر اللون وجه أحمد وعكست عيناه خوفه من عيني نادر
اللتين عكستا عزمه على قتله حقاً إذا ما فعلها فابتسم بتوتر قائلاً:
- لم يعد هناك حاجة لذلك فقد طردت مسبقاً..
ثم مال نحوه محاولاً تغيير دفة الحديث قبل أن تشتعل الأمور
بينهما:

- لماذا طردوك؟!.. هل كنت وقحاً مع مديرهم؟!
كان نادر يحاول تمالك أعصابه ومن الجيد أن تلك العبارة (لا
أريد أن أخسرك مجدداً) قد امتصت كثيراً من غضبه، فأعاد ظهره
للخلف وسحب كوب القهوة الخاص بأحمد ليشربه فيما ابتسم
أحمد باستسلام تام فقد اكتفى بحق من استفزازه..
أوماً نادر برأسه أن « لا » مجيباً سؤاله..
وعندها سأله بانفعال:

- هل تم خصم راتبك؟!.. هل قللوا من مقداره؟!.. أم أنهم
رفضوا إعطائك إياه حتى تُتم الأشهر الستة؟!
بدا نادر ممتعضاً وهو يتمتم:

- سحقت!!.. لماذا أسئلتك تدور كلها حول المال؟!
- لأنه إن لم يكن من أجل وقاحتك فبالأكيد لا بد أنه من أجل
المال الذي تحبه.

- هكذا تقولها في وجهي وبكل بساطة؟! وتقول عن نفسك لطيف؟!

- ليس حين أكون معك بالتأكيد... ثم منذ متى كان لديك إحساس؟!

هذه المحادثة لا تلبث أن تتجه للأسوأ دائماً.. هذا ما أدركه الاثنان ليضحكا معاً على نفسيهما..

« أنا تركت الوظيفة؟! »

تحولت ضحكات أحمد لوجوم شديد:

- أنت تمزج؟!!

- لست في مزاج جيد لأمزح معك..

- إذا فقد أصابك مس؟! لا بد أن ذلك المبنى مسكون.

- أنا الآن أمامك بخير.

- تباً.. أعد إلي صديقي نادر.

قالها أحمد بعبوس وصدمة وكأنه ينظر لشخص آخر..

ملامحه وكلماته جعلت نادر يكتم ضحكاته بصعوبة وهو يرد

بهدوء:

- فقط سئمت من ذلك الفتى.. كما أن اضطرابه الغريب لا

علاج له.

- وهل كنت تسعى لعلاجه بحق؟

سؤاله المصدوم جعل نادر يفتح شفثيه بشبه صدمة هو الآخر.. فيما ابتسم أحمد بسعادة وهو يحثه قائلاً:

- ليس عليك أن تيأس.. حتى لو انخفض مرضه للربع فذلك سيكون نجاحاً بالنسبة لك فأنت مبتدئ ولا تنس أنك دخلت هذا المجال وأنت لا تحبه.

ولم يستطع إخفاء انشراح وجهه سروراً غير مصدق أن نادر قد أخذ وظيفته على محمل الجد، فيما ظل نادر غارقاً في تفكيره فهو لم يخبره بالحقيقة.. ولكن بدا وكأنه أخبره بشيء آخر هو لم يدركه أو ينتبه له.. فهل هو حقاً سعى لعلاجه؟!

تذكر تصرفه مع فارس في كل مرة حاول بها إيذاء نفسه.. صحيح أنه كان يمنعه من أجل حماية وظيفته ولكن طرقه التي كان يتبعها كانت جميعها نافعة ولا تضر الفتى!!..

لاحظ أحمد أنه لا يسمعه فابتسم قائلاً باندفاع:

- أهذا ما كان يحزنك قبل قدومي إليك؟!.. يا رجل لولا نظراتك الحزينة تلك لم يكن ليرق قلبي عليك وأنضم إليك.

اهتز حاجبا نادر بانزعاج:

- أنا!!.. متى كنت حزينا؟!.. كلا.. لقد قلت لك إني سئمت منه.. ذلك الفتى كالطفل.. يتصرف تصرفات حمقاء.. ويعاني من عدد كبير من الأمراض إضافة لمرضه.. وبالكاد يتحدث.. ليتفوه

بكلمات غريبة.. و..

- ماذا قال؟!

قاطع أحمد ثرثرته المتوترة والغريبة ليجد نفسه يجيبه بلا تفكير:

- إني لست سيئًا.

ارتخت ملامح الاثنين وعلاها الوجوم معًا.. أحمد لإجابته!!.. ونادر لتسرع!!

ظل الصمت سيد الموقف لثوانٍ وهما يتبادلان نظرات متوترة، كلاهما فهمها.

« اطلب إذا مريضًا آخر. »

قالها أحمد بجدية شديدة قاطعًا ذلك الصمت، وإن بدا من عينيه أنه لا يزال غارقًا بصدمته.. هل لا يزال نادر متلهفًا لسماع هذه الكلمة منذ عشر سنوات!!.. أم أنها فقط ذكرته بذاك الماضي المؤلم ونكأت جرح قلبه إلى الحد الذي تخلى معه عن وظيفته والمال الذي يسعى إليه؟!

- لا يريدون مني سوى الاهتمام بذلك الفتى.

- أخبرهم أنك مبتدئ ومن الصعب عليك علاجه.

- هم ليسوا مهتمين بعلاجه ولا بصحته.. كل ما يهمهم هو الأموال التي تتدفق عليهم من عمه.. والسعي للتخفيف من مرضه

سيكون شيئاً بالنسبة لهم لانقطاع المال.

ازدادت ضدمة أحمد وعقله لا يكاد يصدق أن مثل هذه المصحات المستغلة موجودة فصاح بجزع:

- إذا هم يستغلونه؟!!

- بالكامل.

قالها نادر ليرتجف صوت أحمد غضباً:

- وأنت تدرك ذلك دون أن تفعل شيئاً؟!!

عاد الجدال بينهما مجدداً، ليزفر نادر محنقاً:

- وما عساي أفعل؟!..

- أبلغ عنهم.. أخبر عمه.. تصرف كإنسان لمرة واحدة فقط.

قال الأخيرة بتوسل وصوت ممدود، مما أغاظ نادر فرد بغلظة:

- الجميع لا يروني كإنسان.. أنا سيئ بنظركم.. والآن أيها

الوغد تتجراً لتطلب مني شيئاً يخالف توقعاتكم؟!!

- ولكنه لا يراك كذلك.

صدمه رد أحمد وارتد للخلف وداهمته المشاعر ذاتها التي

صاحبت نطق فارس بها.. تمنى لحظتها لو يمسح ذاك المشهد من

ذاكرته!.. لو لم يلمس تلك الأزرار!.. بل تركه الفتى ليشج رأسه

وينزف دماً كان أهون عليه من سماعه لتلك الكلمات فهو لم

يكن للحظة من حياته يظن أن هناك من قد يراه بشكل مغاير لما

عُرف عنه!!... من قد يعبث باعتقاده ويضعفه!
والأسوأ من ذلك أن أحمد قد استغل ذلك بالكامل ليتابع
تأنيبه:

- كان عليّ أن أدرك أنك لن تغادر إلا الهدف سييء.. أنت لا
تريد أن تتحمل مسؤولية ذلك الفتى المسكين إذا ما حدث له شيء
بأيديهم..

- ولماذا أهتمُّ به؟.. هو مريض ولا يؤخذ بكلماته.. كما أن
اهتمامي به المناقض لرغبة المستشفى سيكون عديم الجدوى
سأطرد فقط وسأفقد المال.. أي أني سأكون الخاسر.

- لهذا اخترت أقصر الطرق ستركهم أولاً قبل طردهم لك
وتستغل الوقت بالبحث عن المال في مكان آخر بدلاً من تضييع
وقتك في العناية بـ..

قطع أحمد حديثه فجأة لشيء طرأ بباله ليسأل بفهم متوسع عن
آخره:

- مهلاً.. مهلاً.. هل أفهم من كلامك السابق أنك لو بقيت
كنت ستهتم به لذا هربت؟!..

وبلل شفثيه الجافتين وعيناه تغوصان بعيني نادر المتجمدتين
باحثاً عن إجابته قبل أن يصيح:

- لقد خشيت أن يُضعفك بكلماته إلى الحد الذي يجعلك

تهتم به وتخضع له فتفقد مال المستشفى ولذا اخترت طلب المال
خارجاً تاركاً إياه خلفك؟!!

«تَبَّأَ.. ها قد عدنا للمال مجدداً»

صرخ نادر راجاً المطعم بأكمله ليلتفت العدد اليسير من
الزبائن نحوه بل هو لم يهتم لنظراتهم حين انبته لجملة أحمد
الأولى ليظلم وجهه ويقول بأنفاس ثائرة:

- من يضعفني؟!.. ومن أهتم به؟!..

أغاظته تلك الابتسامة البلهاء السعيدة التي غطت شفتي أحمد
فرحة بأن هناك من أثر به، ورفعت غضبه لأقصاه فوقف ليسحب
معطفه ويجر حقيبته من خلفه هاتفاً:

- لم يكن علي القدوم إلى هنا ولو مت جوعاً.

كان لا يزال مرهقاً ويبدو أن تعرضه للمطر قد أشعره بالبرد
ومع ذلك كان يدرك أنه لو بقي للحظة واحدة تحت سقف واحد
مع أحمد فسيتهي الأمر بقتله.

- أخبرني أيمن أنه قد تم رسمياً ضم أخصائي نفسي لفريق

التحقيق.

سقط معطف نادر وتصلبت يده فوق الحقيبة وهو يلتفت
لأحمد غير مصدق ما قاله له فجأة.. إذاً هناك أمل بانضمامه
لسلك التحقيق والشرطة بعد أن تم رفضه سابقاً لأن لديه سابقة

جناية.. تلك الكلمات بدت بمثابة الماء البارد الذي سُكب على نار نادر ليتبخر غضبه وثورته.

- نادر.. تركك لوظيفتك الآن ليس بقرار جيد.. عد وواصل العمل بالمستشفى وأثبت جدارتك فورقة من هذا المستشفى الشهير قد تقلب حياتك بالكامل لتكسب المال وهو ايتك معاً.. لم ينبس نادر بحرف واحد بينما بدا أحمد متقزراً:

- أنا لا أعلم بحق كيف تهوى تحليل جثث الضحايا الممزقة والدامية واصفاً الطريقة التي تم قتلهم بها.. بل المرعب أكثر أنك أتقنت حتى تحليل سلوك المجرمين وكلماتهم خلال التحقيقات.. بتر عبارته مفكراً للحظة ليتساءل: « هل هذا له علاقة بالمدة التي لبثتها في السجن؟! »

- أين شقتك؟!!

سؤاله الغريب أدهش أحمد ولكنه أشار بسبابته للأعلى: « فوق »

جر نادر حقييته والتقط معطفه ليتجه للسلاالم بدلاً من الخروج من المطعم وقد عاد إليه بروده بالكامل ليقول:

- سأنام بها إلى أن تبدأ نوبتي المسائية فلا رغبة لي بلقاء ذلك الممل ياسر.

أدهش استسلامه السريع أحمد وأسعده أنه استطاع إقناعه ولكن لم يكذ يدرك أنه سيستولي على شقته حتى أسرع ليمنعه

فهو ليس بحاجة لفقدان شقيقته كما فقد مصروفه..

- ٩ صباحاً -

اهتزت خصلات شعره السوداء فوق جبينه المضمّد إثر إفاقته،
جلس بهدوء مستمتعاً بشعور غريب لم يختبره منذ زمن طويل،
قلبه منشراح، نفسه تغمرها راحة عظيمة، حتى أن شفّيته علتها
ابتسامة مماثلة لتلك التي أغمض عينيه عليها قبل نومه..

واتسعت ابتسامته المبتهجة أكثر وهو يتذكر فجأة ما حدث
بالليلة الماضية..

أدار بصره في كل ما حوله وكأنه يبحث عن مُسبب سعادته..
ولكن كالمرّة السابقة اختفى مجدداً..

قفز لذهنه تساؤل مفاجئ.. هل منحه هذه المرّة شيئاً كما
منحه قناع عينيه؟!

حملت عينا فارس تلهفاً شديداً ونزل عن سريره ليجث عن
أي شيء جديد بالحجرة حتى أنه راح يبحث في ثيابه فقد يكون
نادر وضع له شيئاً بجيوبه كما وضع القناع فوق عينيه..

ولم تمضِ عشرُ دقائق إلا وقد توقف عن البحث فقد كان كل
شيء كسابقه ولا جديد، ولكن ذلك لم يهز ذرة واحدة من سعادته
ولم يحبطه..

تحرك ليقف أمام النافذة المقفل سياجها مجدداً ليحرق من
خلف زجاجها الشفاف لبرك المياه التي صنعتها الأمطار،
والتمعت أوراق الأشجار في خديقة المستشفى ببعض القطرات
التي ما زالت عالقة بها إثر انعكاس أشعة الشمس عليها..

كان صباحاً جديداً..

يوماً جديداً..

ولكنه بدا لفارس وكأنها حياة جديدة..

لشخص جديد..

رفع ذراعه بأكملها ملوحاً لفتيان في عمره نفسه يتجولون حول
المستشفى وراح يضحك ويصيح بسعادة منادياً لهم.. ولكن..
لم يكن لينتبه أحد لفتى بالطابق السابع ومن نافذة بالكاد سياجها
الحديدي يسمح ببضع فجوات فيها..

وعلى الرغم من عدم انتباههم له راح يضحك وهو يراقبهم..
هذا فوق دراجته.. والآخر على لوح تزلجه.. والبعض يمشون في
جماعات يدفعون بعضهم بعضاً متمازحين وراكضين..

هدأت ضحكاته وبقيت ابتسامة خفيفة عالقة بشفتيه.. فهي
المرّة الأولى التي يراقبهم فيها دون مشاعر مظلمة تؤلم قلبه.. هو
مثلهم..

شخص جيد..

ليس سيئاً إطلاقاً..

كانت قد مرت ثماني سنوات منذ دخوله هذه الحجرة لم يغادر
عُتْبَتِهَا إطلاقاً.. قضى سنة قبلها بحجرة مغلقة الباب بيت عمه..
تسع سنوات مرت لم يكن يحتل تفكيره سوى سؤال واحد..
هل هو سيء؟!

والآن فقط استطاع أن يُرخي جفنيه على عينيه ويستنشق نفساً
عميقاً أطلقه بزفرة قوية صارخاً:
« أنا لست سيئاً! »

صرخ بها وكأنه يحاول أن يوصل صوته لذلك الشخص
الجديد - نادر - الذي دخل حياته بعد تسع سنوات مانحاً له هذه
الإجابة المريحة..

مطّ شفتيه فجأة متعجباً.. لماذا دائماً ولتسع سنوات كل من
يراهم حوله هو ذلك المجرم الذي يُغضبه بشدة؟!
لماذا يسجنه؟!

ولماذا يتنكر مرة بهيئة أشخاص ضخام الجثة وأحياناً أخرى
بصورة مسنين بل وحتى نساء؟!

ذلك الوغد لماذا لا يزال يحافظ على حياته ولا يقتله؟!

بل.. بل السؤال الحقيقي كيف استطاع « نادر » تجاوزه
والوصول إليه ومن ثم منحه هذا الكم الكبير من السعادة؟!
كانت أسئلة كثيرة تدافعت لحظة واحدة إلى عقله مؤلمة له..

كالطفل تماماً تجاهل فارس كل تلك الأسئلة المزعجة وراح
يواصل تهجئة الحروف المكتوبة على لوحة أحد المباني البعيدة
عن المستشفى..

« ستغضب مايا إذا ما نسيت كيف أقرأ باللغة الإنجليزية وقد
تعاقبني. »

همس بها بضيق شديد، فقد توقف تعليمه منذ تسع سنوات،
وتوقف عن مقابلة رجال الأعمال - الناطقين بغير لغته - برفقة
والده ووالدته، بل ولم يُمنح الفرصة للحديث والكلام مع
شخص آخر إلا بالليلة الماضية حين تحدث مع نادر.. ذلك
الانقطاع عن الكلام جعله يواجه صعوبة في نطق الجمل والربط
بينها.

(لا ريب.. ستشعر مايا بخيبة أمل كبيرة حين أخرج وتقابلني)
همس بها في نفسه ليعبس بوجهه ثواني سرعان ما استبدل بها
تفاصيل مُلئت حبورا وسعادة لتذكره نادر.. هو أخبره سابقاً أنه
لن يخرج.. وبعدها أخبره أنه لا يستطيع.. وهذا يعني أنه حين
يستطيع سيخرجه بالتأكيد..

أسرع للخزانة الملحقة بحجرتة واختار منها ملابس بألوان
مشرقة بدلاً من رداء المستشفى وسحب منشفته.. سيستحم

وسيتنظر نادر الذي يظهر له دائماً ليلاً..

ولم يأخذ منه استحمامه الكثير ليقف أمام المرأة محدقاً
بوجهه الوسيم..

كان قد كبر فعلاً.. وبرز فكاه بعض الشيء.. رفع أصبعين من
أصابعه ليرفع شعره المبتل بعيداً عن الشاش الذي ابتل بإهمال..
لف خصلة منه بمشاكسة محاولاً جعل شعره مجعداً بعض
الشيء.. كان معجباً بنفسه بالفعل... (كيف لم يلحظ سابقاً أنه قد
كبر وتغير؟!).. ضحك وخصلاته تتماشى مع ما يريد..

وفجأة بتر ضحكته وتمسك بحوض المغسلة وقد انتبه لصورة
وجهه على المرأة المهتزة هي الأخرى..

وازداد تشويشها لحد جعله يغمض عينيه ويفركهما..

« لماذا؟!.. لماذا؟!.. إنها المرأة الأولى التي أستطيع فيها النظر
إلى وجهي جيداً دون هذا الاهتزاز والتشوه الغريب!.. »

لم يكذ يتم عبارته المنزعجة حتى تلاشى ذلك التشوه ليرى
صورة وجهه الصافية مجدداً فوق المرأة فضحك بسعادة.. فهذا
الاهتزاز هو ما أعاقه دوماً عن ملاحظة كم كبر وأصبح فتى جميلاً
ووسيماً!!! أو أن حقيقة شعوره السيئ نحو نفسه هي ما جعله لا
يطيق حتى النظر إلى وجهه.

توقفت ضحكاته المبتهجة فجأة لسماعه صوت حركة غريبة

من خلفه.. وقبل أن يلتفت لمحت عيناه على المرأة صورية
لشخص يعرفه تماماً..

شخص لم يتنكر هذه المرة وإنما جاء بصورته الحقيقية التي
يعرفها تماماً..

شجب وجه فارس واتسعت عيناه بفزع وانقبض قلبه خوفاً
وقبل أن يهتم بالهرب كان قد غطى الرجل على فمه كاتماً
صرخاته بينما أحاطت ذراعه الأخرى بعنقه ساجباً له للخارج
إلى حيث حجرته..

رفع فارس ذراعه اليسرى ليبعد ذراع الرجل التي خنقته
ومنعت الهواء عنه ورفع ذراعه الأخرى يحاول التشبث بأي
شيء..

بكى واستعجمت الكلمات على لسانه محاولاً مناداة نادر
ولكن هو لا يعرف اسمه حتى فيماذا عساه يناديه؟!

أطلق أنيناً متألماً والجبال تشتد حول ذراعيه وقدميه مقيدة له
بعد أن ترك الرجل فمه ليتهف به باكية متوسلاً:

«لا أريد.. لا أريد.. أرجوك.. دعني!»

ولكن ذلك الرجل بدا وكأنه لا قلب له فهو لم يُظهر له أي
رحمة ولا شفقة، وإنهال ضرباً على موضع من جسده كي يهدأ
ويكف عن مقاومته..

كشفت أبواب المصعد عن الطابق السابع من المستشفى
النفسي ليخرج منه نادر حاملاً حقيبتة على كتفه وقد التف حول
جسده معطف أسود ثقيل اندس تحته بنطال أسود يعلوه قميص
أبيض مغلق الأزرار بالكامل.. مسرح الشعر للخلف وقد
انعكست أنوار المنمر فوق عسلتيته الهادئتين..

كان أنيقاً كعادته..
ولكن عودته هذه المرة لم تكن كالسابق، لم تكن كأول يوم
دخل فيه إلى هذا الطابق يكابد قلبه التوتر والقلق من توليه لعلاج
مريض لا يمكن شفاؤه..

خطواته الواثقة، نظراته الباردة، كان ليذكر الجميع منها أنه قد
رسم هذه المرة هدفه جيداً، ولن يُخفق فيه أبداً..

لن يكثرث لأي معيق أيّاً كان...
سيحظى بشهادة مُشرقة من هذا المستشفى وبأي ثمن، حتى لو
اضطر لتلطّيح كفيه بما لظخوا به أكفهم.. سيستجيب لطلباتهم،
لأوامرهم، ودون أي اعتراض، فتحقيق حلمه ونجاح مسعاه
مرهونان برضاهم عنه..

رضاهم فقط..

كان قدومه يسبق نوبته المسائية بعشر دقائق فقط، أنهى تلك
المسافة التي تفصله عن حجرة فارس ليتناهى لسمعته فجأة

مجموعة من الأصوات المتداخلة خارجة منها..

عقد حاجبيه مستغرباً وجود أشخاص آخرين بحجرة فارس
وارتسم القلق بوجهه خشية حدوث أمر بغيا به فأسرع نحوها
ليدخل من بابها المفتوح. فارتطمت عيناه بمرأى جمع من الناس
فيها.. إضافة إلى مريضه..

كان الجميع مديرين ظهورهم له ولم يشبه أحد الدخوله فيما
دارت عينا نادر المتسعتان في أركان الحجرة التي توزع فيها حطام
الأثاث مما جعله يتقن أن فارس كان عنيفاً..

عنيفاً جداً.. ولكن عنفه هذه المرة كان موجهاً بغرابة لكل ما شاركه
حجرتة..

واستقرت عسلتيه أخيراً على فارس الذي قيد ذراعيه اثنان من
عاملى المستشفى الضخام.. كان يقف بينهما محمراً الوجه، قد
ذبلت عيناه الزرقاوان من البكاء وكأنه بكى النهار كله ولكن ذلك
لم يمنع نادر من ملاحظة أسنانه التي كان يركز عليها بغضب عنيف
وعينه العاكستين حقدًا دفينًا وهو يقاوم الرجلين محاولاً مهاجمة
ما أمامه..

ازدرد نادر لعبابه وخشي أن يوجه اللوم إليه لعنف فارس فما
يحدث الآن في وقته المشترك مع ياسر..
إلا أنه التزم الصمت حين أدرك أن مدير المستشفى إضافة إلى

رئيس الأطباء ويأسرهم من يقفون أمام فارس، ويقف مجاوراً لهم رجل غريب بنهاية عقده الرابع، كان يبدو عليه الثراء الفاحش، وقف عن يمينه ويساره رجلان تجاوز طولهما طوله، بدا وكأنهما يحرسانه.. الأول عكست عيناه بروداً عجيباً ولا مبالاة بينما الآخر قد تعلق عيناه بفارس مركزاً باهتمام على كل ردة فعل تصدر منه.

« سأقتلك.. سأقتلك أيها المجرم الوغد. »

صرخ فارس بصوت قد بُح، وساقاه تركلان الهواء محاولاً الفتك بما أمامه ليدرك نادر أنه قد بلغ بهيئته هذه أقصى درجات ثورته وفقدانه للسيطرة على نفسه و.. ضاقت عيناه فجأة بشك فقد كان فارس طوال الوقت يركز نظراته الغاضبة على شخص واحد.. واحد فقط..

ولم يكن نادر بحاجة لذكاء كبير ليفهم أن فارس ليس مرتبكاً ولا مشوشاً من بقية الأشخاص لأنه وبكل بساطة يري من يبغضه ويكرهه بهيئته الحقيقية يقف بينهم مما أزال كل تخيلاته وتشويشه حول البقية.. تقدم نادر وقد دفعه فضوله لرؤية هذا الشخص الذي سبب له كل هذا الألم والحقد الشديد.. ولكن لم يكد يتحرك حتى سمع مدير المستشفى يقول:

- كما ترى اعتنينا به جيداً.. ولم يُصب بأي سوء.

- لكنه لا يزال عنيفاً ومشوشاً كالسابق.. يبدو أن العلاج لا
ينفع معه.

ردّ الرجل ذو العقد الرابع بهدوء دون أن يُبعد عينيه عن فارس
الذي فاجأهم بسكون ثورته ليلتفت نحو الرجل وقد اتسعت عيناه
عن آخرهما..

« عمي فاضل.. »

صُدم الجميع ولم يصدقوا أن فارس رغم مرضه واضطرابه قد
نطق هاتين الكلمتين..

نادر وحده من خمن أن غضب فارس كان مسيطراً عليه لحد
أنه لم يلحظ وجوده، أو أن تحديقه بحقد على شخص واحد
جعله لا يكثرث للنظر للبقية.

- عمي.. لقد وجدتموني أخيراً.. كُنْتُ أثق أنكم لن تزكوني.

صرخ بها فارس راجعاً ما حوله وقد ملأت السعادة عينيه
وتوسعت شفتاه بابتسامة كبيرة حتى أن أطراف أصابعه ارتجفت
من فرط تأثره وحماسه.. أن يلتقي وبعد تسع سنوات بشخص
يعرفه والأكثر من ذلك قريبه.. نبضات قلبه تسارعت بجنون وكاد
ينجح بالإفلات من الرجلين ليقفز نحو عمه ويتشبث به بقوة.

فيما ظل الرجل صامتاً فصاح به مستغيثاً:

- عمي فاضل .. إنه يؤذيني دوماً .. ولقد آذاني اليوم أيضاً ..
أرجوك أخرجني .. أخرجني من منزله .. وارم به في السجن .. إنه
هناك يقف إلى جوارك .. ابتعد عنه سيؤذيك أنت أيضاً وقد يقتلك
كما قتل لَمي .

- هل هو يهذي ؟!

قالها فاضل متسائلاً وعيناه تتسمران على مدير المستشفى
الذي هز كتفيه بقلة حيلة :

- كما تعلم أن هذا الممرض لا يُشفى .

- ولكنه يتوهم أنه محتجز بمنزل غريب بل وينسب قتل أخته
لشخص وهمي على الرغم من أنه هو من قتلها والكل يعلمون
بذلك .

لحظات من الصمت خيمت على المكان وكأن فارس قد
صُدم بما قاله عمه قبل أن يثور فجأة وتنهار الدموع من عينيه
صارخاً :

- ليس صحيحاً .. عمي أنت لا تصدق ذلك .. أنا لم أقتلها ..
أقسم على ذلك .. اسأل والدي ووالدتي ..

تنهد فاضل بتعب ثم قال :
- بني .. لقد خبأنا هذه الحقيقة عنك زمناً طويلاً وأظن أن
الوقت قد حان لتعلم والتسلم بها .. والدك ووالدتك قد تخليا عنك

تماماً لعدم احتمالهما إيواء قاتل بمنزلهما والأسوأ من ذلك أنه
قتل ابنتهما الصغرى ذات الخمس السنوات لَمَي... وأنا من بقيتُ
متشبثاً بأمل شفائك ولكن يبدو أن اليأس بدأ يداخلكني!
بهتت عينا فارس وسكنت حركته، وحديث عمه الغريب يُخيفه
حتى أن الدموع جفت بعينه.. قلبه لن يصدق أبداً أن والديه قد
تخليا عنه.. هما لم يكونا ليصدقاً أنه قتل أخته.. بل إن عمه الآن
يكذب..

ولكن... لم يكذب عليه؟! ..

هو لم يسئ إليه يوماً؟! ..

لم يؤذِه؟! ..

إذا لماذا؟! .. لماذا؟! ..

حيرة غلفت وجهه ولكن هو لن يسمع بأن يُحطم قلبه الواقع
بأسرته فأسرع يقول: منذ أن أُلقيت في هذه الدار لم أسمع

- مايا.. مايا لن تصدق مثل هذا الهراء.. مايا تعلم أنني لستُ
سَيِّئاً وأني جيدٌ حتى لو كُنْتُ أقسو على لَمَي أحياناً لم أكن
لأقتلها لأني أحبها..

- بل أنت الأسوأ لقد حطمت أسرته بالكامل أو مايا لم تعد
تُطبق نطق اسمك حتى..

وهنا بدا أنه قد نجح أخيراً بالوصول لقلبه محطماً له وناشراً

جَوْاً من الكآبة والحزن حول وجهه الشاحب فحملت عيناه
انكساراً وألماً مريعاً أظهرهما ارتجاف شفّيته بيبكاء مختنق..
وهنا أيضاً بدا أن شخصاً آخر قد تحرك شيء ما في أعماقه
لرؤيته كل هذا البؤس والخيبة بوجهه وقد هجره الجميع واصفين
إياه بالسيء..

« هو يعلم أنني لست سيئاً.. قل لهم إنني لست سيئاً.. أخبرهم
أرجوك أن يخرجوني. »

صرخ فارس فجأة وقد لمع بعقله خيط نجاة أخير فتشبث به
فيما راحت عيناه تجوبان ما حوله باحثاً عن شخص ما..
« ماذا يعني بقوله؟! »

بلفظ محتد سأل فاضل وعيناه تتنقلان بين رئيس الأطباء
والمدير وياسر..
وجميعهم لم يجيبوه.. وحده نادر فقط فهم ما يعنيه فارس..
بل وأمام عينيه رآه يسدل جفنيه على عينيه لتسكب الدموع منهما
وهو يصرخ بعمه:

- هو يظهر حين أغمض عيني.. لا أعلم لماذا؟! ولكنه أخبرني
أنني لست سيئاً.. أتوسّل إليك أخبرهم.

بدا منظره محزناً ومؤسفاً لنادر على عكس البقية الذين
امتعضوا من غرابته..

يأسه الشديد دفعه ليواصل صراخه منادياً لنادر علّه يثبت لهم

أنه لم يكن سيئا.

ولكن كالعادة تجاهله الجميع معتقدين أن ما يفعله جزء من
هلوسته المتعلقة بمرضه، ولم يكذب يوليه غمه ظهره حتى صرخ
بنياء حقيقي موحج:

- عمي أرجوك.. أتوسل إليك.. لا تتركني.. أخرجني..
أخرجني.. خذني معك.. لن أحمل البقاء هنا أكثر.. أعدك.. لن
أسيء لأحد.. وسأحسن التصرف.

ووجد ذلك الأمل أمام عينيه النجارتين مع خروج فاضل فانهار
وفقد تماسكه مقاوما الرجلين ومحاوفا اللحاق به ولكن لم
يسمح له الرجلان بالتحرك وهما يجرانه ليجعله يستلقي بالقوة
على سريريه وسحبوا الأربطة المطاطية وقيدا ذراعيه وقدميه.. قبل
أن يكشفوا عن أعلى ذراعه ليودعا نصل حقنة مهدئ فيه ولم يلبث
دقائق حتى سكنت حركته وصراخه وآخر ما ينطقه لسانه...
« مايا.. أريد مايا. »

بقي نادر أمام فرجة الباب محدقا به قبل أن يسمع صوت سالم
من خلفه:

- لقد عدت إذا.. لقد أخبرنا ياسر أنك أصبت بوعكة صحية
واضطرت للمغادرة من أجل تلقي العلاج.

التفت نادر ليري ياسر من خلف المدير وسالم يلوح بكفيه
وقد حملت شفاهه ابتسامة متعجرفة بأنه قد نجح في تغطية غيابه.

- وبسرعة ضغط نادر على معدته كاذباً وابتسم لهما مجيباً:
- هذا صحيح.. ولكن يبدو أني قد تحسنت كثيراً لذا عدت من أجل نوبتي.
- أوماً له الجميع متفهمين ذلك ليلتفت نحوه فاضل بغتة قائلاً بابتسامة خفيفة:
- أنت هو الطبيب المسؤول عنه.. لقد امتدحك المدير كثيراً.. شكراً لاعتنائك به وحفاظك على سلامته.
- نظرة خاطفة ألقاها نادر نحو المدير، إذاً هو لم يخبره بحقيقة أنه ليس سوى أخصائي مستجد، ومع ذلك رد برصانة وشموخ كبير:
- بالتأكيد.. إنه واجبي.
- لا بد أنك قد عانيت كثيراً من عنقه.
- لم تغادر عينا نادر عيني فاضل أبداً وهو يجيبه بتعب:
- وبأسوأ مما تتصور.
- زفر فاضل وكأنه يعتذر عن سلوك ولد أخيه السيئ قبل أن يقول:
- لا عليك.. بنهاية هذه الأشهر الستة سيُغادر لمصحة عقلية.
- كان يتسهم وهو يقولها مواسباً له، ولثانية خيّل إليه أنه رأى اتساعاً بعيني نادر وانفراجاً بشفتيه مستنكراً مضطرباً قبل أن يتلاشى ذلك كله ويرد ضاحكاً:

- سأكون طبيباً سيئاً لو أخبرتك أن تُعجل بذلك.

ضحك فاضل وقد راق له نادر حقاً.. فربت على كتفه مشجعاً له وحثاً له ليصبر ما تبقى من الأشهر.. فيما راح نادر يومئ موافقاً له في باقي حديثه..

غادر فاضل برفقة حارسه فيما أغلق ياسر الباب على حجرة فارس وهو ينظر لسالم الذي وقف جوار نادر متمتماً:

- لقد طلب من المدير منحك وظيفة دائمة في هذا المستشفى حين امتدحك له.

ارتفع حاجب نادر غير مصدق ما سمعه.. أمنيته وحلمه على وشك التحقق وبأسرع مما يتصور!!..

ولكن..

- ما ثمن ذلك؟

ألقى سؤاله المستغرب وقد عاد له بروده وطبيعته اللامبالية وكأنه بغياب المدير وفاضل قد تحرر من حاجته للمجاملة..

- أن تواصل اهتمامك بولد أخيه طبقاً للشروط التي أعطاك

إياها المدير..

رد سالم بهدوء وكأن الأمر لا يحتاج منه كل هذا التساؤل..

غادر سالم بعد عبارته ليقف ياسر أمام نادر مطبقاً شفثيه وقد كتف ذراعيه منتظراً منه أن يشكره ويمتدحه ولكن اكتفى نادر بأن

منحه نظرة لا مبالية قبل أن يسحب حقيته ويصفق باب حجرتهما
المشترك في وجهه فقد بدأت نوبته وعلى ياسر أن يغادر فما في
أعماقه يُناقض تماماً تلك الابتسامات والنبرة الهادئة الضاحكة
التي منحهم إياها..

انتثر مزيج من الأوراق الممزقة وأعقاب السجائر على أرضية
الحجرة المشتركة.. وامتلاً فضاؤها بدخان بالكاد يستطيع أحد
الرؤية فيه.

ووسط ذلك تعالت همسات نادر الشاتمة لأحمد.. وكل
شتيمه هي أسوأ مما سبقها.. وكاد القلم يُكسر بين أصابعه وهو
يدوّن الملاحظات فوق مفكرته التي أوشك ورقها على النفاد،
غزا عينيه احمرار عنيف وهو يستكمل تحليل تفاصيل تلك
الصورة لفتاة محطمة الأطراف وقد غرس سكين ضخمة في
صدرها..

لقد نال أخيراً مهمة جديدة بعد تلك الأيام المضجرة، حاول
جاهداً شغل نفسه بها وإغراق كامل تركيزه بهوايته المخيفة هذه،
ولكن يبدو أن المشهد السابق ورث ضغطاً هائلاً على كتفيه
وعكر مزاجه ليزداد عدد الملاحظات الخاطئة والممزقة وازداد
معها كمّ السجائر القادم والمغادر لشفتيه..

« ليتني قتلتك يا أحمد.. ليتني ما التقيتك أبداً.. سافل وغد... »

واصل شتائمها عليها تفرغ بعض ما أثقل صدره..

تحولت شاشة حاسوبه المحمول للسواد فرأى وجهه فيها..

كل ذاك البرود!.. وكل تلك الثقة التي دخل بها باتت شحوباً

وإجهاداً ملأ عينيه ووجهه..

بلغت الساعة الواحدة فجراً ولا يزال فارس في فراشه بعد أن

ذهب نادر لحجرتة ليزيح كل تلك الأربطة المقيدة أطرافه..

لِمَ فعلها؟!.. هو لا يعلم.. لِمَ ينتظر إفاقة؟!.. أيضاً لا يعلم..

بل لِمَ هو يرفع بصره ليتحقق به الدقائق بصمت تاركاً هوايته؟!..

أيضاً لا يعلم..

رمى بقلمه في ثورة ليرتطم بالحاجز فقد اكتفى بحق من

محاولة إرغام نفسه على مزاوله هوايته..

هو حتى لا يشعر بالسعادة؟!.. لقد أخبروه أنه سيستمر في وظيفته

بشكل دائم دون وجود فارس!.. سيصبح موظفاً رسمياً وسيضمن

ذلك له التحاقه يوماً ما بسلك التحقيقات ممارساً هوايته التي أتقنها

خلال وجوده بالسجن من معاشرته للمجرمين والقتلة..

سيصل لهدفه الحقيقي أخيراً بانضمامه للشرطة؟!!

ولكن..

هو لا يشعر بأدنى شعور من السعادة أو الحماس، وعينه لا

تلبثان أن تعودا لمعانقة جسد ذلك النائم المحطم هناك..

رفع كفيه ليضغط بهما عينيه.. ما الذي يحدث معه؟!

وما هذا الشعور الغريب الذي يهاجمه؟!

لو تحدث وقتها وسط كل أولئك المسؤولين فسيُطرد.. سيفقد حلمه.. وسيستحطم والداه.. كان حكيماً للغاية بصمته وعدم إشعارهم بأي شيء..

كما أنه لو تناسى مصلحته الشخصية وتحدث بدلاً عن فارس لكان رُكل للخارج ولن يتفجع فارس بشيء.. سيخسر كلاهما فقط..

« المصحة العقلية! »

قفزت هاتان الكلمتان لعقله لتعيشا فيه الفوضى.. أسلاك كهربائية.. الضرب.. الأدوية الشالة للعقل.. المجانين بكل مكان.. قسوة العاملين فيه..

هو لماذا يتخيل الآن مرور الفتى بكل هذا؟!

« تبّاً لك يا أحمد ألف مرة! »

كان سيهرب؟!.. سيختصر التعب والجهد على نفسه يبحثه عن المال في موقع آخر.. سيرتاح من كل هذا الضغط والتفكير، فقد حذره حدسه من مستقبل مشوش خطر يختلف عما رسمه وخططه لنفسه إذا ما استمر يرافق هذا الفتى!

ولكن ذلك الوغد أحمد أغراه بعدة كلمات ليعود لهذا البؤس
والشقاء، فهو ليس بغبي ولا ساذج فمنذ دخوله هذه الحجرة
لأول مرة أدرك أن هناك شيئاً خاطئاً..

الحاجز الزجاجي..

مفارش فارس السوداء وحجرته الرمادية المضاعفة للكآبة..
طعامه الذي يكسبه الخمول والتعب كي تقل حركته..

منع التواصل والحديث معه..

سجنه لثماني سنوات متخذين من عنفه مبرراً لذلك..

كل ذلك لاحظته وتجاهله.. بل وحين عاد الآن كان مستعداً
لمشاركته هذا الإثم..

ولكنه لم يظن أن الأمر بهذا السوء..

عمه لا يحمل له ذرة محبة واحدة..

مواجهة مريض بحقيقة أنه قاتل!.. تلك ليست من شيم كبير
سن مهتم بقريبه..

أنزل نادر كفيه وحق هذه المرة مطولاً ومطولاً بوجه فارس
المحني نحوه..

هل والداه تخليا عنه حقاً؟!

لم الجميع تنكروا له بمن فيهم مايا التي يصرخ مستنجداً بها
بين لحظة وأخرى؟!

ستزداد وحدته الآن، وتتضاعف كآبته، وقد يفقد رغبته

بالحياة..

وعندها سيعود ليؤذي نفسه..

« حسناً.. من واجبي الآن أن أكون أشد حرصاً عليه حتى لا

يقتل.. »

بهتت شفتاه وتلاشى صوته وهو يذكر دوران فارس بعينه
المغمضتين في الحجرة باحثاً عنه بلهفة بعد أن فقد أمله بعمه..

كان نادر يقف خلفهم ولكن فارس لم يتعرف عليه..

« آآآآآه »

صرخ بغیظ وهو يحرك رأسه محاولاً تشتيت أفكاره وإيقافها..

فلو استسلم لها فلا يدري إلى أين قد تقوده؟!..

وأولها أنه تحت هذا الضغط قد عاد للتدخين مجدداً وبأسوأ
من السابق بعد أن توقف استجابة لشروط الوظيفة بعدم تدخين
العاملين بها..

وجد نفسه يتحرك فجأة ليقف أمام الحاجز وشفتاه تطلقان
زفرة مشبعة برائحة الدخان.. مفكراً.. بأن عليه أن يكون أقوى؟!..
أن يتجاهل ما يراه؟!.. أن يفكر بنفسه فقط.. فقط.

كان قد وصل لقراره الحاسم أخيراً حين قاطعته تلك الحركة
الخافتة من رأس فارس فوق وسادته.. إذاً فقد أفاق؟!!

ظل نادر مُعلق البصر به لخمس دقائق قبل أن يراه يتحرك أخيراً
ليجلس فوق السيرير يتعب ولا يزال أثر المهدئ عالِقاً بعينه

نصف المفتوحتين..

رآه يرفع يديه ليضغط خلف خاضرته ويئن بألم من الموضع
نفسه الذي قد ضربه سابقاً فيه واستنكر تألمه منه..

ظل لوقت يئن ويغير من جلساته محاولاً احتمال ذاك الألم
قبل أن يضغط على صدره فجأة ويجهش بالبكاء..

وبحق ففي هذه المرة لن يلومه أحد لبكائه فقد تبخرت كل
آماله في الخروج ولم يبق له سوى رمادها ليخنق أنفاسه ويحرق
عينيه..

راح يبكي ويبكي وارتفع صوته قبل أن يتكلم على نفسه فوق
السرير ضامّاً لنفسه..

حيث لا أحد سيمنحه الأمان..
أو الراحة..

أو المواساة..
اكتمى بضم نفسه بشدة أكثر وأكثر وأنفاسه تضيق وشهقاته
تتوالى..

دموعه الآن هي كل ما يملكه..

علّها تخفف ما تدفعه نفسه إليه من ارتكاب جريمة في حق
نفسه..

وراحت شفاته تنطقان بهمس وكأنه يشجع نفسه، ويده تمتد

الفصل السابع

ثلاثة عشر يوماً مرت على الحادثة قضاها فارس بصمت كئيب بعد أن جف نهر دموعه وظل ملازماً لسريره لا يغادره إلا لدورة المياه، حتى أنه تجاهل المرة الوحيدة التي فتح فيها نادر نافذة حجراته لساعة بأكملها، مما جعل نادر يثق أن هذا الفتى ما عاد هناك ما يبهجه..

وعلى الرغم من أنه منح نادر عدة أيام مريحة لم يعان فيها أبداً من عنقه ولا ثوراته إلا أن نادر نفسه ما عاد يدرك ما تريده نفسه حقاً..

مر ما يزيد على شهر وبضعة أيام منذ التحاق نادر بالمستشفى ولم يتبق على مغادرة فارس إلى تلك المصححة سوى أقل من خمسة أشهر تغيرت فيها وجباته لتكون أفضل من قبل ولكن فارس بالكاد يتناول منها القليل بل وتوقف عن الوقوف أمام الباب ليطلب ذاك الطلب الغريب.

تصرفاته اللامبالية والممتلئة بحزنه زادت من شعور نادر المضطرب بل جعلته يشعر وكأنه ممن يُمتع المحكوم عليه بالإعدام بالغذاء الجيد قبل أن تجين ساعة إعدامه، أو ممن يتدارك الساعات الأخيرة ليحسن إلى شخص ما كي يحرر نفسه من الشعور بالذنب لاحقاً ليس إلا!..

- اليوم ٣ يونيو -

كانت الثامنة مساءً - الوقت المشترك مع ياسر - ولم يكف نادر عن تصرفاته الثقيلة برمي عبء هذه النوبة على ياسر دون منحه شكراً أو حديثاً جدياً لطيفاً ولو لمرة واحدة يخفف بها من جوهما المشحون..

« لا.. كم مرة قلت لك سيأكلها. »

كان نادر يقف أمام المَحاسِبة بأحد المحلات حين لفت انتباهه عبارة الرجل الموبخ لزوجته لشرائها ألواناً لطفله فيما بدا الطفل بغاية السعادة وكفه تقبض على كراس رسم بينما حملت كفه الأخرى علبة من الألوان الشمعية..

- عزيزي.. إنها مخصصة للأطفال حتى لو أكلها لن تضره.

ردها أدهش الرجل وإن كان نادر أكثر اندهاشاً منه وعندها أجابها برضا:

- هذا جيد..

ثم ابتسم ومال عليها مضيفاً:

- سيشغل برسمه في الوقت الذي نحظى نحن فيه بفلم سهرتنا دون إزعاجه.

ضحكت الزوجة فقد كان هذا ما تقصده وانحنت لطفلها لتحمله و..

« سيدي. »

استفاق نادر من شروده وتحديقته بتلك العلبة بكف الصغير
لُجيب:

- نعم؟

مدت المُحاسبة نحوه كيس مشترياته وحاجباها يتعقدان لذاك
الضيق الشديد المُطل من عينيه بل كان يضغط على أضراسه
وكأنه يقاوم رغبته في ارتكاب شيء لم يفعله من قبل فقالت:

- لقد تجاوز مبلغ شرائك الحد الذي حدده المدير لذا يمكنك
اختيار هدية لك مجانية من المحل

اتسعت عينا نادر ثم ابتسم واتجه نظره نحو تلك النظارة
الشمسية التي كان سيأخذها قبلاً ولكن سعرها المُبالغ فيه منعه
من تبديد النقود عليها:

كانت التاسعة والنصف مساءً حين وقفت عاملة التغذية أمام
حجرة فارس لتضغط على زر بارز جوار الباب فخرج من فجوة
الحائط الأفقية لوح أفقي مُعبأ بالأطباق، تنهدت بتعب ثم سحبت
عربة من خلفها تراصت عليها أطباق أخرى..

« هو لا يأكل.. وما يعطى له مضيعة للنعمة.. يجب أن يتصرفوا

معه. »

قالتها بامتعاض وهي تستبدل بأطباق الغداء الممتلئة بالطعام
أطباق العشاء، وحين انتهت تماماً نظرت لها متفحصة إن كانت
قد نسيت شيئاً ولم تكذب تتيقن من اكتمال عملها حتى مدت يدها
لتضغط الزر مجدداً كي يعود ذاك اللوح الأفقي نحو حجرة فارس
مستنكرة في نفسها تضيقهم الكثير من المال عليه فحتى طعامه
حرص المدير أن يُعطى له بطريقة تُغنيه عن رؤية أحد.
« انتظري. »

كان أصبعها ملامساً للزر بالفعل حين ارتفع صوت نادر فجأة
من خلفها فنظرت نحوه ليصدمها بقوله:

- يمكنك المغادرة.. سأفحص طعامه أولاً.

أشاحت بوجهها دون حرف فهي لم تنسَ بعد أنه من تسبب
بوقت عصيب لمسؤول التغذية ولهم أيضاً.

راقبها نادر حتى اختفت داخل المصعد فأسرع لحجراته
ليجلب شيئاً ما ثم عاد مجدداً نحو اللوح وظل لدقيقة أمامه يفعل
به ما أراد ثم ضغط الزر ليتجه لحجرة فارس.

كان فارس يجلس فوق سريريه مواصلاً صمته القاتل ذاك..
ومجدداً بما أمامه في شرود.. فهو قد اكتفى حقاً وما عاد يدري
حقيقة ما يعيشه؟!

فإن كان مسجوناً عند قاتل لمى.. فلماذا إذاً قد تصرف عبثه

معه بهذه القسوة؟! ... لماذا لم ينقذه وتخلي عنه؟!
 لماذا لم ينقذه وتخلي عنه؟! ...
 كيف يُصر على أنه قتل أخته دون دليل؟! ... فهل مثلاً قد نجح
 ذلك الرجل في خداعه؟! ...
 بل ..
 بل لم تعامل معه وكأنه مريض؟ ... هو حتى قال إنه قد يئس من
 مسألة شفائه؟!
 ملاً الحزن عينيه ووجهه حين استرجعت ذاكرته ما قاله عن
 والديه ومايا ..
 فحتى لو نسيه العالم كله .. يستحيل أن تنساه مايا ..
 هو لن يصدق أبداً ..
 وإذا ما علمت مايا أن أحدهم قد نجح في جعله يُسيء الظن بها
 فقد تغضب منه ..
 ولعل هذا فقط ما جعله يحتفظ ببعض التماسك ولا يفقد
 عقله ..
 دأبه ألم شديد في معدته لطول ملازمته للسرير دون الذهاب
 لدورة المياه فأنزل قدميه واتجه نحوها مغالباً آلام الضرب التي
 لا يزال يشعر بها، وخاصة قرب خاصرته، فبسيبها يجد صعوبة
 حتى باستخدام الحمام ..

مر من أمام المائدة التي اعتلتها الأطباق المليئة بالطعام... وقف أمامها قليلاً بعد أن لفت انتباهه شيء توسطها فاتسعت عيناه وانفجرت شفاته وراح يتلفت فيما حوله..

ظل لثوانٍ بهذا الحال قبل أن تهدأ ملامحه بغتة ويغادرها الدهول ليبدو عليه اللامبالاة وجر خطواته للحمام صافقاً الباب خلفه..

هل شعرتُم يوماً أنكم لا تريدون فعل شيء وفعلتموه فجأة دون وعي بالرغم عنكم؟!!

هل شعرتُم يوماً أنكم خدعتم من قبل شخص ما.. ترفضونه وهو يلح عليكم بقبوله.. وحين تتنازلون لتمنحوه نظرة واحدة يتجاهلكم ويرفضكم؟!!

هذا ما شعر به نادر في هذه اللحظة؟!!

استحالت عيناه جمرتين ملتهبتين، وأطلق أنفه أنفاساً حارقة، وطرף سيجارته يسحق بين أسنانه..

« ما كان عليّ أن أشفق عليه. »

تمتم بها وجمراته تحذقان بندم بالصحن الذي تراص فوقه ثلاث من شرائح البرقر المطهية بعناية..

(لقد أهين بالكامل).. هذا ما شعر به وهو يتذكر صراعه مع ذاته كي لا تستجيب النداء الشفقة وتبدد النقود على مثل هذا الشيء..

هو حتى تخلى عن النظارة الشمسية كي...
لم يكذ يصل به تفكيره إلى هذا الحد حتى امتقع وجهه
وراحت عيناه تتأملان ذلك الكيس الموضوع فوق الطاولة والذي
لم ينتبه له فارس بعد...
الآن بالتأكيد هو ليس مستعداً لتلقي صفة إهانة أخرى على
يد هذا الجاحد...

تحرك من مكانه ففارس ما زال بالحمام لذا يمكنه استعادة
الطبق والكيس معاً قبل خروجه، ونتيجة لغضبه الذي بلغ حده
وعدم اعتياده استخدام ذلك الزر وجد نفسه كما اعتاد يفتح باب
الحجرة ويدخل بسرعة ليقف أمام اللوح وامتدت يده نحو الطبق
والكيس ليأخذهما...

و...
فتح باب دورة المياه فجأة...

(توقفت سيارة مرسيدس حمراء بسقف مكشوف أمام أرض
مغطاة بأشجار عالية أحاطت ببخيرة انعكست عليها زرق السماء
الصفافية..

ترجلت فتاة في السادسة عشرة من عمرها خارجها ودفعت
خصلات شعرها السوداء خلف أذنها اليمنى وهي تضغط زرّاً

لتخلق السيارة ألياً..

تنهدت بتعب قبل أن تناوب نظراتها بانزعاج بين البحيرة وذاك
القصر المنيف الذي يبعد عنها عشرات الأمتار..

تحركت بحذر بكعبها العالي فوق الحشائش وأطنان من
أوراق الخريف المتساقطة، ثم ابتسمت وهي تلحظ بعينها ذاك
الطفل ذا السبع السنوات الجالس أمام البحيرة في سكون...
« هل أنت صخرة؟! »

صُدم الطفل لصوتها من خلفه فالتفت ليراها. تقف إلى جواره
وعيناها تحدقان بسطح البحيرة الذي ظفت فوقه دمية دب ضخمة
فقالت بضحكة خفيفة:

- إذا فهذا موقع جرائمك السري حيث ترمي دمي لمني
وألعاها.

مط شفتيه وضم ركبتيه لصدره أكثر هامساً: « من أنت؟ »
- لست صخرة.. أنا فارس.. ثم لم لم ترحلي بعد؟! «

« تريد مني أن أرحل إذا؟! »

قالتها مضطنعة الصدمة لاستعجاله رحيلها ثم انحنى نحوه
لتغطي خصلات شعرها السوداء وجهيهما معاً طابعة قبلة على
خده الأيمن وهامسة: « أريدك أن ترحل معي.. »
« إذا.. وداعاً فارس. »

لم تكد تتمها حتى اتسعت عيناها لمراى الدموع التي انهارت
من عينيه فجأة وهو يتشبث بطرف معطفها هامساً:

« لا تذهبي.. أرجو ووك.. »

انحنت لتجلس على إحدى ركبتيها أمامه متأملّة وجهه
الصغير، عيناها الزرقاوان بدتا كبحر هائج من الدموع، شفّته
ترتجفان وكتفاه يهتران ببكاء..

تماسكها الهش كاد يخونها وتبكي إلى جواره..

امتلاّت عيناها بحب عميق ومجنون له.. كيف لا؟!.. وهو
أكثر من تكترث له في حياتها..

ضمته بقوة لضدورها ليفرغ كل حزنه عليها وابتلعت ريقها
موقفة غصة في خلقها..

- إذا يا مدّعي القوة هذا ما جعلك تغادر القصر فجراً ولا
تودعني مع البقية؟!.. لم تكن تريد أن ألحظ أنك حزين على
فراقي؟!..

زاد بكاءه حدة وهو يومئ إيجاباً فيما ارتجف صوتها:

- لقد بقيت طوال الأيام الماضية منذ أن أخبرتك أنني سأغادر
تصرخ بي أن أرحل..

أغاد وجهه للخلف ليظهر وجهه المحمر وعيناها تتوسلان
بقاءها قبل شفّته:

« لا تذهبي مايا.. ابقيني معي. »

احمر وجهها وصمتت وقلبها يكتم الكثير والكثير.. فكيف ستجيبه!!.. فيما أردف هو بتأثر:

- كُنْتُ غاضباً.. غاضباً فقط لأنك قررت الرحيل وتركي..
لذا قلتُ ما قلتُ سابقاً ولكن أنا أريدك حقاً أن تبقي.

ربت بكفها على شعره الأسود مجيبة بلطف:

- أنا أعلم.. أعلم أيها المحتال أنك تكذب لهذا جئتُ
لأودعك.. ثم لا تقل إنني سأتركك.. أنا فقط سأتم دراستي ثم
أعود لتجدني شخصاً تفخر به وتعتمد عليه، وهذا ما وعدتني به
أيضاً أنك ستجعلني أفخر بك حين أعود.. فهل ستنكث وعذك
وتجعلني أقلق بشأنك قبل رحيلي؟!

سؤالها ذكره بوعده لها بأنه سيعتني بنفسه ويهتم بدراسته إذا ما
رحلت.. ولكن تلك اللحظة لا تقارن بهذه حيث يراها الآن
سترجل أمام عينيه..

وحين طال صمته الحزين رآها تخرج كيساً من حقيبتها
الذهبية اللامعة ثم فتحته لتخرج منه شريحتين من البرقر المحترق
الصلب وقد عكس وجهها ارتباكها وهي تأخذ واحدة لنفسها ثم
مدت بالأخرى له قائلة:

- لا تخبر أحداً أنني دخلت المطبخ وطبخت.. سيكون هذا

سرنا الصغير.. وعليك أن تقدّر أنني أجبرت نفسي على الطهو
لأنني أعلم كم تحبها.

تناول الشريحة فقد كان جائعاً لطول مكوثه أمام البحيرة ثم
ضحك وهو يقلبها سائلاً:

- هل هي صالحة للأكل؟! -

عبست بوجهها: « لا تسخر مني.. ثم هي لن تقتلك على أي
حال. »

أخذ يأكلها أمامها فيما تناولت هي الخاصة بها قائلة:

- هذه ستكون آخر وجبة لي معك إلى وقت عودتي.. وحين
أعود سأكون قد أتقنتها جيداً وأول ما سيتناوله من صناعي
سيكون... »

« شرائح البرقر. »

همس بها فارس قاطعاً سيل ذكرياته وابتنسامة صغيرة تعلو
شفتيه الجافتين ليتألم قليلاً من تمزقها فهو أهمل تناول المياه
إضافة للطعام..

غمر قلبه حزن شديد فقد كانت تلك الوجبة هي الأخيرة التي
تشاركها مع مايا وبعدها لم يرها أبداً.. خاصة أن مقتل لمى حدث
بعد سنة من رحيلها..

زم شفّيته فجأة ورفع عينيه للأعلى لتذكره تلك الشرائح فوق

مائدة طعامه.. كيف قاومها؟! هو لا يعلم!!..

ولكن يبدو أن تماسكه الهش قد تحطم، فقد سحب منشفة راح يجفف بها كفيه ليفتح باب دورة المياه بعجلة عائداً إليها وقد نوى التهامها بالكامل، ولكن لم يكن قد اكتمل انفراج الباب بعد حين لاحظ ظلاً طويلاً مديراً ظهره له يقف أمام مائدة طعامه والأسوأ من ذلك ينوي سرقة صحنه المفضل..

ضاقت عيناه غضباً واندفع نحوه وقبل أن يصدر عن ذلك الشخص المتجمد أي ردة فعل كان قد انحنى فارس على ذراعه وبكل قوته غرس أنيابه وأضرأسه فيها علّها تجبره على ترك طبقه..

ارتفع صوت تأوه الرجل عالياً وشعر فارس بأصابع كفه تحترق خصلات شعره السوداء جاذباً لها للأعلى كي يُحرر ذراعه ورغم ذلك لم يخفف فارس من عنف عضته..

« سحقاً: »

صاح نادر بغضب جامح ويده تتخلى عن الصحن بينما ضغطت الأخرى على جبين فارس مبعداً له بالقوة عن ذراعه فقد ألمه بحق.. ولم يكن ذلك حكيماً إطلاقاً، هذا ما انتبه له فقد تجنب إيذاءه بجذبه بعنف من شعره ليختار بدلاً من ذلك جبينه حيث جرح رأسه الذي نسيه فنكئ مجدداً ليعود لإيلامه بشدة مصحوباً بصداع موجه..

تخلي عندها فارس عن ذراعه ورفع كفيه ليضغط بقوة فوق
الضماد الذي تلوث بدماء طفيفة وشفتاه تئنان ألماً..

تلك الثواني القليلة كانت الفرصة الوحيدة لنادر لإنقاذ نفسه
من عنف جديد فقد رفع كفين متوترتين سريعيتين نحو رقبة فارس
ليستحب قناع العينين للأعلى ويحجب رؤيته بالكامل فيما اتسع
فم فارس بصدمة غير مصدق أن هذا الشخص هو نفسه نادر! فهو
لم يشتم رائحة عطره التي اعتادها؟!...!

ولكن الطول هو نفسه.. طول هذا الشخص من الخلف يشبه
طول الشخص الذي رآه حين أصاب رأسه في الحاجز..

بل والأكثر من ذلك حين عض ذراعه اليمنى لينقذ طبق البرقر
كانت تزينها ساعة كبيرة.. وذلك المجرم لا يضع ساعته باليمنى
أبداً؟!!

« أنت.. أنت.. هو؟! »

سأل فارس بشبه صدمة ليظهر صوت نادر والذي يعرفه تماماً
قائلاً بأنفاس لاهثة:

- نعم أنا هو..

ابتسم فارس بسعادة وحماس واعتدل واقفاً أمامه وكفاه ما
زالا تضغطان على جرحه فيما فرك نادر معصمه لبعض الوقت
بألم قبل أن يقول بثورة:

- أخبرني.. هل أنت بشر أم كلب؟!.. تبّا إنها تؤلم بحق..
- لم أكن أعلم أنه أنت.

رد فارس بابشامة واسعة دون أن يزيح قناع الغينين وكأنه
يخشى أن يفعل ذلك فيتركه نادر فيما زفر نادر مُحنقًا والتفت
ليرى ذلك الصحن الذي سبب له كل هذه المتاعب ثم تدمر:
- ما دمت تريدها لهذا الحد لماذا اكتفيت قبل قليل بتأملها
ولم تأكلها؟!

- لأنني غاضب منك.
اتسعت عينا نادر لرده الغريب الذي فاجأه فيما تقوست شفتا
فارس وتابع وكأنه يعاتبه:

- لقد كنت هنا في الحجرة معي حين ناديتك ولكنك لم تأتِ.
شحب وجه نادر وهو لا يكاد يصدق أن فارس خلال تلك
الحادثة كان متيقنًا تمامًا من وجوده في الحجرة مع عمه، ولم
يهدده عقله لتفسير كيفية معرفته بذلك، ولكن فارس لم يتركه أسير
حيرته فقد قال فجأة بعبوس:

- كان عطرك.. أنا متيقن.. ولكنك لم تجبني؟!
- أنت لديك بالفعل حتى حاسة شمها.

قال نادر بانزعاج وقد اقشعر جسده بالكامل فيما لم يعتبر
فارس تلك إهانة وراح يضحك مفتخرًا بقدرته..

شفتاه المبتسمان وضحكته العذبة لم يعلم نادر كيف امتصت
كثيراً من غضبه!! بل وجعلته هو الآخر يبتسم لإدراكه أن فارس
قد ابتهج من قلبه بعد وقت طويل..

« هل وجهك قبيح؟! »

ارتفع صوت فارس حاملاً شيئاً من الأسف مما جعل نادر يثق
أن فارس سريع الغضب سريع النسيان فهو لم يمنحه الفرصة
حتى ليغيبه حول عدم قدرته على مساعدته في وجود عمه..

والأسوأ أنه مع سؤاله راح ينزل كفه عن جرح جبينه كي يزيح
قناع العينين لينظر لنادر إلا أن نادر أسرع يثبت القناع أمراً بحزم:
- أبقه كما هو.. ولا تنظر.. وإلا كانت العواقب وخيمة لكلينا.

- هل ستركني إن نظرت لوجهك؟

سؤاله القلق جعل نادر يستغل خوفه فقال محذراً:

- بالتأكيد.. وسأختفي ولن أعود لهذا المكان إطلاقاً.

اصفر وجه فارس وانقبض قلبه بخوف فأنزل كفيه عن القناع
باستسلام تام فيما أطلق نادر أخيراً نفساً طويلاً مرتاحاً ودون أن
يدري وجد نفسه يثق بأن فارس لن يجروء على مخالفة أمره خاصة
أنه بالكاد حصل على شخص يشاركه الحديث..

ومع ذلك لم يزل تجهم وجهه والتقى حاجباه بشدة غير
مصدق ما حدث.. فالمواجهة بينهما الآن كانت مفاجئة وسريعة
للغاية.. والأسوأ ليس مخططاً لها..

ظل ينظر إليه فقد كان يقف أمامه مباشرة والابتسامة السعيدة لم تغادر شفثيه ثم تحرك بغتة خطوتين جانبيتين نحو المائدة حيث صحن الشرائح ومد كفه اليمنى لتلهو بعشوائية فوق المائدة باحثاً عنها...

ابتسم نادر بالرغم عنه وسحب مقعداً ليجلسه عليه قائلاً:

- لا تتحرك.. انتظرنى فقط.

أوماً فارس برأسه مدعناً له ولا مضت كفه إحدى الشرائح ليسحبها ويبدأ في أكلها متجاهلاً ألم رأسه فيما عاد نادر نحوه حاملاً حقيبة إسعافات ثم سحب هو الآخر مقعداً ليجلس في مواجهته وراح يفك الضماد القديم عن رأسه..

- ألا تستطيع الصبر حتى أنهي تضميد جرح جبهتك؟

ابتسم فارس وهو يسحب الثانية ليبدأ في أكلها متحركاً رأسه بـ «لا»، فضغط نادر على أسنانه محنقاً وحمد الله أنه لا يصدر صوتاً أثناء أكله كياسر وإلا لقذفه هو ومقعده للخلف..

«هل أنت قبيح؟!»

ذلك السؤال المتأسف المشفق عاد ليخترق الصمت مجدداً فأزاح نادر خصلات شعر فارس السوداء ليكشف الضماد الجديد حول جبينه وهو يسأله باستغراب:

- لم هذا السؤال؟!!

- لأنك ترفض أن أراك.

« يا لصغر عقله وتفكيره. » فكر نادر باستخفاف وهو يتأمل وجهه الجاد..

عاد بظهره للخلف ولكن لم يكد يُبعد كفه عن رأس فارس حتى أسرع فارس يمسك ذراعه الأيمن وراح يتحسس موضع عضته، اكتفى نادر بالصمت وهو يراقب ما يفعله قبل أن تصدمه شفتاه اللتان تقوستا بندم شابه انزعاج كبير:

- أسف.. اهل تؤلمك؟

هي تؤلمه وأراد أن يخبره عن مقدار سوء عضته وغمقها فنطق:

- لا بأس.. لم تعد تؤلم.

بهت عينا نادر مستنكراً رده الذي ناقض تماماً ما فكر به عقله، إلا أن ما قاله كان ذا أثر حسن على فارس الذي عاد الارتياح ليملاً تقاسيم وجهه فمد يده الأخرى ليمسك ذراع نادر بكلتا يديه ثم لامس الساعه قائلاً:

- أنت تضعها في اليمنى.. وذلك المجرم يضعها في اليسرى.

اتسعت عينا نادر لهذا التفضيل الصغير ومنه تيقن أن فارس حاد الذكاء وإلا لم يكن ليميز بينه وبين ذلك الشخص بسبب هذا.. ولكن تكرر فارس لوصفه الشخص بالمجرم احتل كل انتباهه فسأل بفضول:

- في ذلك اليوم كان موجوداً في حجزتك مع عمك؟
أوما فارس بـ (نعم) بهدوء وعندها سأل بانفعال شديد:

- صفه لي؟

فتح فارس شففيه لتشتد فجأة أصابعه على ذراع نادر وكأنه يكره تذكره، بل وارتجفت شفته ولم يعلم نادر إن كان اضطرابه غضباً أم خوفاً فأسرع يمسك يده متحسناً نبضه لينجده متسارعاً بشكل فظيع فقد كان يضغط على نفسه بشدة فقال نادر بسرعة:

- لا بأس.. لا بأس.. يمكنك أن تخبرني بذلك لاحقاً.

أوما فارس برأسه بطاعة فهو لا يرغب بتذكره وخاصة في هذه اللحظة الجميلة الجامعة له بشخص مختلف بعد تسع سنوات..

- حسناً.. سأدعك الآن تتناول طعامك واشرب قارورة الماء بأكملها فشفتاك متشققتان بشكل فظيع.

قالها نادر وقد همّ بالنهوض ولكن فارس لم يتخل عن ذراعه مما أجبره على مواصلة الجلوس أمامه.. بل وعلم أنه كان ينوي مسبقاً منعه من الذهاب بتشبهه بها!..

« لا تذهب.. ابقَ معي. »

قالها فارس بتوسل وهو يتمسك بذراعه أكثر متابعاً:
- أقسم أنني لن أنظر إليك.. حتى لو كنت قبيحاً لن أقول لك

ولن أسخر منك.. فقط اجلس معي..

«أي معضلة أوقعت نفسي بها؟!»

تأفف نادر وعينه تعودان للحاجز خشية أن يأتي أحد بغيابه
ويكتشف وجوده بالحجرة مع فارس.. هو صحيح قد أشفق عليه
سابقاً.. ولكنه ليس مستعداً لإيقاع نفسه في مشكلات.. و..

انتبه فجأة لتلك الكلمة السخيفة التي تتردد على سمعه ما بين
لحظة وأخرى وهو يتجاهلها بإرادته ولكن ما دام فارس يصير على
تكرارها فليأخذ جزاءه إذا..

- لستُ قبيحاً.. بل أنا أوسم وأجمل منك عشرات المرات.

- حقاً؟!!

- بالتأكيد.. وتوقف عن وصف وجهي بالقبيح.. والإف...

وانتبه فجأة لمدي سخافته هو الآخر بمعاندته لفتى يصغره
والأسوأ من ذلك هو مريض!!.. ومرت ثوانٍ غالب فيها نفسه
ليستعيد بروده المعتاد وامتلات عسلياته بجذبة شديدة وقد بدت
له فرصة سانحة من الغباء تضييعها فانحنى نحوه قائلاً:

- حسناً.. سأخبرك بالحقيقة.. حقيقة لم لا أسمح لك
برؤيتي.. وعليك أن تستمع جيداً.

نبرته الجادة جعلت فارس يومئ بإنصات تام فيما تابع نادر:

- أنا أعلم أنك لا تدرك ما أنت فيه، ولا تعلم أيضاً نوع
المرض الذي تُعاني منه..

فتح فارس شفّتيه يريد مقاطعته فهذه المرة الثانية التي يتم وصفه فيها بالمريض لتصدمه (اششششش) حازمة من نادر جعلته يلتزم الصمت فيما استطرد هو مجدراً:

- عدني أنك لن تثور ولن تتصرف بعنف وستكتفي بالإنصات فقط.

أوماً فارس برأسه مجبراً وحينها قال نادر بكل صدق وشفافية غير مكرث لمدى ما قد يحدثه ما سيقوله فيه من أثر:

- أنت الآن في مضحة نفسية شهيرة بالعاصمة.. تقطن بالطابق السابع منها.. لأنك مريض بمرض يسمى متلازمة فريجولي يجعلك تبوهم الناس شخصاً واحداً إما بهيئته الحقيقية أو متكرراً في صورة أشخاص آخرين مختلفين تماماً عنه قد يكونون كبار سن وحتى نساء ولهذا تعامل الجميع بعنف معتقداً أنهم هو وهذا أيضاً ما منح الآخرين مبرراً لحبسك هنا مدعين أن عنفك السبب.

- ارتخت ملامح فارس ولولا عيائه المحجوبتان لرأى نادر مدى اعتراضه على ما يقول بل واستنكاره الشديد..

وبعد دقائق صمت ازدرد فيها فارس ريقه محاولاً حفظ وعده، قال:

- أنت لا تعرفه.. هو ذكي.. ذكي للغاية وهو من يحبسني هنا..

بل ويتنكر بهيئات مختلفة متباهياً أمامي بموهبته ومحاولاً
إغاظتي والتلاعب بي كما لو كنتُ إحدى دماه. فربما ان ...
- أنت أذكى من أن تفكر هكذا؟! .. أعلم أن مرضك لا يصاب
به إلا شخص ذكي للغاية ولكن عليك أن تكون في هذه المرة
أذكى من عقلك نفسه وتلاعبه بك.

- كلا.. هذا ليس صحيحاً.
- فكر جيداً.. كيف لرجل أن يمتلك القدرة على تقمص
صورة وصوت نساء عدة؟! .. بل صورتك أنت هل تشوه أمام
المرأة؟! .. هل تعرضت لضربة برأسك قبل ثماني سنوات؟
وفي هذه المرة فارس من تخلى عن ذراع نادر بصدمة ليُمسك
بها نادر بقوة ويشد عليها مدركاً أنه قد أصاب بأحد أسئلته شيئاً
من الحقيقة، فيما حرك فارس كفه إلى ما خلف عنقه قبل أن
يرفعها للأعلى حيث تلقى ضربة قبل تسع سنوات..
- ما هو اسمك؟

نطق فارس قاطعاً ذلك الحديث الثقيل المخيف بشفتين
مرتجفتين ولحظ نادر قناع العينين الذي تبلل بدموعه..
ارتخت ملامح نادر وأدرك من تغييره للحديث أنه لم يتقبل
أبداً ما قاله بل والأسوأ من ذلك هو في حالة شديدة من الاضطراب
يريد رفض أفكار نادر ولكنه يخشى في الوقت ذاته هجر نادر له لو
اعترض..

لانت ملامح نادر وأحس بكفيه المرتجفين فوق ذراعه بل
ورأى سيل دموعه يغادر قناع العينين ليخط على وجنتيه..

- اسمي نادر.

قالها نادر بهدوء فضحك فارس من وسط دموعه قائلاً:

- اسمك جميل حقاً.

كان يحاول بقوله تناسي ذلك الجو الذي أثقل صدره فابتسم

نادر بدوره قائلاً:

- هل هي لذيذة؟

ضحك فارس وقال بسعادة غامرة:

- جداً.. أحضر لي أكثر في الغد.

- حقاً؟!.. وعلى ماذا سأحصل في المقابل؟! أنا لنسب -

غادرت الضحكة شفطي فارس وظل مفكراً للحظة ولكنه لا

يملك شيئاً فقال:

- سأشكرك.

ظل نادر مشدوهاً ومصدق النظر به ثواني قبل أن يقول:

- تفكيرك بسيط للغاية.

قال فارس بنبرة صادقة:

- أنا لا أملك غيره.. ولكنه حقاً ذو قيمة فأنا لم أشكر أحداً

أبدأ بعد مايا.

- حسناً.. أفهم من قولك أن علي أن أكون ممتناً لشكرك.

صمت فارس وظل يفكر للحظة فإن قال (نعم) فهذا سيء وإن قال (لا) فهذا يعني أن عليه أن يعطيه شيئاً آخر غير الشكر.. ثم ما لبث أن عبس بوجهه قائلاً:

- هل تُحبُّ الجدال؟

- نعم.. حين يحاول أن يقنعني الآخرين بأن علي فعل شيء أرى أنه لا ينبغي علي فعله.

- فقط اصمت ولا تفعله.

قالها فارس بكل براءة ليصدمه قول نادر التالي:

- حسناً إذاً.. سأصمت ولن أحضر لك شرائح برقر في الغد.

تجههم وجه فارس ولم يجد ما يرد به عليه وقد حزن حقاً لرفضه طلبه، فيما اعتلت شفتي نادر ابتسامة كبيرة دون أن يدري لم هو مستمتع بإغاظته!.. لعل رده المتعجرف بكونه سيمنحه شكره هو السبب!..

- ولكنك أعطيتني هذه دون مقابل.

قال فارس وهو يشير بسبابته لقناع العينين.

- حسناً لكل شيء بداية.. وهذه الأولى ولن يكون هناك غيرها.

رد نادر كاذباً ومدارياً حرجه فهو لم يعطها له أصلاً، فيما قال فارس فجأة بابتسامة متعجبة:

- وشرائح البرقر الليلة لقد أحضرتها لي دون أن أعطيك ثمناً لها وهي الثانية.

عبس نادر بوجهه ولم يجد هذه المرة رداً ينفي حقيقة ذلك فيما ضحك فارس بانتصار حين صمت فقد أدرك أنه أفحمه..
- كيف تفلّت هذا الحديث من الحديث عنك إلى الحديث عني؟!..

تذمر نادر بانزعاج وهو ينهض وعيناه تحدقان بذلك الكيس فكيف لو أدرك فارس أن هناك شيئاً آخر مجانياً سيأخذه!..
كان سيخفيه حفظاً لماء وجهه ولكن رنين ضحكات فارس العالية الجذلة والجديدة على سمعه جعله يبتسم ويقول:
- حسناً.. يوجد شيء ثالث هنا تركته لك.

اتسعت شفتا فارس ببهجة أكبر وهبّ واقفاً بطيش ليتعثر مع فقدانه للرؤية فأسرع نادر يثبته من وسطه ولكن لم يكد يلامس خاصرته اليسرى حتى سمع صوت أنينه المتألم..

- هل تؤلمك؟

سأله نادر باستغراب وهو لا يزال يسنده فيما تشبث فارس بذراعيه وقدماه تكادان تخذلانه وقد عاوده ألمها فأوماً برأسه إيجاباً..

تردد نادر لحظة قبل أن يقول:

- لماذا تشتكي منها دوماً؟! .. هل تعاني من مرض عضوي؟!!

تأنك الشفتان الجافتان لم تجيباه بالكلمات بل بدلاً من ذلك
تحامل على نفسه ليَقِف نازعاً قميصه وكاشفاً عن نصفه العلوي
أمام عيني نادر اللتين اتسعتا صدمةً وذهولاً..

وظل لثوانٍ مصعوقاً بما يراه قبل أن يسند فارس مخففاً من
ترنحه ويده الأخرى تمتد لتلمس جلد بطنه حيث كدمة زرقاء
كبيرة..

ولم تكن كدمة واحدة بل عدة كدمات انتشرت على صدره،
وصدق ظن نادر حين نظر للخلف ليجد أخرى توزعت على
ظهره لتتركز أكثرها زرقاء أعلى خاصرته من الخلف التي لطالما
بكى فارس ألمها وأعاقت جلوسه وجعلته يئن ويعاني لعدة
ساعات قبل استطاعته الوقوف..

رفع نادر بصره المتسبع لينظر لشفتي فارس المطبقتين بآلم
وهو لا يكاد يصدق كيف استطاع تحملها كل هذا الوقت.. بل
والأسوأ أنه بدا وكأنه يتعرض لها دوماً..

- من ضربك؟ ومتى حدث ذلك؟ وأين كان ياسر وقتها؟!!

سبيل من الأسئلة المتلاحقة لم يفهم فارس منها سوى شيء
واحد ليجيبه:

- هو.. ذلك الرجل.. قبل مجيء عمي في الصباح.

أدرك نادر أنه اليوم الذي غادر فيه وبنوبة ياسر أيضاً..

أظلم وجهه واحمرت عيناه غضباً وهو يذكر الأثاث المحطم
فلا بد أنه ناتج عن ثورة فارس بعد مغادرة الرجل لحجرتة وضربه
له بشدة.

ولكن قال فارس فجأة بابتسامة وكأنه أدرك غضبه:

- لا تقلق.. بقي فقط ثلاثة أيام وسينقل ألمها ويخف أثرها..

ثم أنا لم أنظر أو أركز بالمقاطع والصور التي أراي إياها.

- أي مقاطع وصور؟! ..

- صور جثة أختي لَمْى فوق سريرى والدم و..

صمت لتشتد قبضتاه ويشحب وجهه وقد عاودته نوبة هلع
مشابهة لنوبة دخول الرجل لحجرتة، فيما بدا نادر وكأنه فقد
شعوره بما حوله غير مضدق ما يسمعه، ثم صرخ فجأة بثورة
متأججة وكأنه أدرك ما يهدف إليه:

- بؤساً له.. لم يكفه ضربك بل ويسعى لانتكاستك..

بكى الفتى عندها ولم يستطع النطق وتلك المشاهد تتابع أمام
عينيه فقال نادر بأنفاس ثائرة:

- بقاؤك هنا هو الجحيم بعينه.

ثم اشتدت أصابعه بغضب حول ذراعيه وعقله لا يسترجع

سوى معاناته هو الآخر من الضرب والتعنيف والتهديد داخل
السجن..

ولكن هناك فرق..

فرق كبير..

فهو نادر وبعده أشهر فقط جعل جميع من بالسجن يتنافسون
على كسر تمرده أو ضمه لفرقهم لقوته..

ولكن فارس صغير السن فاقد الصحة وبعقل مضطرب مريض
بالكاد يقاوم داخل مكان يظن الكل فيه أنه يتلقى أفضل وألطف
معاملة..

والأسوأ يستغلون تشخيصه النفسي ومرضه لاحتجازه بسجن
انفرادي بغرض زيادة حالته سوءاً وتعذيبه نفسياً وجسدياً..

- هو معتقل فقط بهدف تدمير بطيء وبمنهج لعقله.
قالها نادر بصدمة عنيفة. ويبدو أن ذلك قد فاق تحمله لهذه
بقوة قائلاً بحدة وغضب:

- شكرك وحده لا يكفي إن كنت ترغب بشيء وذلك يشمل
حمايتك مما أنت فيه.. فسأمنحك يومين فقط لتفكر فيهما حول
مرضك وإن لم تتقبله خلال هذين اليومين وتعترف به فأنا بحق
سأكتفي منك ولن أظهر لك وسأدعك تتعفن هنا بمفردك بدون
هذه الشرائح السخيفة التي تصيح بطلبها..

ثم أعاده للخلف بقوة ليشهق فارس وبالكاد حفظ توازنه حتى لا يسقط فيما سحب نادر في طريقه الكيس من فوق المنضدة وخرج من الحجرة صافقاً الباب خلفه..

كانت السادسة صباحاً حين دخل ياسر حاملاً حقيبتة في يده، وضعها بهدوء فوق مكتبه ثم التفت ينظر لفارش الذي استكان جسده تحت غطاء سريره وقد كان تنفسه عميقاً بالنسبة لشخص نائم..

- إنه ينام بعمق.

قالها ياسر دون أن ينظر خلفه لنادر الذي كان يقف أمام آلة صنع القهوة.. متسائلاً في نفسه... لماذا لا يغادر كعادته!! فقد بدأت نوبته؟!

رمى بنفسه على مقعده وأشاح بوجهه بعيداً فهو لا يزال غاضباً منه، وهذا الرجل لا يساعده على أن يتقبلاً أحدهما الآخر!..

- لقد بدأت نوبتي.. لم لا تغ..

احتبست بقية الكلمات بحلق ياسر وكاد يسقط من فوق مقعده من هول صدمته وعيناه المتسعتان تحدقان بكوب القهوة الذي وضعه نادر أمامه..

ظل لثوان يناوب بصره بين الكوب ونادر قبل أن يقف فجأة ملامساً لجبهة نادر وسائلاً بانفعال:

- هل أصابتك الحمى من خروجك تحت المطر البارحة؟!
لم يحتقن وجه نادر.. لم يغضب.. لم يدفعه أو يهدده.. بل كل
ما فعله أن رفع يده وأنزل كف ياسر برفق قائلاً:
- أنا بخير.

سحب ياسر كفه وراح يتلفت حوله كالمجنون.. فلا بد من أن
نادر أصابته لؤثة؟!... أو فقد عقله؟!..

فيما نظر له نادر بحق فهو لم يكن معه بذاك السوء!!..
دفع نادر كوب القهوة نحوه أكثر قائلاً: « لن تجد أطيب من
قهوتي.. فلدي مهارة في صنعها. »

ابتعد ياسر للخلف ولو كان يمكنه لابتعد آلاف الأميال عن
هذا الغريب وهو يسأله من بعيد:

- ماذا وضعت بها؟!.. هل هي مسمومة؟!
اهتز حاجب نادر وضغط على أسنانه ليتسهم ابتسامة بدت
معاقة، وهو يُبدل بين كأسه وكأس ياسر ثم ارتشف منه عدة
رشفات قائلاً:

- هل اطمأنت الآن؟
لم يتحرك ياسر من موقعه شبراً واحداً حتى رأى نادر يجلس
على الأريكة البعيدة عن مكتبه فجرّ نفسه ليجلس ثم استنشق
رائحة القهوة قبل أن يرتشف هو الآخر منها وعيناه المشدوهتان
معلقتان بنادر..

- هل أعجبتك؟

- أنت لن تطلب ثمنها أليس كذلك؟

حرك نادر كفه بأن « لا » وهو يضحك ساخراً.. تلك الضحكة بدت أكثر شراً لياسر من كل خصامهما السابق..

ابتلع ياسر ريقه وأعين كل من الاثنين تجول في عيني الآخر بصمت، قبل أن يقطعه نادر بقوله:

- أتذكر ذاك اليوم عندما غطيت غيابي؟

أوما ياسر برأسه إيجاباً دون أن ينطق فتابع نادر بهدوء:

- شكراً لك.

امتقع وجه ياسر واصفر وتصلب كفه فوق كوب القهوة، وعيناه تلقيان نظرة جانبية نحو باب الحجرة كي يتيقن إن كان مفتوحاً أم لا..

رفع نادر ذراعه خلف عنقه وهو يغالب نفسه ليبتسم قائلاً:

- حسناً.. ذلك اليوم عندما جاء عم فارس هل عانيت بمقرذك

في التعامل معه؟

رد ياسر بتوتر وما زالت رغبة الهروب تخامر عقله:

- لا.. فعمه قد جاء بعد غروب الشمس كما أن المدير وسالم

كانا برفقته لذا لم أعان في استقباله والتحدث معه.

أوما نادر برأسه متفهماً ولم يرق لياسر ارتفاع حاجبيه الخفيف

وهو يعود لسؤاله بهدوء يخفي خلفه إعصار غضبه:

- هل دخل أحد حجرة فارس في ذلك اليوم وتسبب بعنفه

وتكسيره لأثاث حجرته؟! ..

كان سؤالاً مباشراً جعل ياسر يحرك رأسه نائفاً ذلك، وعم

الصمت لثوانٍ قبل أن يعود نادر لسؤاله بحدة:

- هل أنت متيقن؟

ازدرد ياسر لعابه وبدأ خائفاً وهو يتثبت من أنه منتعلٌ حذاءه

قبل أن يعترف: ..

- حسناً.. لقد غادرتُ لساعتين فقط عندما طلبني المدير من

الثامنة والنصف صباحاً وإلى العاشرة والنصف وتركتُ إحدى

العاملات تراقبه إلى حين عودتي.

اهتز حاجبا نادر واحتقن وجهه فصاح ياسر بانفعال: ..

- لهذا لم أخبرك.. كنتُ أعلم أنك ستغضب لإدخالني فتاة

الحجرة ولكن ما كان بوسعي فعل غير ذلك فقد قال لي المدير أن

أبقىك معه إلى حين عودتي.. ولم تكن أنت موجوداً ولم أتيقن

بعد إن كنت قد رحلت حقاً أم لا لأنك لم تُجب تساؤلي فلم يكن

أمامي خيار آخر سوى ادعاء أنك كنت برفقته في الوقت الذي

انهال عليّ سائلاً عنك وعن مدى التزامك وأنا أجيبه قبل أن

يخبرني بأن انتهاء نحن الاثنان لزيارة عمه.

كان سيلاً من الكلمات البطيئة والمتعثرة والمحملة بقلقه مما
جعل نادر يهدأ ليسأله:

- إذا أنت لا تعلم ما هو سبب ثورته ذلك اليوم؟

- لا، على الإطلاق.. فحين عدت وجدته مغلقاً على نفسه
باب دورة المياه لما يقرب ستّ ساعات قبل أن يخرج منطماً
أثاث حجرته وبعدها جاء عمه وأنت رأيت بنفسك الباقي.
صمت طويل ساد في فضاء الحجرة وكلا الاثنين يتبادلان
النظرات قبل أن يتهد نادر بتعب ويرتمي على الأريكة ويغطي
عينيه بساعده قائلاً بضيق مصطنع:

- لا أريد أن يتكرر ذلك.. لا أريد أن يحدث له سوء مما يعيق
وظيفتي الدائمة في هذا المستشفى.. علينا أن نتكاتف معاً إلى
حين خروجه سالماً للمصلحة العقلية.

اتسعت عينا ياسر.. فالآن فقط أدرك سبب حرصه بارد مثله
على المريض، بل، وتنازل ليتعامل معه بطيبة على خلاف
سجيته.. إنه الأسوأ بحق!!!

ولكن ذلك لم يمنعه من انتهاز الفرصة ليضحك قائلاً:

- أخبرتك مسبقاً لن يكون شخص واحد قادراً على التعامل
معه.. بل حين غادرت كدتُ أجن فأنت بمغادرتك ستُخملني
مسئوليته كاملة وعندها سأبقى حبيس المستشفى وهذا يرهقني

ويستنزف كل طاقتي ومرححي..
كلمته الأخيرة كادت تُفقد نادر تماسيكة فغن أي مزح
يتحدث؟!

فيما ظل ياسر منتظراً إجابة نادر لعدة دقائق قبل أن يسمع
صوت شخيرته من أسفل ساعده بعد أن غرق في نوم عميق وقد
قرر أن مكان نومه الجديد سيكون هذه الأريكة من الآن وصاعداً..

الفصل الثامن

- ٦ يونيو ٩ م -

ارتفع صوت هممته وعيناه ترمقان باب حجرته الموارب ما بين لحظة وأخرى، قبل أن تعلو شفتيه ابتسامة مبتسرة وهو يغلق الهاتف ليرمي به فوق سريره بعد سيل المكالمات التي أجراها وتلقاها خلال ما يقرب الساعة بأكملها ثم تحرك ليعبث بلوحة مفاتيح حاسوبه الشخصي متفقداً بريدته الإلكتروني ليجد ما طلبه قد وصل بالكامل، فزادت ابتسامته اتساعاً وتحركت شفاته:

- هذا جيد...

التفت نحو المرأة التي غطت مساحة كبيرة من حائط حجرته ثم تحرك ليقف أمامها وقد لف حول وسطه منشفة بحجم كبير.. تأمل نصفه العلوي العاري قبل أن تمتد أصابعه لتلمس آثاراً قديمة لأعقاب سجاجير أطفئت على كتفيه الأيمن والأيسر..

ضاقت عيناه نادر وهو يعدّها.. تسع علامات.. أين تلقاها؟!...

في السجن حيث يُمنع دخول السجائر والمخدرات ويفترض بهم أن يهيئوا السجناء ليخرجوا أفضل خلقاً وأقل شراً..

وعند ملامسته لأثر أسفل عنقه توقفت به ذاكرته عند ذاك

المشهد

(«سيدي هم المخطئون.. لقد جاولوا بإطفاء السجائر على

جسدي إجباري على التدخين معهم.»

واصل السَّجَّان جرَّ جسده نحو الزنزانة الانفرادية وعينه
تحدقان بخوف بخمسة من المساجين تجاوزت أعمارهم
الأربعين وقد صب الدم من بين أسنان أحدهم..

- لم يكن عليك خوض شجار معهم وضرب رئيسهم بصحن
طعامك المعدني في فمه.

- لماذا؟!.. لقد كانوا يؤذونني وكل ما فعلته محاولة يائسة
للدفاع عن نفسي بعد تجاهلكم لصبر اخي.

بدا السَّجَّان وكأنه سئم الجدال معه فكبل يديه بالحديد قائلاً
بسخط:

- اخرس.. وإلا جعلت الظلام يرافق عزل الصوت بشجنتك
الانفرادي..!

شحب وجهه نادر فهي المرة الثالثة التي سبَّح فيها فيه ظلماً
خلال شهره ودائماً يكون هو الضحية ولا يُسمع صوته..

قال السَّجَّان فجأة وكأن شيئاً من الشفقة قد لامس قلبه
محاولاً تفسيره للوضع:

- أيها الفتى كم مرة أخبرتك أن ما يحدث هنا يناقض تماماً ما
تعتقد، لا مكان هنا للعدل والإنصاف فأنا مجبر على حبسك أنت

بأمر من رئيس السجانين الذي يتعامل مع هؤلاء الرجال بطريقة لا نفهمها.. لذا لا تستخدم قبضتك دوماً بتهور وكن صبوراً.. واختر جماعة لك تدافع عنك وتحملك.. هنا هي شريعة الغاب حيث لا قوانين ولا رحمة.)

تنهد نادر ويده تضغط على ذلك الأثر بحقد حتى آلمه، وفكره يعود لوقته الحاضر.. ولم يستطع عقله عدّ المرات التي رُمي فيها داخل ذلك السجن الانفرادي خلال العامين، ولكنه يذكر المرة الأخيرة التي لم يدخل بعدها..

نزلت نظراته الحادة إلى حيث ساعده الأيمن لتضييق مُحْدَقة بندبة أفقية لخرج شق معصمه قديماً بعد محاولته قتل نفسه في السجن..

التقط ساعته الضخمة ليلفها حول معصمه فهو لا يريد تذكره إطلاقاً..

فبعد تلك المحاولة وفشله بها خرج ليكون أسوأ منهم وأكثر شراً.. تلقى ثلاث طعنات متفرقة في صدره وبطنه قد ردها بعشر طعنات خلال عامي مكوثه بالسجن، تسبب بحدوث شغب وعراك بعد التحريض بين جماعات السجناء الكبرى.. دخل السجن بجريمة شروع فاشل في القتل وخرج منه وقد تسبب بجراته وذكائه وصبره كما نصحه السَّجَّان بمقتل عدد لا

يُستهان به من المجرمين دون أن يحرك أصبعاً منه.

سقطت عيناه في خضم أفكاره السوداوية على الكيس الذي
أخذه من حجرة فارس فقال بحدة:

- لو منحته إياه لانشغل بالرسم عن التفكير بتصديق أمر
مرضه.

وضاقت عيناه غيظاً، كيف للأوغاد أن يجروا على مس
مريض هو مسئول عنه بل ولو فضح ذلك وبحث المستشفى
حول الجاني فقد يكتشفون ماضيه وعندها لن يجد أحداً متهماً
غيره ما دام له سابقة جنائية.

هل يحمي نفسه؟! أم يحمي الفتى؟! أم أنه يرى في ذاك
الفتى المعذب شخصه القديم؟!!

لم يحسم خيره ولم يطل التفكير وعقله ينبئه أن من الخير له
أن لا يتكرر هذا التعذيب في وجوده وإن إتفق ذلك مع مصلحة
كليهما هو والفتى معاً.

ارتدى ملابسَه ووضع من فوقها معطفه الطبي قبل أن يرش
عليه عطره بسخاء، غير مصدق أن المظاهر قد جذعته، ظن الفتى
مدلاً بعد أن ضربه في حاصرته في أول لقاء بينهما ولكن الحقيقة
كانت خلاف ذلك على الإطلاق.. بل احتمال الما لم يكن
ليحتمله بالغ مثله..

«تشه» منز عجة ندت من بين شفتيه.. فلم يكن متسرعاً هكذا
من قبل وليس من العدل أنه حكم عليّ تصرفاته دون أن يعلم
الحقيقة المغيبة..

- الظن الذي لا يتبعه تقصُّ وتجرُّ لن يكون في الأغلب إلا ظناً
أثماً يتبعه حكم أكثر إخفاقاً.

تمتت بها شفتاه وكأن إخفاقه في التحليل قد منسّ كبرياءه..
خرج إلى الحجرة المشتركة بوجه متجهم ليجد ياسر يقابله
بصرخة متحمسة:

- لقد أخرجتُ فيلم الأكشن الذي حدثتكَ عنه البارحة
سيعجبك بالتأكيد..
اهتز أحد حاجبي نادر وبالكاد تماسك أمامه ليقول:
- موعد نوبتي بعد عشر دقائق.. لا أجد أن تغادر قبل أن
تُكمله.

- يمكنني البقاء ومشاهدته معك.
رد بابتسامة كبيرة ليظلم وجه نادر وقد خرج عن طوره تماماً
فصاح ياسر بفزع:

- حسناً.. حسناً.. يمكننا مشاهدته غداً في نوبتنا المشتركة.
ثم عبس «ولكن هذا ما حدث البارحة أيضاً.. بقيتُ منتظراً
لك وأنت في حجرتك لم تخرج إليّ أن أقرب وقت نوبتك

فرفضت عندها. »

وارتسم الإحباط على كامل وجهه ولكن نادر لم يهتم وهو يتجه ليقف أمام الحاجز قائلاً بهدوء:

- مشاركتك لي نوبتي لم تكن من ضمن اتفاقنا:

- ولكنك تشاركني.

- كلا.. ما دمتُ نائماً فقط فوق الأريكة فهذا لا يُعدُّ مشاركة.

- أنت تفسر الأمور كما تشاء.. ثم ما بال حجرتك الرائعة؟!

- لا شيء.. فقط أريدُ أن أكون قريباً من مريضتي إذا ما حدث شيء لمساعدتك فأنت المساند فقط وأنا الطبيب المسئول عنه وإذا ما حدث أي خطأ فذلك لن يعود سلباً إلا علي وسيفقدني وظيفتي الدائمة.

- أنت تسرف في قلقك وحذرِك.

تذمر ياسر بانزعاج وإن لم يستطع إخفاء سعادته لكون نادر قد بادلَه الحديث وتقبَّلَه بعض الشيء ثم التفت فجأة نحو فارس متسائلاً بتعجب:

- ألا ترى أن أمره غريب؟!!... يأوي لفراشه مع بدء نوبتي ولا ينهض منه إلا في الثامنة في وقتنا المشترك وبالكاد يذهب عدة مرات لدورة المياه ثم يعود للنوم مجدداً.

- لأنك وغد محظوظ.. لو فعلها في نوبتي لم أكن لأتذمر فهذا

سيُريحني من متابعته ومصارعة القلق حول كونه سيؤذي نفسه.
ضحك ياسر لهذه الحقيقة إلا أن نظرة جانبية من نادر بتوت
ضحكاته لينهض حاملاً حقيته بسرعة ومغادراً فقد بدأ وقت
النوبة الخاصة بنادر..

ولم يكد يصفق الباب خلفه حتى عاد نادر بنظراته ليشأمل
فارس الجالس بسكون أمام مائدة الطعام فهتف وحاجباه
مرتفعان:

- إنه مطيع.. مطيع لي بشكل مريبك.

وفي الجانب الآخر من الخايز، نادر، قلبه يهتز
أمسك فارس بطرف قميصه لينزله أكثر للأسفل قلقاً من أن
يظهر شيء من جسده فتكشف تلك الكدمات التي أغضبت نادر
منه دون سبب يفهمه، بينما ظل يجلس بصمت أمام مائدة طعامه..
أعاد نظره القلق للخلف ليرى الساعة تشير للتاسعة مساءً..
شابك بين كفيه وراح يفركهما بتوتر..
لا رغبة لديه بالطعام.. بل ويسكن قلبه الحزن منذ ليلتين منذ
مغادرة نادر حجرته..

ندم كثيراً لأنه أراه تلك الكدمات ومهما اعتصر عقله
المضطرب باحثاً عن سبب لم يهتد لسر غضبه منه ومعاملته
المفاجئة بتلك الحدة..

تذكر كيف دفعه بغلظة ثم خرج ليعاني الوحدة مجدداً مما دفعه
ليرمي بقناع العينين ويلحق به وطرق الباب طرقات كثيرة معتذراً
منه إن كان أخطأ وتوسل إليه أن يعود..
ولكن نادر لم يعد.. ولم يتجاوب معه..

وبعد مرور ساعتين من توسلاته سمع صوته فجأة يصدح في
الحجرة عبر مكبر الصوت أمراً له بأن يتناول كامل وجباته وأن
يغير مواعيد نومه لتكون من الخامسة فجراً وإلى الثامنة مساءً وأن
لا يغادر سريره إلا مضطراً فقط لدورة المياه كما أن لا ينطق اسمه
أبداً ولا يناديه..

بل هو حتى غير وجباته الثلاث لتكون ليلية..
جابت عيناه الزرقاوان طاولة الطعام وقد نفذ نادر وعده فهو لم
يُحضر له ما أراد..
ولكنه ليس متزعجاً من ذلك بقدر انزعاجه من تخليه عنه..
عاد ذاك الضياع ليسكن ملامحه.. كان عاجزاً عن الأكل.. عن
النطق.. عن إيقاف الدموع التي انحدرت فجأة من عينيه..
تعلقت عيناه الزرقاوان المحمرتان بالباب ورفع كفه ليقضم
أظافره إثر اضطراب تفكيره وتوتره الشديد..
تمنت نفسه لو يدخل نادر عليه الآن وأن لا يفعل كالليلة
السابقة حيث تجاهله تماماً..

عادت كلمات نادر الأخيرة تعبت بعقله، بل وبلغ اضطرابه أشده، فبطلوع الفجر ستنتهي مهلة اليومين التي منحها نادر له، وهذا يعني أنه إن لم يتقبل كونه مريضاً ويعترف بذلك سيتجلى عنه نادر ليتعفن في هذا الموقع برفقة ذلك المجرم..

زاد ارتجاف أصابعه بخوف وهلع بين شففيه قبل أن ينهض تاركاً طعامه وراكضاً نحو دورة المياه ليقف أمام المرأة..

« أستطيع.. أستطيع رؤية وجهي.. »

همس بها وعيناه تحدقان بصورة وجهه المنعكسة على المرأة إلا أنها لم تكتمل الثانية إلا وبدأت تتلاشى فجأة..

أغمض عينيه بقوة فلا بد من أن اضطرابه ودموعه هي ما شوشت عليه الرؤية..

لا يريد أن يكون مريضاً.. لا يريد أن يصدق أنه طوال السنوات التسع كان يعيش وهمًا بصورة له عقله..

انها على ذاكرته فجأة لمحدثته الأخيرة مع عمه..

(- لا يزال عنيًا ومشوشًا كالسابق.. يبدو أن العلاج لا ينفع معه

- هل هو يهذي؟! ..

- أن هذا المرض لا يُشفى..

- أنا من بقيت فقط متشبهاً بأمل شيفائك ولكن يبدو أن اليأس

بدأ يداخلكني.)

ازدرد لعابه بذعر وقلق.. هل سيتهلّلى نادر هو الآخر عنه كما
تهلّلى عمه عنه؟!

هو لن يحتمل ذلك.. لن يحتمل المرور بذلك الألم والخذلان
مجدداً..

وأسوأها شعور الوحدة القاتل..
انقبض قلبه فجأة وعقله يُلحّ عليه بتقبل المرض من أجل أن
يبقى نادر معه فقط.. بل هو كمّح له بأنه سيحميه من المجرم..
وحمايته تعني أنه قد ينقذه ويخرجه من سجن هذا المجرم..
كان عرضاً مغرياً للغاية..
ولكن..

لو صدّق بأنه مريض..
لو آمن بذلك وتقبله فهذا يعني أنه اعترف بنقص فيه..
لن يكون مثاليّاً وكاملاً كما أرادته ماياً..
بل والأسوأ من ذلك لو كان مريضاً فهذا يعني أنه لن يستطيع
رؤيتها بل سيصوّر له عقله أنها ذلك المجرم وقد تنكر بهيئتها
الجميلة..

وصول تفكيره إلى هذا الحد جعل غضبه يتصاعد ورفضه
يزداد، ففتح عينيه عندها لينظر لوجهه في المرأة ولكن كل ما رآه
رأس بملامح وجه مشوهة ومطموسة..

ظل متجمداً بصدمة ثواني وذاكرته تذكره أن هذا ما يحدث له
أمام المرأة طوال تسع سنوات
منذ مقتل لَمى!..

أي منذ ارتطام رأسه وفقدانه للوعي ليلة الجريمة!..
انهارت الدموع من عينيه ووجد نفسه دون وعي يصرخ ألماً
وقهراً وحزناً..

« كلا.. كلا.. كلا.. »

وهوت قبضته المشدودة على تلك المرأة البغيضة التي صدمته
بحقيقته المرة..

توالت ضرباته وامتزج زجاجها المتشقق ببقع دمائه..
ولكنه لم يشعر بأي ألم والزجاج المتكسر يتساقط مع قطرات
دمائه..

لأن ألم قلبه المحطم الرافض هذه الحقيقة كان أشد..
ولم يوقف تتابع قبضاته إلا ذراعي نادر اللتان أحاطتا به من
الخلف فجأة مقيدتين له..

وفاح في فضاء الحجرة رائحة عطره القوية والمميزة..
ولكن نادر لم يتكلم..

بل ظل مقيداً له يسمع صرخاته العالية ونبرته الباكية وهو
يقاومه كي يحطم ما تبقى من تلك المرأة..

كان نادر يُدرك أنه بحاجة لإفراغ غضبه..

وألمه..

وحزنه..

قبل أن يُنهك جسده ويستسلم لتلك الحقيقة المرة بكونه مريضاً..

لذا فقد استسلم هو الآخر مرغماً للصمت وحاجباً ينعقدان بتعب..

واستمر الوضع لما يقرب عشر دقائق قبل أن يصدق ظنه وينهار فارس متشبهاً بذراعيه وشفته تتمتان بنبرة مريرة:

- لا أريد.. لا أريد أن أكون مريضاً.. قل إن هذا ليس حقيقياً..

الترم نادر بصمته الذي نبأ فارس بأنه لن يخبره بشيء يخالف واقعاً فانحنى رأسه للأسفل لتغطي خصلات شعره السوداء عينيه بالكامل:

- كلا.. كلا.. لا تخبرني أن الشخصين اللذين ثرتُ عليهما قبل تسع سنوات وجرحتهما بالسكين كانا والدي ووالدتي؟!..

امتزجت كلماته ببيكائه المر ولكن نادر لم يُجبه وإن انعقد حاجباه باستهجان فما قاله سيئ جداً.. بل وصدمة!..

- أرجوك.. لا تقل إنني حين ألتقي مايا سأرى فيها صورة ذلك الوغد وإنني قد أؤذيها فتغضب مني وتهجرني كما هجرني

والداي!!

(مايا).. فقط.. حين يذكر اسمها فإنه يزداد انهياراً وحرقةً
وألمًا.. هذا ما لاحظته نادر مع صراخه الأخير الذي صاحبه
اضطراب ونحيب فاقا ما قبلهما..

وبعد مرور وقت طويل بدا وكأنه قد اكتفى أخيراً من صراخه
الطويل وشعوره الرفض المستهجن لمرضه فقد استسلم لإفراغ
ألمه بسيل من الدموع التي أغرقت ذراعي نادر..

وحين هدأ تماماً وتراخي جسده بتعب أسنده نادر ليقف ورفع
رأسه لتبتعد خصلات شعره السوداء عن عينيه الحمراء بين اللتين
حدقتا بالمرأة المحطمة..

وعبر شقوقها رأى صورة نادر من خلفه..
لم تكن واضحة ولكنه استطاع رؤية كم يفوقه طولاً وشعره
الكستنائي اللامع وعينه العسليتين..

ولكن لم يلبث أن أصابه ألم برأسه فغطى نادر عينيه وقال:
- يكفي.. إن واصلت النظر إليها فستربط بينها وبين صورة
ذلك الرجل وعندها لن تقبل وجودي ولا حتى صوتي... بل وقد
تعاملني بعنف لا أثق أنني قد أصبر عليه طويلاً أو لن أبادلك إياه.

كلامه المباشر حول مرضه قد ألمه وزاد من كآبته فرفع يده
ليزيح كفه قائلاً:

- لن أنظر.

و قرن قوله بخني عينيه للأسفل وقد بدت نظراته منكسرة بل
وسحب قناع العينين بنفسه ليغطي به عينيه مستسلماً تماماً لأمر
مرضه.

زفر نادر بشيء من الحدة وهو ينظر للزجاج المحطم ودماء
فارس المختلطة به، لم يظن أن فارس قد يفعل ذلك أو قد يجره
ضغطة عليه إلى التصرف بهذا العنف.

ثم رفع بصره المنزعج ليصدمه ارتجاف شفتي فارس وهو
ينطق:

- أنا.. أنا مريض.

كان قوله بمثابة الاعتراف المباشر وإن حمل صوته شيئاً من
الانكسار المرير..

« هل ينتظر أن أواسيه؟! ».. هذا ما فكر به نادر وهو يراه لا
يزال يقف أمامه ولكن هو بالفعل لا يُحسن المواساة..

سحب منشفة صغيرة ثم سحب كف فارس المصابة ليلقيها
عليها ثم حذره:

- تراجع للخلف.. ولا تحدث أي حركة مهما سمعت.

لم يفهم فارس ما يعنيه ومع ذلك تراجع خطوتين للخلف
ليسمع فجأة صوتاً عنيفاً لتحطم زجاج جعله يفرع بقوة وارتجف
جسده قبل أن يشعر بعد ثوانٍ بكف نادر التي لامست كفه السليمة

معطياً إياه عصاً وشيئاً آخر لم يميزه قائلاً:
- نظف فوضاك.. فقد تعبتُ بحق من تنظيف ما تخلفه وراءك.
قالها وسمع خطواته المغادرة، صافقاً باب دورة المياه خلفه..
أزاح فارس قناع العينين لينظر بصدمة للمكنسة والمجرفة
المستقرتين في كفه..

ابتسم ابتسامة مندهشة فهو لم يكنس في حياته مطلقاً..
كما أن يده تؤلمه..

« أنها بسرعة فأنا أنتظرك. »
سمع صوت نادر مستحثاً له فتوترت ملامحه وانحنى للأرض
يكنسها قبل أن يلحظ أن نادر قد حطم ما تبقى من المرأة، فضحك
ببهجة فهو بحق رغب باختفائها كما أدته وعرفته حقيقة مرضه،
بل ولن يطيق دخول دورة المياه في وجودها المزعج..
أخذ منه تنظيفها ما يقرب عشر دقائق قبل أن يخرج حاملاً سلة
قمامة.. ولكن نادر لم يكن معه بالحجرة..

فوضعها قريباً من باب حجرته ثم اتجه نحو سريره ليجلس
عليه وهو يتلفت فيما حوله ثم أعاد قناع العينين وكفه ترفع طرفه
بخفة مسترقاً نظرات وصائحاً:

- لقد أنهيتها.. أين أنت؟

دخل نادر بعد عدة دقائق فغطى فارس عينيه سريعاً خشية

غضبه كل لحظة دفعه له...

كان نادر يحمل حقيبة إسعافات والكيس الذي وضعه فوق المنضدة ثم جلس أمام فارس على السريز وقد شعر فارس به ليسحب كفه وبدأ بمعالجتها قائلاً:

- بحق أنا معالج نفسي ولست طبيباً بشرياً إلى متى سيأتم بعلاج جروحك دون مقابل؟

- أنت طبيب؟

سأله فارس بذهول حقيقي جعله يدرك أنه لم يخبره بهذه الحقيقة.. و.. لم يزعج نفسه بتصحيح معتقده حول الفرق بين طبيب ومعالج فأجاب ببرود:

- نعم.

- ومن تعالج؟

- المرضى النفسيين.

- مثلي.

- أجل.

قال كلمته الأخيرة لتصدمه تلك الابتسامة السعيدة التي غطت شفتي فارس لكونه هو من سيعالجه، هل يخبره أن مرضه لم تسجل له حالة شفاء من قبل؟!... ولكن بالكاد شغل باله قبل قليل عن حزنه السابق بالتنظيف!..

- ولكن أنا بشر.

قالها فارس ببساطة وبثقة لينعقد حاجبا نادر سبائلاً:

- ما معنى هذا؟! ... حتى أنا بشر.

- ولكنك قلت إنك لست طبيباً بشرياً؟!!

اتسعت عينا نادر وعلت شفثيه ابتسامة ما لبثت أن تحولت
لضحكة طويلة ساخرأ منه، بينما مط فارس شفثيه قائلاً:

- ما المضحك؟

- أنت. ...

- ماذا فعلت؟

- لقد كنتُ أقصد الطبيب الذي يعالج الجروح والأعضاء..

وهكذا.

ارتفع حاجبا فارس ثم ما لبث أن قال بغبوس:

- لستُ مضحكاً.. هؤلاء يسمون طبيب جراحة، طبيب أذن،

طبيب حنجرة، طبيب أسنان، طبيب تخدير و...

وزاح يعدّها بدقة عالية وفهم عميق أثار إعجاب نادر الذي

انتهى من تضميد كفه ليقاطعه:

- كيف عرفت كل هذا؟

ظهر حماس كبير في صوت فارس وكأنه نسي أمر مرضه تماماً

حتى أن نادر نظر له بنظرة مشفقة وهو يجيبه:

- كنتُ سأصبح طبيباً.. لذا كنتُ أقرأ الكثير من الكتب وكانت

مايا تشجعني كثيراً.

كلمة « كُنْتُ » نبات نادر بأنه قنط من حلمه بعد انقطاعه عن التعليم، ومعرفة الآن بأمر مرضيه زادت من يأسسه، ولكن انتبه فجأة لتلك النبوة المليئة بالخماس والحب عند نطقه لذلك الاسم فسأله بفضول:

- مايا.. من هي مايا هذه؟

ارتخت ملامح فارس وعلت شفثيه ابتسامة محبة دافئة وهو يجيبه:

- أُختي الكبرى.

حدّق به نادر لبعض الوقت بشيء من الوجوم فإذا كانت أخته وهو يحبها بهذا الجنون فكيف أمكنها أن تهجره ولا حتى تزوره لترى هذه المعاملة السيئة التي يتلقاها..

- لقد غادرت وأنا في السابعة.. قالت إنها ستصبح محامية.. لقد غضبتُ منها وغضب منها والدائي ولكنها لم تستجب لأحد ونفذت ما أرادته.

عاد الحزن ليسكن ملامح فارس بعد تذكّره لفراقه عنها وهم نادر بمنعه من مواصلة الحديث عنها ولكن فارس اندفع يقول فجأة بفرحة:

- حين تخرجني خذني للقائها.

اتسعت عينا نادر وبدا مصدوماً فمتى وعده أنه سيخرجه!..
فيما أشرق وجه فارس وتحركت شفتاه بأجمل ابتساماته وهو
يقول ممتناً:

- شكراً لأنك ستحميني منه..

وزاد وجه نادر تجهماً، لقد التبس على فارس الأمر هو وعده
إن تقبل مرضه بحمايته من المجرم داخل المستشفى فقط. أما أمر
إخراجه فذلك قرار يرجع لأسرته لا إليه هو.. وأراد أن يزيل اذالك
الالتباس فلا أسوأ من منح مريض أملاً زائفاً ليقاطعه فجأة رنين
هاتفه من جيب معطفه فصرخ فارس سعادة:

- لديك هاتف؟

أسرع نادر يخرجه ولكن فارس مد له يده السليمة صائحاً
بتوسل:

- دعني أراه.. هل صورتك فيه؟.. قد يمكنني رؤيتها ولن
أناثر.. هل يوجد لديك لعبة (***)؟ أريد أن أعبها..

واصل صياحه وطلبه المتحمس وكل ما انتبه له نادر طلبه رؤية
صورته فلم يخطر بباله أن يستخدم معه الصور ليتقبل رؤيته وأنها
قد تنفع بأن لا يخلط بينه وبين الرجل..
نهض عن السرير وهو يتأمل هاتفه ثم قال:

- بعد أن أتلقى هذه المكالمة.. سنتفاهم.
كانت مكالمة مهمة جداً ولكن ذلك الإحباط الذي بدا على
فارس جعله يقف أمام باب الحجرة قائلاً:

- فارس هل رأيت الحاجز الأسود في حجرتك؟

- نعم...

أجاب فارس باستغراب فقال:

- إنه من زجاج سميك ويمكنني رؤيتك من خلفه.

توسع فم فارس بذهول، دون أن يفهم نية نادر بإخباره هذه
المعلومة، إنه خشي أنه بجلوسه بمفرده قد يعود له ذلك الشعور
السيئ لكونه مريضاً وقد يسعى لإيذاء نفسه.. بينما أدرك فارس
في الوقت ذاته كيف أمكنهم دائماً اللحاق به قبل أن يؤذي نفسه..
انتبه فجأة لشيء ليقول بنادم:

- أنا أسف.. لقد آذيت نفسي وأخلفت وعدي.

لم يكن نادر يملك الوقت لتوبيخه لذا فقد قال بعجلة بعد
انقطاع رنين هاتفه:

- حسناً.. أنت لم تقصد إيذاء نفسك بل آذيت المرأة.

تلاعبه بالكلمات جعل فارس يعقد حاجبيه بحيرة ثواني قبل
أن يتنسم هامساً: « أنت محق »، ثم سمع نادر يغلق باب حجراته
قائلاً:

- لقد تركت لك الكيس فوق المنضدة يمكنك أخذه.

لم يكن نادر قد أغلق الباب بعد حين قفز فارس عن سريره
رامياً القناع وقد اغتلى وجهه بلامح بهجة شديدة...

فيما تحرك نادر ليدخل الحجرة المشتركة ثم وقف أمام
الحاجز وهو يجري اتصاله بذلك الرقم وعينه تراقبان يدي فارس
اللتين سحبتا الكيس ليخرج منه كراس الرسم والألوان...

تلك البهجة والسعادة لم يرهما سابقاً في عينيه وهو يكاد يقفز
من شدة فرحته بل وراح يرفع الكراسن للأعلى...

و... ..

نادر: صبح... ..

تناهى صوت محدثه من الهاتف لتزول معالم تلك الابتسامة
من شفتيه وترتسم جدية كبيرة على وجهه وهو يسأله: ...

هل تحققت من الأمر؟ ...

- نعم.. ولكن أن تجبر مجرمًا متقاعدًا مثلي على فعل هذه
الأمور.. أنت سيئ نادر.

- لست أسوأ منك.. ثم ماذا تعني بكونك متقاعدًا؟ فقبل شهر
من الآن جريمة القتل التي تمت واكتُشف المجرم فيها.. لم يكن
هو من اخترق نظام المنزل وسرق بل أنت.

جاءته شهقة من محدثه فيما تابع نادر بثقة:

- زيد كنا رفاق زنزانة واحدة وليس علينا أن نكذب على

بعضنا البعض ..
تحشرج صوت زيد وبدا مبهماً للحظة وإن اختلط بسباب
وشتم لحصول نادر على مصدر يثزه به ويجبره على تنفيذ
مطالبه .. و .. امتنان لكونه تستر عليه ! .. فقال :
- أقسم أن مقتل المرأة تصادف مع شراقتي لمثلها ولم يكن
لي يد بالأمر ..

بدا نفاذ الصبر على نادر فهو يعلم ذلك فهو من ساعد بالتحقيق
فيها مع المحقق أيمن الذي طالما هاتفه وطلب تعاونه ..
- اخرس .. لست الآن بصدد التحقيق معك بجريمتك .. أريد
ما طلبته منك ..

أجاب زيد عندها بإذعان :
- حسناً .. حسناً .. لا تغضب .. من خلال اختراقي السجلات
العائلية تبين لي أن هذا الفتى الذي اسمه فارس راكم عبد السلام
هو ابن لتاجر شهير للغاية .. ولكن ما وجدته كان غريباً جداً ففي
السجل يوجد اسم الأب واسم الأم واسم فارس وفتاة تسمى لمى
وعند اسم فارس ولمى مسجل : «متوفى» بالرغم من أنك أخبرتني
أنه مريضك وأنه حي فهل تبرأ منه والداه أم ماذا ؟ ! .. أو لعلهما لم
يحتملا حرجهما بكونه مريضاً ..

كان يتابع حديثه في الوقت الذي تجمد فيه نادر واتسعت عيناه

وعقله يقف به عند كلمة واحدة « متوفى » ..

أي تفسير منطقي قد يجده لهذه الكلمة؟!، فهذا هو يرى فارس
أمام عينيه يفتش الأرض منحنيًا على كراسه وقد حملت شفتاه
ابتسامة مفعمة وقبضته المجروحة تمسك بالألوان الواحد تلو
الآخر يجربها على كراسه..

بل ورافع عينيه فجأة نحو الحاجر وكأنه أدرك نظرات نادر
ليتسم بعذوبة ويلوح بكفه ناطقًا بكلمة حملت كل ما بداخله من
امتنان نحوه.. تلك الكلمة جعلت عيني نادر تحمران بالرغم
عنه..

وفجأة استفاق نادر من شروده ليسأل بلهفة:
- ابحث عن مايا.. مايا أخته الكبرى.. فهي من قد تمد له يد
العون هنا وفق الطرق القانونية.

همهم زيد بعدة كلمات وكأنه يبحث قبل أن يقول:
- نادر.. السجل العائلي مكون من أربعة أفراد فقط.. والده
ووالدته وفارس ولّمي ولا وجود لأخت له تسمى مايا!..

وعندها اعتلت وجه نادر صدمة عنيفة وأنزل يده دون سماع
بقية حديث زيد.. فهو لم يعد يدري ما هي حقيقة هذا الفتى وما
يحيط به!!!

الفصل التاسع

7 يونيو -

رفع برأس سبابته طرف الغطاء لينظر بعينه الزرقاوين اللتين ما زالت بقايا النوم عالقة بهما إلى الساعة التي أشارت للخامسة مساءً..

ضاقت حدقتاه بتأفف وضجر فلا يزال يفصله عن موعد النهوض المحدد له من نادر ثلاث ساعات!!..

رفع قبضتيه ليفرك عينيه المتعبتين ثم استرق نظرة للحاجز.. هل نادر هناك ينظر إليه الآن؟!

ابتسم ابتسامة خفيفة وجذب الغطاء ليغطيه بالكامل وإلى جواره استقر الكراسي وعلبة الألوان، خدق بهما بعبوس وقد داهمته رغبة مجنونة لإتمام ما بدأه البارحة..

ولم يأخذ التردد وقتاً كبيراً منه فسحبهما ثم انبطح على بطنه صانعاً فرجة خفيفة معاكسة لاتجاه الحاجز سامحاً للضوء بالدخول منها..

شغفه الكبير ظهر بابتسامته المتسعة وهو يختار اللون الأسود ليلوّن شعر الفتاة في كراسه..

تلك الورقة حوت بين حوافها الأربع صورة لفتاة بدت غاية في
الحسن والجمال وبرسم دقيق متقن يسحر العيون...

كان مستمتعاً للغاية برسمه فهي المرة الأولى التي تحظى فيها
رسوماته بالألوان بعد قلم الرصاص الذي جعل منها صورة
كئيبة..

رفع عينيه للأعلى مفكراً.. الليلة بعد أن يُنهيها سيرُيها لنادر
وسيرسم أيضاً صورة لقضرة ولوالديه وللبحيرة و... و... و...

مشاريع عديدة امتلأ بها رأسه!.. ليلته تهرعت
ولكن تساءل فجأة لمَ لم يعد نادر ليلة البارحة إليه بعد تلقيه
تلك المكالمة؟! ..

ولمَ لم يمنحه هاتفه كماً وعدة؟! يا نادر... يا نادر...
ضحك فجأة.. لعله نام!!..

ولكنه بالتأكيد سيعود لزيارته الليلة فقد اعترف له بمرضه كما
طلب منه ولم يعد هناك أي سوء فهم بينهما..

عادت أنامله تلون بحماس أكبر و.. سمع فجأة.. باب حجرته
يُفتح..

تصلبت كفاه للحظة قبل أن يسحب الكراس ليخفيه تحت
جسده بينما أخفى علبة الألوان تحت وسادته خشية أن يسلبوها
منه مجدداً..

واستلقى جيداً كي لا يفطن الداخل لكونه مستيقظاً..

حاول المحافظة على هدوئه وانتظام أنفاسه رغم سماعه صوت خطوات لعدة أشخاص يتقدمون من سريره، إلا أنه لم يفلح فتلاججت أنفاسه بخوف واشتدات كفاه على فراشه وداهمته نوبة هلع جعلت وجهه يشحب وهو يحشر رأسه أكثر في الوسادة..

علمه بأنه مريض لم يكن ذا أثر بتخفيف أعراض مرضه..

ارتفعت بغته أصوات متداخلة. أنثوية. مع صوت رجل واحد صاحبها صوت خريشة أقلام فوق مفكرات صغيرة..

تلك الأصوات ضاعفت من نوبة هلع وخوف فارس ولم يستطع السيطرة على نفسه ليرافق إغماض عينيه صدور شهقات متوالية من فمه..

وبصغوبة بالغة كبج نفسه حتى لا يندفع نحوهم أو يعاملهم بعنف، وعقله المضطرب يلح عليه بأن مطارده برفقتهم أو قد يكون أحدهم..

ويبدو أن صوت شهقاته كان عالياً لتراجع الفتيات للخلف قائلة إحداهن:

- يبدو أن الصوت أيضاً من مثيرات مرضه؟! -

أجابها الرجل ذو المعطف الطبي وهو يشير لهن ليتعدين أكثر

عن سريرته خشيةً عليهن من عنفه:

- نعم.. وعدوانيته أخذ أعراضاً إصابته بهذا الاضطراب.. لذا احذرن من عنفه المفاجئ.

تعلقت عيون الفتيات الخمس بسريزه بقلق، ولاحظن اهتزاز الغطاء إثر ارتجاف جسده بخوف.. فرحن يوجهن أسئلتهن الفضولية للرجل:

- هل تضررت قدراته العقلية وانخفضت بسبب مرضه؟!

- حسناً.. لا يمكننا الجزم بانخفاض قدراته العقلية.. ولكن ما لا شك فيه كونه مصاباً بالمرض منذ تسع سنوات عُزل خلالها عن التعليم وعن مخالطة الناس لعنفه فهذا بالتأكيد جعل عقله يتأخر مقارنةً بأقرانه.. بمعنى آخر لأن آخر علاقاته وتفاعله كان بعمر الثماني السنوات ولأنه لم يكتسب خبرة تواصل جديدة بعدها فلا بد أن خبرته وعقله توقفا عند ذاك العمر الصغير..

- إذاً لو خرج فلن يكون قادراً على التعامل مع من بالخارج بنفس تعامل من بسنه بل قد يتعامل ويُعبر عن نفسه كطفل في الثامنة من عمره؟

قالتها إحدى الفتيات بشيء من الشفقة فيما أجابها الرجل:

- ذلك محتمل كثيراً.. ولكن لو لم يضرر عقله فنيستطيع أن يكون قليلاً أكبر من ذلك العمر.. ولكن الشيء السيئ بمسألة

خروجه هو كونه شبه مستحيل فخروجه سيزيد فقط من اضطرابه
وتفاقم مرضه وهو يحدق بكل من حوله ظاناً أنهم جميعاً
شخص واحد يريد إيذاؤه..

- بل الأسوأ أنه بانعزاله لتسع سنوات سيكون كرجل الكهف
الذي قُذِف خارج كهفه ليسقط وسط حضارة متقدمة..

قالتها إحدى الفتيات كدعابة وضحكت ليشاركها البقية
ضحكاتهم..

يتحدثون.. يتناقشون حوله.. يتباحثون.. غير آبهين بمشاعره
التي تأذت بشدة لوصفهم له بمنخفض الوعي والطفل ورجل
الكهف بل والأشد سوءاً قلبه الذي انفطر لكونهم ينتقصون منه
ويعاملونه كعينة اختبار أو حيوان تجارب..

هم يؤكدون نقصه بالكامل!!..!!

قال الرجل بغتة متجيباً الفتاة:

- نعم في عصرنا هذا سنة من التقدم تعني الكثير.. ما بالكن
بتسع سنوات!!..!!

عادت عيونهن تتعلق بفارس المختبئ أسفل الغطاء ولم تلبث
أن تقدمت أكثرهن جرأة مادة يدها نحو الغطاء المهترقائلة:

- أريد أن أرى زدة فعله إذا ما رآنا..

- سيتعامل معكن بعنف شديد ظاناً أنكن مطاردة المزعج.

زمجر الرجل منتهراً لها ومحذراً ولكنها واصلت جرأتها قائلة:

- لم لا نُقيده إذاً في سريره ومن ثم نسجل ردة فعله؟!..

فموضوع بحث تخرجي من الجامعة متعلق بمرضه ولا أريد أن تفوتني مثل هذه الفرصة النادرة.. فقلّ أن تجد شخصاً مريضاً بمثل مرضه النادر وغير القابل للشفاء.

قولها جعل إحدى الفتيات تسأل بدهشة:

- ألم تسجل حالة شفاء لهذا المريض؟

أجابها الرجل دون أن يدرك أن فارس هو الآخر قد أرهف سمعه وهذا تماماً منتظراً رده بلهفة شديدة..

- لا.. لم تسجل أي حالة شفاء..

تنهدت بعض الفتيات بتعاطف فيما غادر اللون وجه فارس لتتابع شهقاته المكتومة إثر تضاعف نوبة هلعه فلم يعد خوفه منهم فقط بل من ذلك اليأس الذي خامر قلبه وزاد من ذعره حول مرضه الذي لا شفاء له.. والذي لم يخبره عنه نادر..

سمعوا صوت تمزق ورقةٍ ما من أسفل غطاءه ولم يفهموا ما يعانیه، وعزوا ذلك لكونه مرعوباً منهم فقط فتحلقن جميعاً حول الرجل وقد حملت أعينهن نظرات ساجرة متوسلة أن يسمح لهن برؤيته ودراسة سلوكه المنفعل والعنيف عند رؤيته لهن..

خنوع الرجل أمامهن وصمته جعلاً تلك الفتاة تعود لتمسك
بطرف غطاء فارس وهي تهتف بجذرة:

- شروق صوريه جيداً.. ف..

« ما الذي يحدث هنا؟! .. ومن سمح لكم بدخول هذه
الحجرة؟! »

ارتفع هذا الصوت الثائر الغنيث من خلفهم لتصلب أيديهن
على المفكرات قبل أن يلتفتن ليرين نادر يقف أمام فرجة الباب
وقد تبعثر شعره فوق وجهه وما زالت عيناه ناعسيتين وملا بسه
تعمها الفوضى، فقد أفاق للتو.

- نريد دراسة سلوكه.. فنحن متدربات هنا وقد استضافنا
المنسشفى من أجل رسالة بحثنا الأخيرة.

أجابته شروق فيما احمرت أوجه باقي الفتيات لوسامته
المتأججة!..

حتى أن الرجل استنكر بحقد قدومه والذي سيلبته مزيته
بالتباهي أمامهن.. كما أنه اختار نوبة ياسر وليس نوبته.. فلماذا
هو من ظهر الآن؟!!!

تحرك نادر وقد ترنحت خطواته وهو يشاء ويبدو أن قول
تلك الفتاة قد قلل من غضبه لعدم تعرض فارس للمضايقة
بالضرب..

وإن لم يُخفِ ذلك طبيعته الحادة فقد جذب فجأة تلك الفتاة الجريئة من مرفقها للخلف حتى كادت تقع وهو يقول:

- غادروا.. أنا طبيبه المسئول.. ولا أسمح بوجودكم هنا.

تلقف الرجل الفتاة فيما شهقت. باقي الفتيات لتعامله الفظ وهو يلوح بكفه لهم أن يخرجوا...

ذلك الفعل أهان الرجل فهو أكبر منه سنًا وسنوات خدمته بالمستشفى أكثر.. ولم يهتم نادر لتلميحه بعينه بأن يكون أكثر لطفًا معهن، بل وقوفهم أمامه وعدم مغادرتهم أغاظه فاستعاد عندها بروده وابتسم بغرابة قائلاً:

- تردن موافقتي من أجل دراسته.

أومأت الفتيات بنعم فيما ارتاح الرجل لتجاوبه المفاجئ ولكن نادر قال فجأة:

- امنحني أسماء كن.

منحته الفتيات أسماء هن تتالياً وقد علت شفاههن ابتسامة متحمسة ما عدا الفتاة التي عاملها بفظاظة..

رأينه يخرج هاتفه من جيب منامته ثم اتصل بالمدير قاصصاً عليه ما حدث ومانحاً إياه أسماء الفتيات واسم الرجل الذي كان معلقاً ببطاقة أعلى معطفه الطبي..

- يقول المدير: لقد انتهت فترة تدريبكم لسوء سلوككم ومخالفتكم للقوانين.

والتفت للرجل مضيقاً: «المدير يطلب حضورك بصورة عاجلة لمكتبه.»

قالها وابتسم لتشحب أوجه الفتيات وتلمع أعينهن بالدموع لقسوته فقد حطم مستقبلهن المهني، وغادرن بضمت وكأهن بحداد، فيما مر الرجل إلى جواره هامساً:

- سأردها لك يوماً ما أيها البغيض.

لم يكلف نادر نفسه الرد عليه، فقط ابتسم ابتسامة تنبئه بأنه مستعد ومرحب بأي شيء.. وعندها فرغت الحجرة من الجميع عدا نادر وفارس الذي ظل يرتجف أسفل الغطاء وإن كان سماع صوت نادر المألوف قد خفف كثيراً من خوفه وتوتره..

إلا أن ذلك لم يقلل من حزنه واغراقه الوسادة بدموعه فمراضه لا يُشفى!..

سمع نادر صوت نسيجه الخافت ومع ذلك لم يمنع ابتسامة مستغربة من أن تعلو شفثته لكون فارس تماسك ولم يثر أمانهم، بل والأكثر دهشة أنه أبقى الغطاء على وجهه وكأنه أدرك أنها الطريقة الوحيدة للتخفيف من نوبته مقلداً طريقة نادر في التعامل معه..

تحركت يده لتمتد تلقائياً نحوه ولكنه التفت فجأة للحاجز.. عليه أن يكون أكثر حذراً فهي ليست نوبته!..

ذلك وحده كان كفيلاً بتفجر غضب عنيف في وجهه فغادر
الحجرة صافقاً الباب خلفه، نحو ياسر، ليجده نائماً فوق مكتبه
بسكون تام..

رفس مقعده ليهتز جسده ويرتطم رأسه بحافة المكتب..
ويبدو أن غضب نادر قد وصل إلى حده الأقصى ليزكله مجدداً
وكاد يسقط ياسر وبصعوبة حفظ توازنه ليقفز واقفاً وهو يصرخ:
- زلزال؟!!

« ليتة يتلعلك ويريحني منك.. »
هتف نادر وهو يرفع مفتاح حجرة فارس مضيقاً:
« سأخبر المدير بإهمالك ونومك أثناء نوبتك.. أنت لا تستحق
وظيفتك. »

- التهديد بفقدان الوظيفة جعل عقل ياسر يستعيد صفاءه
بالكامل وتتسع عيناه صارخاً:
- لماذا؟!.. ماذا حدث؟

رمى نادر المفتاح على مكتبه ثم قال بسخط:
- أثناء نومك أيها الغبي دخل ستة أشخاص لحجرة فارس.
شهق ياسر بصدمة: « سيقتلني المدير لذلك. » ثم راح يتوسل
لنادر كي لا يخبره..

تأمل نادر وجهه المحمر، وأنفه الذي سال بانزعاج، قبل أن

يلتفت ليرى كم الأدوية التي تراصت على مكتبه، وانبه ياسر لما
رآه فصاح راجياً:

- لقد نسيْتُ أن أدوية الزكام تجلب النعاس وإلا لم أكن
لأتناولها..

- أنت تعلم أن الطبيب المسئول بإمكانه استبدال طبيبه
المسئول إذا ما لاحظ عليه أي إهمال.

أوما ياسر برأسه إيجاباً ويذا شديد البؤس لكون نادر هو
المسئول عنه..

« يبدو أنكما تنسجمان جيداً. »

صاح هذا الصوت من خلفهما ليلتفت الاثنان معاً ليجدا
مدير المستشفى الذي علت شفتيه ابتسامة لكونهما يقفان بعضهما
قبالة بعض و... يتحدثان بانسجام.. هذا ما ظنه!!

وجوده المفاجيء جعل ابتسامة مزيفة تملأ شفتي نادر وأسرع
للترحيب به وهو يعدل من هندامه غير المرتب.. فيما دفع ياسر
كم الأدوية لتسقط خلف مكتبه..

- كيف حال المريض؟

سأل المدير باهتمام ليحييه نادر وهو يقف أمام الحاجز:

- هو بخير.. فقط تلك المضايقة كادت تؤدي به لإيذاء نفسه
ولكنني تصرفت قبل حدوث ذلك.

قالها نادر كاذباً فربت المدير على كتفه وقد اعتلت عينيه نظرة
رضاء:

- الجميع يعلمون أنه محظور الاقتراب منه لذا فقد توليتُ
أمرهن إضافةً لذاك الطبيب فهذا المريض ذو شأن عظيم في
المستشفى..

أوما نادر برأسه مؤيداً وعيناه ترمقانه بنظرة حذرة قبل أن يتجرأ
ليسأله:

- عمه.. كان قد تحدث عن..
قاطعه المدير وكأنه ذكره بسبب قدومه:
- أوه نعم.. تفقد هاتفك.. فلقد قال عم فارس إنه قد أضاف
لحسابك مبلغ رعايتك لقريبه.. كما أنه أخذ رقم هاتفك ويريد
التواصل معك.

وشد على كتفه مضيفاً بابتسامة كبيرة:
- لقد امتلكت ثقته خلال أيام قليلة على خلاف من مكث
أطول منك في هذا المستشفى.
وألقى نظرة استصغار نحو ياسر الذي زمّ شفثيه بسخطاً، فيما
لم يلحظ أحدهما أن نادر نفسه بقي متجمداً غير مستوعب ما قاله

المدير، فهو لم يقدم شيئاً لعمّ فارس كي يكسب ثقته كما أنه بالكاد أتم الشهر ليمنحه مُرتباً آخر إضافة لمرتب المستشفى...

وهذا لا يعني سوى شيء واحد...

أنه يريد منه شيئاً..

عينا المدير المعلقتان به جعلتاها ينتزع نفسه من شرودة لتغلف وجهه ابتسامة كبيرة:

- كُله بفضل توجيهاتك الجيدة سيدي.

أسعد المدير أنه ينسب امتيازَه إليه وبعث بشيء من الغطرسة لنفسه فقال:

- كُنْتُ محققاً بقبولك.

ثم تحدثنا قليلاً حول فارس وزيادة العناية به قبل أن يغادر المدير ليلتفت ياسر إليه قائلاً بغيظ حقيقي:

- تَبّاً لك.. أنت شخص آخر معهم.. ذو وجهين.. لم لا تعاملني مثلهم؟!!

- أنا لم أخبره أن دخول الأشخاص كان بسبب نومك.

رد نادر لتسهل أسارير ياسر بهجة بعد أن أدرك أنه لم يش به، ثم امتقع وجهه فجأة لا ابتسامة نادر الغامضة فقال بخوف:

- ماذا؟!.. ماذا تريد بالمقابل؟

- دعه لوقته.

رد نادر بخبث لبقية أسير تفكيره ومخاوفه فيما تحرك هو نحو الأريكة ليأخذ من فوقها غطاء سريريه حيث كان نائماً سابقاً قبل أن توقظه الأصوات من حجرة فارس..

دخل حجرته وصفق الباب خلفه لتبدل هيئته تماماً، رمى بالغطاء على سريريه، ثم جلس على طرفه يفرك بكفه اليمنى جانبي جبينه إثر صدام مضاعف لانتزاعه من النوم..

نظر للساعة كانت السادسة.. لقد بدأ وقته المشترك مع ياسر.. تنهد بتعب ورغب مجدداً بالنوم.. فهو لم يحظ إلا بالقليل منه بعد ما تلقاه البارحة من صدمات خلال مكالمته لزيد..

- كُنْتُ أَعُوْلُ على أسرته إذا ما اتصلت بهم لزيارته أن ترق قلوبهم عليه حين يرونه يتوسل إليهم بيؤس كما توسل لي ولعمه كي يخرج فيخرجوه.. وبذلك أصطاد عصفورين بخجر واحد...: أتخلص من مشكلته تماماً داخل هذا المستشفى المستغل وأكسب أنا الوظيفة الدائمة دون أن يدرك أحد تدخلتي بالأمر.. ولكن أمر مساعدته الآن مستحيل.. هذا ما توصل إليه نادر بعد تلك الليلة..

فارس ليس لديه أحد ليخرجه..
أو يستقبله بمنزله..
أو يحمله..

المكان الوحيد الذي سيحتضنه ويرحب به هو حجرته في هذا
المستشفى..

قبل مراسم تشييع وواد عقله عند مغادرته إلى مستشفى
الأمراض العقلية..

كانت هذه الحقيقة التي خضع لها نادر..

لذا لم يتواصل مع فارس في تلك الليلة..

فقد فرغت الجلوس من يده ولم يعد لديه شيء قد يساعده به..

كما أن محاولته اليائسة بجعله يدرك أمر مرضه كي يتقبل

أسرته إذا ما جاؤوا ليخرجوه لم تعد ذات فائدة..

...

إنه كاليتيم..

...

«أسف.. ما باليد حيلة.»

قالها وتحرك لدورة المياه ليستحم فهو يحق لم يعد يعلم

حقيقة ما يحيط بفارس..

كما أن أي تصرف مشفق أو متهور منه ودون أي جهة تدعمه

كأسرة فارس لن يجر عليه إلا الويلات خاصة أن لديه سبباً

إجرامياً سابقاً..

توقف ثواني حين ارتفع رنين هاتفه، نظر للرقم المدون على

شاشته و.. لا يعرفه!.. خمن أنه غم فارس وتردد لحظة قبل أن

يجيب:

- نعم؟

- أنت الطيب نادر عبد المجيد.

- نعم أنا هو.. من المتحدث؟!.

- أنا عمّ فارس.. فاضل بسّام ثروت..

اتسعت عينا نادر لاسم (بسّام ثروت).. فهو تاجر معروف
بكل البلاد.. ويبدو أن فاضل قد تعمّد ذكر الاسم كي يُنبه نادر
لحجم ووزن من يتعامل معه، فأُسرع يرد: يا الله..

- مرحباً بك سيد فاضل بسّام..

كلمته الأخيرة ظهرت متلعثمة ثقيلة لشيء أدركه فجأة..

فارس لا يتشابه مع عمه في الأسماء الأخيرة.. أي جنون هذا؟!
كيف يكون عمه إذا؟!.

هل يمكنك زيارتي بمكتبي الليلة؟

كان نادر لا يزال غارقاً في صدمته حين سمع طلبه وكاد يرفضه
لتوافقه مع نوبته ولكن رغبته الملحة بمعرفة أي جنون يحيط بهذه
العائلة جعلته يقول بإذعان:

- نعم.

حسناً.. الساعة العاشرة لئلا تنوف أنتظرك.

وأدلى له بمكان اللقاء ليغلق نادر هاتفه وقد اعتلى وجهه

وجوم غريب..

..

هذه الحقيقة الغريبة جعلته يجري اتصاليه. يزيد. ليرد عليه وقد
ظهر صوته متأففاً متوتراً:

- ماذا الآن؟!

- ابحث في خلفية رجل يدعى فاضل بشام ثروت... وانظر ما
نوع العلاقة التي تربطه بعائلة فارس؟

- نادر أيها الوغد أنت تسعى لتحطيم حياتي لو اكتشفوا تسليلي
للنظام..

- لم يكن عليك مسبقاً سرقة تلك المرأة.

أنت تبتزني نادر. لا أصدقك إلا بعد معرفة ما يحدث.

- وما فائدة الأسرار إن لم ننتفع بها؟! أنا! همت ربحي.

شتم زيد وأطلق سباً فاحشاً قبل أن يغلق الخط مذعناً له.

فيما بدا الحماس على نادر وكأنه يمارس هوايته قبل أن يجذبه
صوت من إشعار الرسائل ليفتحه فامتقع وجهه من ذاك المبلغ
الضخم الذي أضيف لحسابه..

هذا المبلغ جعل نادر يتوتر ويتردد.. هو ليس بالغباء ليرفضه..

دأهته مشاعر متناقضة.. حسيمها بأن قرر الذهاب للقاء عم

فارس..

وعندها سيقدر حقاً أي جانب سيأخذ..

ولكن من سيحل في نوبته إذا غادر للقاءه؟..

ظل يفكر للحظة قبل أن يختار شخصاً فهو حقاً يستحق ذلك.. فهو سبب رجوعه لهذا المكان وبقائه فيه فليحمل إذاً جزءاً من معاناته!..

رفع هاتفه واختار رقماً ليقول:

«أحمد»

«تَبَّكَ لَكَ نادر..»

تذمر أحمد وهو يمد يده مرغماً ليدير مقبض باب الحجرة المشتركة، وقد علا وجهه عبوس شديد ليدخل الحجرة بمنظره الفوضوي بملابسه المبتلة وخصلات شعره الملتصقة بجبينه إثر مياه الأمطار بالخارج..

خرج نادر من حجرة نومه مرتدياً معطفاً رمادياً قد اختفى تحتَه قميص أسود مغلق الأزرار بالكامل مع بنطال أسود.. وقد سرح شعره الكستنائي للخلف..

كان متأنقاً بشكل لافت للغاية مما جعل أحمد يحدق به النظر لئوان قبل أن يزداد عبوسه ويقول:

- هل أجبرتني على القدوم لتحظى بموعد رومانسي في

الخارج؟

تأمل نادر هيئته الفوضوية ثم سأل:

- هل رآك أحد؟

- لو رأي أحد فهل كُنْتُ سأكون وكأني خرجت من بركة
موحلة من المياه أيها الوغد؟!

ثم احتد صوته « لِمَ تُجبرني على الاستخدام سلالِم الطوارئ
الخارجية؟! »

تجاهل نادر أن يُجيبه وهو يعود للحجرة ليأخذ مظلة فالمطر في
الخارج غزير وهو لا يريد أن يكون بهيئة أحمد حين يقابل عمّ فارس..
ثم عاد نحو مكتبه ليأخذ محفظته فوقف أحمد هامساً في أذنه:

- من هي؟! ..

تراجع نادر للخلف وقد أزعجه اقترابه منه ليصرخ:

- سحقاً... وما شأنك أنت؟! ..

ابتسم أحمد بسرور لا سبغازه ثم جلس أمام مكتبه متذمراً:

- هذا ليس عدلاً... لديك فتاة تقابلها في الخارج لا أعرف عنها
شيئاً.

وضاقت نظراته « بينما لدي فتاة تعرف عنها كل شيء...
والأسوأ أن قدومي إلى هنا بسبب ابتزازك لي بأنك ستخبر والدك
بأنه كان لدي خطيبة... »

- لهذا لا يوجد ما يسمى سراً أيها الغبي إذا ما غادر صدر

صاحبه.

- أنت الوحيد من تستغل أسرار الآخرين وتبتزهم بها.

- والأغرب أنهم لا يلبثون أن يمنحوني غيرها دون طلب.

قالها ونظر نحوه ساخراً فهو دائم الثرثرة أمامه مما جعل أحمد
يَحْنِي رأسه ساخطاً من نفسه الغبية..

تحقق نادر جيداً من هندامه قبل أن ينظر للساعة التي أشارت
للتاسعة والنصف مساءً.. عليه أن يسرع وإلا فسيتأخر عن مواعده.
نظر للحاجز ليقف أمامه ثواني محدداً بفارص، كان الحزن
يطغى على ملامحه وهو يتكى بظهره على قائم السرير وقبضته
تلون ببطء ورقة جديدة فيما استقرت ورقة أخرى ممزقة إلى
جواره..

عقد نادر حاجبيه مستغرباً حزنه فهو لم يغادر حتى فراشه رغم
علمه بأن موعد نوبة نادر قد حل منذ نصف ساعة...
« ما به؟! »

سأل أحمد وقد لاحظ حزنه هو الآخر..
ارتخت ملامح نادر وظل معلق البصر به للحظة قبل أن
يُجيب:

- لا أعلم.. ولكن أخشى أن يكون اقتحام تلك العضبة
المتطفلة لحجرتي قد ضايقه أو أسمعه بعض الكلمات التي قد
تُسيء لمرضه.

كلماته حملت قلقاً جعل أحمد يدير بصره متسعاً إليه.. ولكن
لم يلبث أن تحرك نادر نحو المايك وهو يشير لأحمد بالتزام
الصمت.. ضغط المايك ثم تحدث عبره منادياً:

« فارس.. »

التفت فارس نحو الحاضر وقد ميز صوت نادر، تلك الالتفاتة
كانت لثانية واحدة فقط قبل أن يعود للرسم متجاهلاً له..
زاد اتساع عيني نادر ولم يذكره ذلك إلا بتجاهله لشرائح
البرجر.. (هل هو غاضب مني؟!.. ولكن أنا لم أفعل شيئاً
خاطئاً؟!)

تجاهل فارس له أزعجه ومع ذلك قال ما أراد:

- تناول طعامك.. و.. لم أخبرك الليلة الماضية.. أنت لم
تستحم منذ خمسة أيام.. زرائبك سيئة..

تصلب كف فارس على الكراس وأدار بصره المتسع نحوه
بعوس قبل أن يرفع قميصه لأنفه ليشمه، فيما شد أحمد على
أسنانه هامساً:

- أفضل الموت على أن أكون مريضاً عندك يا عديم

الإحساس

ضحك نادر لقوله قبل أن يغادر وهو يقول:

- أغلق الباب من الداخل.. ولا تسمح لأحد بالدخول

واكتشاف مغادرته...

قاطع كلماته طرقات خفيفة على الباب جعلته يدفع أحمد
بخشونة نحو حجرة نومه وأغلق عليه الباب ثم نزع معطفه سريعاً
وارتدى معطف الأطباء، وبصعوبة بالغة تمالك نفسه حتى لا
يكشف أمر خروجه وسالم يذلف دون إذن من نادر قائلاً:

- كيف حالك؟

- بخير.

رد نادر بإيجاز عله يغادر سريعاً ولكن سالم التفت نحوه ليراه
مرتباً جداً فقال:

- ظننتُ ياسر يقول إنك تغاني مع مريضك فهو لا يُفريق إلا في
نوبتك وتظلُّ مصارعاً قلقك حول كونه قد يؤذي نفسه أو يرتكب
فعلاً سيئاً في الحجرة؟! (الوغد... كان عليّ أن أشي به للمدير!!).. تدم حقاً على
تغطيته عليه.. فيما ابتسم سالم وهو يحدق بمائدة طعام فازس
مضيفاً:

- لا ترهق نفسك.. الليلة لقد تكفّلتُ به ولن تتعب من متابعته.

لم يفهم نادر ما يعنيه وإن استشعر خطراً ما، فسأل بحذر:

- ماذا تعني؟!

- ستفهم غداً... وستوسل لي لتكرار ذلك مجدداً.

قالها وهو يضحك ثم غادر الحجرة دون أن ينتظر شكراً أو امتناناً من نادر الذي ظل متجمداً وعيناه تتحركان تلقائياً لتسمر على فارس..

انتشله من جموده خروج أحمد وقد زاد عبوسه وضيقه ألف مرة فقال مبتسماً:

- أنت لم تقع؟!

- كُنتُ ساقع من دفعك اللامسؤول أيها الوغد لولا تشبث قليل مني بحافة الحائط.

- تباً.. المرة القادمة ستقع بالتأكيد.

صدم أحمد فقد كان يقصد إسقاطه إذا.. فيما نظر له نادر بخبت قبل أن يستبدل المعطفين قائلاً بجدية:

- أغلق الباب من الداخل.. وأبقِ عينيكَ على الفتى وإن تصرف أي تصرف غريب فتدخل وأوقفه.

- تصرف غريب مثل ماذا؟!

- قرر أنت بنفسك..

ألقي بها نادر وهو يغادر بعجل فقد تأخر بحق عن موعد لقائه بفاضل..

توقفت سيارة الأجرة التي استقلها نادر أمام مبنى شاهق غطي واجهته الأمامية الزجاج العاكس الذي لم يكشف عما بداخله،

ترجل نادر خارج السيارة وفتح مظلته الزرقاء وعيناه المتسعتان
تُحدقان بذاك الارتفاع الشاهق..

(بالغ الثراء).. هذا ما قاده إليه تفكيره وهو يتحرك ليقطع
الرصيف ثم دلف إلى مدخل المبنى لينعم جسده الدفء..
لم يواجه في حياته مثل هذا التكيف العالي الجودة ليغمر مبنى
بأكمله بدفء مريح يعاكس برْد ليل ضيف يونيو المرافق للأمطار،
أغلق مظلته ثم اتجه ليقف أمام امرأة في الاستقبال قائلاً بهدوء:

- الطيب نادر عبد المجيد.. لدي موعد مع..

قاطعته قائلة بابتسامة تقدير كبيرة:

- تفضل سيدي.. الطابق الخامس والعشرون.. الرئيس
بانتظارك وقد أعطانا الأمر مسبقاً بعدم تأخير دخولك.
ارتفع حاجبا نادر ولم يعجبه الأمر.. التعامل المبالغ فيه معه لا

بد له من ثمن!!.. وهو يريد معرفته بشدة!!..

وخلال دقائق كان قد فُتح باب المصعد ليُطل على ممر بان به
الثراء الفاحش وتجاوز بفخامته حجرته وحجرة فارس عشرات
المرات..

استقبله أحد الرجلين اللذين رافقا فاضل في المستشفى سابقاً
وقاده إلى مكتب فاضل..

صافحه نادر بهدوء وجلس على المقعد المواجه لمكتبه فيما

ابتسم فاضل وهو يعقد كفيه أمام وجهه قائلاً:

- كيف حال فارس؟

- هو بخير.

- هل تحسنت حالته؟

صمت نادر ثواني مفكراً قبل أن يجيب:

- لا.. حتى لو كان هناك تحسن فهذا لا يشمل مرضه الذي لا

يُشفى.

اتسعت عينا فاضل ليسأله:

- هل تعني أنه لديه أمراض أخرى؟

- نعم.. اكتئاب حاد.. وعقدة ذنب مرضية و..

وراح يعدد أمراضاً لم يفهم فاضل منها شيئاً سوى أن تنهد

قائلاً:

- كُنْتُ أعلم أن شفاءه ميؤوس منه.

ثم صمت وقد تعلق عينا بنادر في انتظار تعقيبه إلا أن نادر

ظل هو الآخر صامتاً يحدق فيه بهدوء..

صمتُ الاثنين جعل الجو بينهما ثقيلًا قليلًا خاصة أن نادر لم

يؤايسه لمرض فارس أو يؤيده بكون شفاؤه ميؤوساً منه، وهذا

جعل فاضل يغرق في حيرته ويصعب عليه الإقدام على خطوته

التالية..

رفع فاضل عينيه ينظر لحارسه وقد بدا متردداً للحظة قبل أن يعود بظهره للخلف قائلاً:

- أرجو أن المبلغ قد أَرْضَاكَ.

- بالطبع.. وهذا ما جعلني آتيك على عجل.. لشكرك وعرض خدماتي إذا ما احتجتها..

كلماته الأخيرة كانت كالضوء الأخضر الذي ملأ وجه فاضل بارنياس كبير فابتسم قائلاً:

- هذا ما ظننته أنك ستكون عند ثقتنا بك.

هو يعلم أنه لم يقل أو يفعل شيئاً لينجعلهم يثقون به، ولكن كلمات فاضل التالية جعلته يُصدم بالفعل حين تكلم:

- كُنْتُ صغيراً ومراهقاً حين دخلت السجن لجريمة محاولتك قتل رفيقك بالمدرسة.. ولا بد أنك عانيت كثيراً بعد خروجك خاصة مع مجتمع لا يتقبل وجود مجرم فيه. شحِبَ وجه نادر وانتفخت أوداجه وقد أدرك ما يعنيه، فيما تحرك فاضل للأمام متابعاً:

- لقد وافقتُ على توظيفك بالرغم من معزفتي لكل ماضيك لأنني أرى أنه من الخطأ ألا تُمنح فرصة جديدة..

كادت كفا نادر تكسران المظلة المستقرة بينهما، غير مصدق كيف توصلوا لماضيه الذي أخفاه جيداً.. بل وها هو يُوصف

الآن بما وسم به طوال حياته (مجرم) ...
والأسوأ قد علم الآن مصدر ثقتهم به!!! بل وقبولهم له
لرعاية فارس.. لأنهم يثقون بأن مجرمًا مثله سيتبع نهجهم
وطريقهم..

سيقدر المال وينفذ طلباتهم لأنه فقط ضحية نبذ المجتمع..

الآن.. هو يبتز به مسألة قبوله له رغم ماضيه غير المشرف..

رأس المظلة ينبغي أن يُغرس في قلب هذا الحثالة ولكن قليلًا
من صبر تشبث بما تبقى من أعصابه الثائرة ليقول:

- أنا شاكر وممتن لك ذلك..

ورسم ابتسامة خفيفة على شفثيه ليتشم فاضل بدوره قائلاً:-

- وقد اخترتك بعد أربعة أشهر من الآن كونك المعالج
المسئول عنه لتحضر معي المحكمة لتشهد بأنه لا يستطيع مع
مرضه إدارة أموال جده.

وفي هذه المرة ابتسم نادر ابتسامة حقيقية فهذا ما يريد معرفته
بالفعل.. (سر إبقائهم للفتى وحبسهم له بالمستشفى).. فسأل:

- سيبلغ عندها الثامنة عشرة بالتمام؟!

- نعم.. وقد أوصى جده بأن يُسلم أمواله حين يبلغ الثامنة
عشرة.. وإذا ما مات قبلها تُسلم للجمعيات الخيرية.

- إذا أنت تريد تسليمها للجمعيات بدلاً منه لأنه لا يستطيع

- لا.. كونه مريضاً فستذهب الأموال للوصفي عليه
وسأستغلها في رعايته والعناية به في المستشفى النفسي أو حين
انتقاله لمستشفى الأمراض العقلية.

عمّ الضمت لثوانٍ قبل أن يشد نادر قامته ويقول:

- عدني معك سيدي.. سأساعدك بالتأكيد..!

لم يستطع فاضل كتم ضحكة سعادة وهو يمد يده مصافحاً له
منهياً ذاك الاتفاق الذي لم يأخذ أكثر من نصف ساعة، فيما تيقن
نادر تماماً من مغزى مقابله إياه أنه كان يختبره ليقرر إن كان سيبقيه
أو يطرده إذا ما رفض ويستبدل به غيره قبل انتهاء الأشهر الأربعة..

غادر نادر ذاك الطابق المليء بالبذخ عبر المصعد الزجاجي
وحدق بالسماء السوداء خارجه.. تلك القلوب كانت أشد سواداً
وظلمة منها..

فكر: إذا كان هذا الرجل يملك كل هذه الأموال فما مقدار
الورث الذي سيمرر لفارس والذي أثار طمع عمه لحد جعله
يحبسه في مصحة نفسية..

ولكن ما أدركه نادر حقاً هو أنه بعد شهادته بعدم أهلية فارس
لتلقي الورث لن يكون لفارس أي أهمية بالنسبة لعمه سواء انتقل
لمصحة عقلية..

أو حتى لو مات أو قُتل مثل .. أخته..

كان بغمرة تفكيره حين فُتحت دفئا المصعد كاشفتين عن شابة
بدت في منتصف العشرينيات من عمرها تلوك شفيتها الكرزيتين
بعصبية بين أسنانها وقد تناثر حول وجهها الشديد البياض شعرها
الفاحم المموج والذي وصل لمنتصف ظهرها .. مرتدية قميصاً
أحمر غطاه جاكيت أسود ومن أسفله بنطال أسود واسع يغطي
جزءاً من كعبها الأحمر القاني..

ظل الاثنان محدقين النظر بعضهما ببعض عدة ثوانٍ قبل أن
تقول الشابة:

- هل أحتاج تذكرة لدخول المصعد؟!

انتبه نادر من وجومه فقد ذكرته بشخصٍ ما.. ولم يفهم ما
تعنيه!..

- يا رجل المصعد.. ألن تُفسح لي المجال لأدخل أم أنك
تنوي فقد وظيفتك وركلك خارجاً!!

رجل المصعد؟!.. تظنه الخادم المسئول عن ضغط أزرار
المصعد للصاعدين والنازلين.. بكل هيئته الأنيقة هذه تظن
ذلك!!.. هي تسخر منه بالكامل.. هذا ما أدركه نادر ليحتقن
وجهه وعسلتيه المشتعلتان تكادان تقتلانه..

رمت خصلتها المتمردة خلف أرنبة أذنها « تبّا.. ألم تكتف من

التحديق بي؟! «

بحنق وكبرياء قالتها.. ولكنها كانت مخطئة بالكامل ما كان عليها أن تغضبه فهو غاضب مسبقاً..
- حسناً.. يا مسخ الموضبة.. كنتُ فقط أفكر أنه من الأفضل لو اخترت عدسة لاصقة حمراء لكلتا عينيك تماشياً مع مزاجك وقميصك وحذاءك الأحمر بدلاً من زرقاء بإحداهما وعشبية بالأخرى..

ارتفع حاجباها للحظة لوصفه الشنيع.. (مسخ الموضبة).. قبل أن يُحيط بها فجأة امرأة بدت كمساعدة لها ورجل كبير بالسن..
فيما قالت المرأة بشيء من اللوم:
- يا أنسة لقد غادرت المطار قبلنا بعجلة.. حتى أنك استعجلت بقيادة السيارة للجد الذي لم تنتهي معه من تهيئة نفسك..

وصمتت بانزعاج وهي تتأملها « بل ونسيت نزع عدستك الأخرى.. »

غادر نادر المصعد مبتسماً وأحد حاجبيه يرتفع ساخراً منها..
- ما زالت بقايا كريم التصفيف عالقة بشعرك أيها العجوز..
توقف لقولها وانفرجت شفتاه غير مصدق فهو كان حريصاً بالفعل على تهيئة نفسه.. أخرج محفظته المزودة بمرآة صغيرة

ليرى خطيًّا صغيراً بالكاذب يُرى بين خصلات شعره..

استشاط غضباً والتفت ولكن المصعد كان بمرحلة الإغلاق
وقد تناسته تماماً قائلة لمن بجوارها:

- قُلْتُ لِكَ أَنْ.. لقد هاتفتني حارسه إياد قبل عدة أيام وقال إن
لديه سراً مهماً سيخبرني به وبعدها اختفى أثره تماماً.. هذا لا
يُعجبني!!... وسأقتل ذلك العجوز إن لم يخبرني أين هو!!

- ذلك الحارس متعلق بك فقط.. هو يعلم أكثر ما يهتمك لذا
لمح لك بأن معلومته لها علاقة بـ...
غاب باقي المحادثة عن نادر وكم تمنى لو يقتلهم.. بدءاً بذاك
العجوز الذي ذكره بكونه مجرمًا وانتهاءً بها..
لقد كانت ليلته سيئة بالكامل..

تصاعدت رائحة القهوة من كوب أحمد وهو يسحب مقعداً ثم
ألصقه بالحاجز وعيناه تراقبان فارس الذي ظل ملازماً للسرير
لساعة بأكملها منذ قدومه..

- يا إلهي.. هل يقضي وقته هكذا دومًا؟!

نظرة مشفقة متعاطفة أطلت من عينيه..

- لا بد أنه يشعر دومًا بالملل.

أخذ رشفة من قهوته فهو الآخر أيضاً قد أصابه الملل.. وقف

فجأة ليلصق وجهه بالحاجز متفحصاً وجه فارس:

- بشرته عادت لها بعض الحيوية.. كما أن شفثيه لم تعودا

متشقتين..

تمنى لو يتجه نحوه ليفحصه بدقة ولكن تحذير نادر من

الاقتراب منه جعله يتراجع للخلف بحدة..

- عودة صحته تدل على أن ذاك المشتهر لديه بعض

الأخلاق.

ضحك وهو يقولها فلا بد من أن نادر قد استمع لنصيحته حين

زاره سابقاً..

- أخرجته من أفكاره فجأة ولوح أفقي مليء بالأطعمة من

فرجة ملحقة بالحائط إلى حجرة فارس..

(هل هو بحجر صحي؟!.. تباً.. لم يعاملونه وكأنه مريض

بمرض مُعدٍ يخشون تفشيهِ لو اقتربوا منه)..

كان الأمر مزعجاً جداً لأحمد ولم تستسغه نفسه، ولكن رؤيته

لفارس يغادر السرير ليجلس أمامه ثم راح يأكل من تلك الأصناف

بصمت.. هنا لم يستطع أحمد منع التمتع عينيه وشتم نادر من

أعماقه لجعله يرى هذا الطفل البريء يمر بمثل هذه الحالة..)

«تباً لك نادر.. تباً لك.. سخفاً..»

- ولم يلاحظ أحمد أن فارس كان يتناول طعامه دون شهية.. فقط

طاعةً لنادر.. ثم التفت فجأة ينظر بعينين حزينتين نحو الحاجز..
تلك النظرات أصابت أحمد في الضمير.. وتمنى عندها لو يدخل
ليسأله ما يريد وبالتأكيد سيحقق له كل رغباته.

فقط خمس دقائق قضاهما فارس بتناول طعامه قبل أن ينتبه
أحمد لتحديقه بغرابة بشيء ما في أحد تلك الأطباق..

ظل متوتراً ثواني أمانه قبل أن يحسم تردده ويسحبه من الطبق
ليرميه في فمه ثم جرّع من قنينة المياه، واتجه أخيراً لخزانة ملابسه
ليختار قميصاً وبنطالاً وهو يمتط شفتيه باستياء لقول نادر بأن
رائحته سيئة..

«أعلم.. أعلم كم هو مزعج ووقح وبغيض.. ولكن أن تبقى
طوال هذا الوقت دون استحمام هذا مضر لصحتك.»
قال أحمد وعيناه المشفقتان تراقبانه..

فوجئ حين أخرج فارس قميصين أحدهما أزرق مقلم
بالأبيض والآخر أخضر قد نُقشت أطرافه وتوسطه رسم تينين..
رآه يغادر الخزانة وقد علت شفتيه ابتسامة ليقف أمام الحاجز
رافعاً لكليهما..

(هل يريد مني أن أختار؟!).. وضع أحمد كوب القهوة وكاد
يضغط المايك ليجيبه فرسم التينين ذاك لا يتناسب معه..
ومجدداً تذكر تحذير نادر، فتراجع وظل مفكراً لثوانٍ وتأنك

العينان المنتظرتان تستعطفانه أن يُجيب.. ابتسم بلطف وعاد للحاجز ثم طرق عدة طرقات مقابلة للقميص الأزرق لتعلو شفتي فارس ابتسامة واسعة فقد فهم مقصده.. رآه يتحرك ليرمي بالقميص الأزرق في الخزانة وأخذ الأخضر وقد علت شفثيه ابتسامة مستفزة جعلت وجه أحمد يشحب خيبة وإحباطاً..

- نادر أيها الوغد هذا الفتى غاضب منك بالتأكيد..
راقبت عيناه دخول فارس دورة المياه وأغلق بابها خلفه ليُفتح في اللحظة نفسها باب الحجرة المشتركة داخلاً منه نادر..
ربّع أحمد ذراعيه أمام صدره: « لقد قلت إنك ستعود العاشرة والنصف والآن هي الحادية عشرة والنصف!! »
تجاهل نادر تعليقه العاتب وهو يضع كيسين فوق المكتب وعيناه تبحثان عن فارس ثم سأل:
« أين فارس؟! »

- بالتأكيد ذهب ليستحم.. فأنت بلا منازع سيد إبراز العيوب.
أوماً نادر برأسه متفهماً قبل أن يشير له ليخرج: « يمكنك المغادرة. »

هكذا!!.. وبلا أي شكر أو امتنان!!.. قطب أحمد حاجبيه ثم قال:

- أنت.. أنا جائع فلقد مكثتُ هنا طويلاً دون عشاء.

عيناه كانتا تحدقان بالكيس بيد نادر وقد اشتتم رائحة الطعام..
وإن كان بحق يرغب قليلاً بمرافقته؛

سحب نادر أحد الأكياس بعيداً عنه فيما أخذ أحمد مسرعاً
الكيس الآخر ليجد به شطيرتين ومشروباً طازجاً..

- إنها وجبتي المفصلة حين كنا بالقرية.

قالها بسعادة وقد تأثرت عيناه لكون نادر اشترى له..

نظراته الممتنة أزعجت نادر وأشعرته بالسوء فقال:

- مجرد نزوة لن تتكرر.

حتى لو كانت زلة كانت سعادة أحمد لا حد لها وهو يجلس
ليأكلها بتلذذ..

- أنت حتى لم تتناول العشاء برفقتها!!.. هل رفضتك؟!

انتشل أحمد بسؤاله نادر من شروده وتفكيره بما حدث
خارجاً لينظر نحوه بسخط..

- لهذا احتجت لرفيق جيد مثلي كي يخفف عنك.

تابع أحمد بخبث فابتسم نادر مجيباً له:

- لم تكن بمستواي.. غبية وبلهاء ومتغطسة فرفضتها مباشرة
وتركتها تبكي وسط الأمطار.

توسعت شفها أحمد بصدمة واستهجان فضحك نادر لسذاجته
بتصديق مثل هذا الغباء، ثم أدار بصره بغتة للحاجز..

تذكر صمت فارس وتجاهله له بل والحزن الذي ملأ عينيه...

- هو غاضب منك..

قالها أحمد فقطب نادر حاجبيه فيما تابع:

- بل ولم يتناول طعامه وظل يجلس بزاوية الحجرة يبكي ثم سحب ملابسه فجأة مغادراً لدورة المياه..

لم يكن قد أتم حديثه حين رأى نادر يتخلى عن طعامه ليقف محدقاً بالحاجز قائلاً:

- حقاً؟! ..

تأمل أحمد سلوكه الغريب بصمت لثوانٍ قبل أن ينفجر ضاحكاً مما جعل عيني نادر تسبح خيلاً جيمماً لإدراكه أنه كان يكذب عليه..

- لقد بصقتُ في طعامك..

امتقع وجه أحمد لقوله وداهمته نوبة قيء وهو ينظر للشطيرة المستقرة بيده والعصير الطازج بالأخرى..

هو يتوقعها منه بالفعل.. ولكن حتى لو سأله لن يجيبه إن كان صادقاً أم مازحاً..

رفع عينيه ليراها يتسم له بعبثية فوضع عندها ما بيده على المكتب.. فهو الآخر قد فعلها به قديماً..

- والآن يمكنك المغادرة.. وأرجو أن لا تكون خدماتك

متوفرة مستقبلاً:

- حتى لو لم تتوفر.. ستجعلها أيها السافل متوفرة بما تمارسه من إجرام في حقي.

- إذا فلتدعُ أن لا أحتاج لخدماتك.

- وهذا ما ألهج به دوماً في دعواتي دون نصيحة منك..

ثم انتبه أحمد فجأة ليسأل عن شيء أشغل باله قبل المغادرة:

- هل تصرفت بشأن استغلالهم للفتى؟

- لا.. لو فعلت وأبلغتُ الهيئة الطبية دون دليل فسيشهد الكل

ضدي ولن يستفيد فارس شيئاً.. وغمه ليس مكثراً لأمره لأن

الفتى بعد عدة أشهر من الآن سيتسلم وراثته وهو يريد

الاستيلاء عليه.

شهق أحمد بصدمة فيما هز نادر كتفيه: أعلم في شئ من هذا.

- إن أوضاعه تسوء أكثر وأكثر.. حتى والداه قد تخلوا عنه..

- المسكين.

قالها أحمد بتأثر ليلحظ ذاك الحزن الطفيف الذي غطى وجهه

نادر لثانية قبل أن يختفي بسرعة..

- ماذا قد نفعل لأجله؟! إنه قبيح ما يسير فيه هينة و...

سؤاله المشفق جعل نادر ينظر له ثواني قبل أن يجيب:

نادر: ...

- لا يمكنك فعل شيء..

- وأنت؟! -

- أنا أيضاً.. سوف أقوم بواجبي تجاهه هنا فقط كوني المعالج
المسؤول عنه.

هذه الإجابة لم ترق لأحمد أبداً، واستشعر أنه يُخبي عنه شيئاً.
« لقد تأخر في دورة المياه. »

قالها نادر فجأة مقاطعاً ذلك الحديث الجاد لينظر أحمد
لساعته..

- إنه فيها منذُ خمس وأربعين دقيقة.

مسح نادر كفيه وشفتيه بمناديل ورقية ففارس ليس من عادته
أن يمكث طويلاً في الحمام، ثم تحرك ملتقطاً مفتاح خجرتة
فلديه شعور سيئ منذُ رآه حزينا..

فتح باب حجرة فارس ومشى بهدوء قبل أن يقف أمام المغسلة
الملحقة بدورة المياه، سمع مياه الدش ما زالت تتساقط فرفع يده
وطرق الباب قائلاً:

- فارس.. هل أنت بخير؟

لم يصله إجابة سوى صوت قطرات المياه المتساقطة.. عاد
يطرق الباب مجدداً ولكن لا مجيب.. وعندها توقرت ملامحه
قبل أن يرفع صوته:

- إن لم تُجِبْ فسأدخل.

ومجدداً صمت زاد من قلق نادر.. يستحيل أن يكون ذلك
ناتجاً عن تجاهله الطفولي له!.. وجد نفسه دون وعي منه يدير
المقبض ويفتحه ثم دفع الباب لتتسع عيناه قلقاً ويشهق هلعاً فقد
كان جسد فارس غارقاً بأكمله وسط حوض الاستحمام..
« يا الله.. يا الله.. يا الله!! »

سمع صوت أحمد من خلفه ولكنه لم يشعر بنفسه إلا وهو ينزع
معطفه ليرمي به إليه، ثم ركض نحو الحوض الممتلئ وهو يدفع
كمي قميصه لمرفقيه ولم يكذبني نحوه حتى رأى وجهه الغارق
بالدموع فبالكاد يبرز أنفه ونصف وجهه العلوي من وسط المياه..
وجهه المحمر وجبينه المتعرق نبأه بأنه كان يبذل جهداً كبيراً
كي لا يغرق ويموت..

وحين اصطدمت عينا فارس به انهمرت دموعه أكثر وهو يراه
يقرب منه فقد سمع مناداته سابقاً ولكنه لم يملك القوة للرد
عليه..

أدخل نادر ذراعيه أسفل منه ثم حمله خارج الحوض فتبلل
قميصه وجسده من المياه الملتصقة بملابس فارس التي لم يكن
قد نزعها بعد كي يستحم..

ولم يكذب يستقر واقفاً بحمله حتى راح جسد فارس يرتجف

بشدة وأسنانه تصطك بعضها ببعض فالجوا بارد إثر أمطار الخارج
وتبلله بالمياه زاد من حدة ذلك، رآه يُسقط رأسه على كتفه يتنفس
بوهن وما زال وجهه يعكس فزعه وانهياره مما حدث له..

ضاقت حدقتا نادر وبدا فيهما تأثر وإشفاق وهو يقترب من
أحمد الحامل معطفه كي يغطيه به، ازدرد أحمد ريقه وهو يُلْفُ
معطف نادر حول جسد فارس قبل أن يخرج للخارج كي يُهيئ
السرير ليرقداه عليه..

- أحضر غطاء سريرى.. وستجد في خزانتي مناشف كبيرة لا
بد من أن نجفف جسده بها.. والزر الذي ضغطته مسبقاً أغلقه
فالهواء الداخل من النافذة سيؤذي رثتيه.

أسرع أحمد دون تردد لينفذ أمره وحمل المناشف والغطاء
غير مصدق أن نادر يمنح شيئاً خاصاً به لهذا المريض الغريب..
بل وتخليه عن معطفه الفاخر قبلاً؟!..

مد يده ليغلق زر النافذة ومن الحائز الشفاف رأى نظرات نادر
المحدقة بفارس وهو لا يزال يحمله فشعر بقلق عارم..
ولكن الوضع لم يكن مُهيأً لملاحظاته تلك فأغلق النافذة ثم
عاد نحوه ليأمره نادر بفرش غطاء سريريه على سرير فارس كي لا
يتبلل السرير ولا يجد فارس ما ينام عليه..
أنزله بهدوء وما زال معطفه ملتفاً حوله ليستلقي جيداً..

وراح الاثنان يتعاونان معاً لتجفيف نصفه العلوي وقد استسلم
لهما تماماً.. عيناه فقط لم تكفيا عن ذرف دموعهما وهو لا يزال
يشهق من البرد...

نهض نادر فجأة قائلاً:
- سأحضر له شيئاً ساخناً ليشربه.. وأنت لا بد أنك قد
اعتدت التعامل مع مثل هذه الحالات في المستشفى.

أوماً أحمد له بالإيجاب وهو يراه يغادر بينما تابع هو الاهتمام
به وإن لاحظ محاولة فارس الابتعاد عنه وأنه لم يتقبله.. ولكن
جسده الضعيف يأبى طاعته..

استغرب أحمد وهو يجفف ذراعه سنقوطها بوهن حين تركها
دون أن يستطيع فارس تحريكها.. كان الأمر مريباً بحق.. ولكن
ما صدمه حقاً تلك الكدمات التي لا يزال بعضها ظاهراً على
جسد فارس...

وفي الخارج كان نادر يحضر كوب القهوة.. كان يعلم أنه خطأ
ولكن لم يكن لديه شيء آخر ساخن كي يمنحه الدفء..
كان لا يزال يشعر بارتجاف أعماقه من الداخل.. الفزع الذي
انتابه وهو يراه كالجثة في حوض الاستحمام؟!.. ما كان ذلك؟!..
الجميع يعلمون أنه يحاول مراراً وتكراراً قتل نفسه فلو مات لم
يكن بالشيء المستغرب.. بل هو متوقع منه..

ولكن لِمَ لا يزال يشعر بالخوف؟!

كان في حالة صدمة فهو لا يفكر الآن بوظيفته!!.. ولا بالمال!!.. ولا بشهاداته أو انضمامه لسلك التحقيق!!

هو فقط لم يرد رؤيته يتأذى!!.. هذا التفكير جعله يقلق وأشعره بالتهديد؟!

مرت خمس دقائق قبل أن يعود نادر للحجرة حاملاً الكوب في يده وقد أنهى أحمد الاعتناء به، ناوله الكوب وجلس على المقعد المجاور للسرير وقد غطى وجهه هم شديد..

نظر أحمد للكوب واهتزت أرنبة أنفه بحرق.. أهذا ما استطاع فعله؟!

ولكن جسد فارس المرتجف جعله يسنده مرغماً ليسقيه بعضه.. بان بملامح وجهه المرهقة عدم رغبته بها فهو لم يشربها في حياته..

ولكن أحمد ضغط عليه ليشرب بعضها قبل أن يدعه يستلقي مجدداً على السرير.. وكل ما فعله أن عاد للتكوم على نفسه وقد بدا النعاس في عينيه..

- ماذا حدث بغيابي؟

غطاه أحمد بالغطاء والتفت ينظر لنادر الذي كان يفرك كفيه بعضهما ببعض متابعاً بحدة:

- هو لم يرد إيذاء نفسه وإلا لكان مات منذ لحظة دخوله

للاستحمام؟! .. أي منذ أكثر من نصف ساعة؟ كما أني رأيت
محاولة اليائسة التشبث بخافة حوض الاستحمام كي لا يغرق.
- لم يحدث شيء.

أجاب أحمد، وهو ينهض عن السرير ليقف نادر بدوره ويثجه
نحو فارس... كانت عيناه نصف مفتوحتين فسأله مباشرة:

- لم كنت غاضباً مني؟

بدا وكأنه يقاوم وعيه المتلاشي ليُجيبه بحروف ثقيلة متقطعة:

- قال... وا.. إنني قليل الوعي... و.. كهف.. رجل.. أنت..
أنت لم تخبرني أني.. مري.. ض عقلي ومرضي لا يُشفى.

اتسعت عيناه إلى آخرهما وحقد بالفعل على ذاك الطبيب
والفتيات المتطفلات..

- هل هذا ما دفعك لمحاولة إيذاء نفسك..؟

كان عقله يرفض تماماً طرحه لمثل هذا السؤال، ولكن
تحريك فارس رأسه نقياً وانسياب الدموع من عينيه حزناً لاتهامه
له وكأنه لا يثق به.. جعلاً الثقة تملأ ملامح نادر وهو يقول:

- كُنْتُ أَثِقُ أَنَّكَ لَمْ تَرُدْ إِيْذَاءَ نَفْسِكَ وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ لَتَطِيعَ أَمْرِي
وتذهب للاستحمام.

قوله أعاد شيئاً من الراحة لوجه فارس الذي ابتسم.. ووجد
نادر هو الآخر نفسه يبتسم دون شعور بنسبة.

- نادر انظر.

انتبه نادر لصوت أحمد الذي كان يقف أمام مائدة طعام فارس
وقد رفع مغلفاً صغيراً فارغاً لقرص من الدواء.. تحرك نادر
نحوه واتسعت عيناه وأحمد يهز المغلف بغضب:

- قرص التراما***.. هل أنت أحقq لتمنحه إياه؟!.. هو
مُشبط للجهاز العصبي المركزي ومن الجيد أنه لم يفقد وعيه في
حوض الاستحمام وإلا كان انتهى الأمر بموته غرقاً.

ظل نادر على صمته وهدوئه وعيناه ما زالتا تُحدقان بالمغلف
فيما تابع أحمد بحدة:

- شعوره بالإنهاق والخمول.. ورغبته الآن بالنعاس والنوم..
ارتعاش جسده اللاإرادي.. تسارع نبضات قلبه.. جميعها جعلتني
أشك بتناوله له.. فهذا الدواء لا يُمنح إلا بعد..

وصمت فجأة وهو يرى نادر يتلَقَّت فيما حوله..
نظرته العصبية وأنفاسه الثائرة المتلاحقة نبأته بأنه لم يكن من
وضعه له.. تذكر فجأة ما حدث في المرة الماضية حين تعمدوا
انتقاء طعام غير متوازن له كي يُهدئ من حركته غير مبالين بصحته
وتدهورها..

ولكن على عكس المرة الماضية لم يبدُ نادر غير مكترث بل
كان ثائراً وفهم ما يريد بالتفاته..

هو يصمت.. يعقد حاجبيه وتضيق عيناه عندما يريد فعل شيء

سيء..

هل يبحث عن شيء ليقتل به شخصاً ما؟!!

هذا ما فكر به أحمد وقلبه يخفق بوجل ولكن نادر تحرك
ليغادر الحجرة فأسرع أحمد ليقف أمامه قائلاً بقلق:

- اهدأ.. اهدأ..

لم يهتم نادر وهو يدفعه بعيداً عن طريقه ولكن صاح أحمد
فجأة:

- والداك.. والداك ليس لهما أحد غيرك.

تلك العبارة كانت كقيلة بأن يتجمد جسده بأكمله.. كانت كفاه
المقبوضتان تهتران بعنف وعيناه يزداد احمرارهما.. كان يضارع
وحشاً بداخله..

أحمد نفسه شعر بالفرع والخوف منه ولم يقل كلمة بعدها فهو
يعلم أن تلك العبارة السابقة إن لم تكن مفيدة فلا غيرها قد ينجح
بتهدئته..

أدار نادر بصره المحمر لينظر لفارس ليجده قد سقط في نوم
عميق..

إذاً هذا ما يعانيه هذا الفتى أيضاً!!.. إضافة لعدم علاجه وسجنه
وتلك الكدمات بجسده!.. الحثالة يتجرؤون على التلاعب بوعيه

وتعذيبه بالأدوية رغم أن وجوده معه يحقق لهم مرادهم بمنعه من إيذاء نفسه وبإبقائه حيًّا!

- سالم قد قال إنه تكفل بأمره الليلة وإنه لن يُتعبني.

- رئيس الأطباء؟!.

سأله أحمد بانفعال مستنكراً أن يُقدم شخص بمكانته على فعل

هذا..

بينما سحب نادر نفسه بغتة ليجلس على المقعد المجاور للسرير وراح يستعيد بالله من الشيطان الرجيم عدة مرات، محاولاً تهدئة نفسه وأمام عينيه لم يرتسم سوى طيف عجوزين وحيدين..

« هل سيكون بخير؟! »

سأل نادر بعد بضع دقائق وغيناه المحمرتان محدقتان

بالأرضية فقال أحمد:

- قد يصاب حين يستيقظ بعسر هضم.. غثيان.. فقدان للشهية.. جفاف بالفم، شعور بالعطش.. ولكنها تستمر لعدة ساعات فقط قبل أن يزول أثرها... وأخمن أنه قد يستيقظ بعد ساعتين أو أكثر بقليل.

أزعجت تلك الأعراض نادر ولكنه ارتاح لكونه لا يزال سيستيقظ في نوبته.. فهو يريد تهدئته بنفسه..

صحيح أن الجميع يرونه مجرمًا وأنه سيغاضى عن تصرفاتهم..

عن تجاوزاتهم الآثمة.. بعد عدة محاولات..

ولكنه من الآن وصاعداً سيتصرف كمجرم حقيقي..

ولكن في اتجاههم ولتدمر مستقبله إذا..

ثم التفت لفارس النائم فوق السرير وابتسم:

« سأخرجك من هنا وليحدث ما يحدث. »

هتمس بها دون أن يسمعه أحمد.. س يلتزم بصبره المعتاد.. ومن

الغد سيبدأ علاجه لتحقيق مزجلة توازنه النفسي قبل إخراجه..

كان يفكر بذلك حين رأى عند قدميه قطعة من الورقة التي
مزقها فارس سابقاً..

شيء ما شدد انتباهه فيها..

نصف وجه الفتاة المرسومة فيها.. عيناها الزرقاوان..

شعرها المموج..

نظرتها المتعالية..

« مسخ الموضة »

نطق بها بشيء من الصدمة وذاكرته تستعيد فجأة قول فاضل

لفارس بأن مايا لم تعد تنطق اسمه..

إذا فمايا موجودة حقاً.. وليست من هلوسة فارس ومرضه..

وقد تكون بحق مسخ الموضة تلك..

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين

والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين

والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين

والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين

والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 والحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين

الفصل العاشر

رتب أجزاء الورقة الممزقة فوق طاولة مستديرة توسطت حجرته، بدت لفتاة في السادسة عشرة من عمرها ولكن كلما أمعن نادر النظر بها كان شعوره الداخلي السيئ يتعاضم بكونها:

« مسخ الموضوعة. »

التقط عدة صور لها بهاتفه النقال ثم أرسلها لزيد، تطلع لساعته التي أشارت للواحدة والنصف فجراً.. لقد قضى ما يقرب الساعة يتفقد بريده الإلكتروني ويطلع على سيل الملفات التي أرسلت له من أستاذه الجامعي حول مرض فارس وآخر ما استجد من طرق علاجه..

لم يكن ذاك الأستاذ الجامعي بخبير حول هذه الأمراض ولكن إعجابه بتلميذ نابغة كنادر في مجال واحد فقط جعله يستغل علاقاته ويهرع لتلبية حاجته شريطة أن يختاره كمشرف له إذا ما رغب يوماً ما بإكمال دراسته العليا حول علم النفس الجنائي..

« لم أكن أظن أن هوسه قد يكون ذا نفع. » وابتسم بسخرية « يوماً ما؟! .. وكأني سأفعل ذلك! »

أغلق حاسوبه الشخصي ثم خرج للحجرة المشتركة ليجد أحمد لا يزال جالساً فوق الأريكة..

- أنت .. لقد توقف المطر .. هيا غادر.

رفع أحمد بصره القلق نحوه ليجده قد استبدل ملابسه النبللة
وقد هدأ تماماً .. وحين لاحظ نادر نظراته سأل بسخرية:

- هل ستقضي الليل كله مرافقاً لي؟! أليس لديك عمل في
الغد؟!!

- أنت لم تجب سؤالي بعد؟!!

قالها أحمد بحدة فرمقه نادر بنظرة متبرمة قبل أن يتحرك
ليجلس على المقعد قائلاً:

- لقد مر على ما حدث ساعة ونصف الساعة دون أن أُجيبك ..

ألا تسأم؟!!

- هذا الفتى يتعرض للضرب والعنف أيضاً .. الكدمات على
جسده مر عليها ما يقرب الأسبوعين وأنت لم تخبرني بذلك .. ما
الذي تخفيه علي أيضاً؟! .. بل كيف تتحمل هذا الوضع بمفردك؟

- أنت مزعج بالفعل ..

قالها نادر بتأفف فهو لا يكف عن سؤاله منذ غادرا حجرة

فارس عما يخفيه؟! .. وما الذي يتبوي فعله؟!!

- أحمد .. أنا لستُ ذلك المراهق قديماً .. ثم توقف عن إبداء

قلقك علي فهذا لا يناسبك.

- متعجرف .. من القلق عليك؟! .. أنا فقط .. قلق بشأن ..

وصمت.. هو حقاً قلق عليه.. ويخشى أن يُكرر نادر ذلك
الماضي.. فنادر حين يكون مهتماً لشخصٍ ما يفقد نفسه..

- قد أكون أنا من ضربه.. فهو مزعج وعنيف..

قالها نادر بابتسامة عابثة ليرمقه أحمد بنظرة مستخفة ساخطة..
فهو في هذه اللحظة كاذب فاشل أمامه..

وظل الصمت بينهما ثواني قبل أن يقف أحمد وهو يزمع
المغادرة قائلاً:

- ما زال معطفي مبللاً أعزني إحدى مظللاتك فأخشى أن
يسقط المطر مجدداً..

- لستُ مسؤولاً عنك.. أي غبي يتحرك في هذا الجو العاصف
دون أن يحمل مظلة؟!.. ثم لا أملك سوى واحدة فقط..

- حسناً.. أعزني أحد معاطفك وسأعيده لك..

- هل حقاً تظنني سأفعل؟..

- نعم بعد أن منحت معطفك لمرضى ظننت أنك قد تمنحه

أيها البخيل لصديقك القديم..

اتسعت عينا نادر صدمة.. بل وجد نفسه يقف بغتة ليحدق

بسخط بمعطفه الرمادي المبلل والمرمى على الأرض مجاوراً

لسرير فارس..

- أنت حتى لم تلاحظ!..

قال أحمد بصدمة بل رأي وجه نادر يزداد عبوساً وهو ينتقل
بنظره إلى غطاء سريره أسفل جسد فارس.. كيف سينام دونه
الآن؟!!

- تبّا.. أنت أشد استغراباً مني!.. فذلك ليست طباعك؟!..
هاي.. أنت.. لماذا منحتة شيئاً خاصاً بك؟!.. بل ولماذا كدت
تخرج عن اتزانك وتتشاجر مع من منحه الأقراص؟!..
ارتبك نادر وبدا متوتراً وكأنه كُشف.. ما الذي كُشف؟! هو
نفسه لا يعلم.. ولكنه شعر بشعور سيئ.. وتلك التساؤلات
تصفع كل آليات الدفاع النفسية لديه..

- إنه مريض الأول ومسؤوليتي وحدي.. لقد تسلّمتُ مرتبي
الأول اليوم.. فلو حدث له مكروه فسيظنون لأنني تسلّمته قد
أهملت العناية به.

(الإنكار، والتبرير)

أنكر ما يلزم له أحمد في باطن أسئلته وبرر أفعاله الغريبة
الصادرة عن لا وعيه بمحبته للمال وبما أن أحمد يعلم جشعه فهو
بالتأكيد سيصدق..

وابتسم فذلك بالتأكيد رد جيد ولكن صمت أحمد ونظرته
المعلقة به بسخرية جعلاه يغضب فأسرع ليشحب مظلمته وأعطاها
له ثم دفعه ليخرج قائلاً:

- قل إنك غيور فحسبنا: خذها وارجل قبل أن أحطم فمك
الثرثار بها..

- من الغيور؟! .. لا تُسقط هراءك عد..

وصمت وكأنه اكتشف أنه حقًا غيور.. والتقت نظراتهما..
وعقلاهما يفكران.. (سحقًا.. ما الذي يتشاجر عليه الاثنان
الآن؟! .. بل ما نوع هذه المحادثة الغريبة؟!)
«انتظر.. انتظر..»

توقف نادر عن دفعه ليراه يُخرج فجأة شيئًا من حقيته.. ثم
ناول له قائلًا:

- لقد نسيت في شقتي يوم نمت بها.
مد نادر يده ليأخذ ذلك المصحف الصغير وقد بدا مخرجًا
ومرتبكًا..

- إنه المصحف الذي أعطيتك إياه في السجن بعد أن وافقت
بعد مرور أربعة أشهر على زيارتي لك.. سعيد أنك احتفظت به.
أكتفى نادر بالصمت.. ولم يعلم أحمد حقًا أن هذا المصحف
حين أخذه منه كان بعد يوم من محاولته قتل نفسه.. وهو ما
ساعده وقتها على قضاء ما تبقى من أيامه في السجن دون تكرار
محاولته..

وجه أحمد المبتسم وعيناه المشرقتان.. (لماذا تزيد من

حرجه؟!).. بل رآه فجأة يخرج مصحفاً له الرسم نفسه وكتاباً
ناولهما قائلاً بتردد:

- حين اتصلت بي.. أخذتُ مصحفك ورأيتُ هذا على
المنضدة فتذكرتُ هذا الفتى.. لا بد أنه يشعر بالوحدة والملل..
كما أن مكتبته لا تحوي سوى الهراء.. فخمنت أنه قد يعجبه
قراءته.

لم يتردد نادر في أخذهما منه ثم نظر للكتاب المسجل عليه: «
البرحيق المختوم».. لم يقرأه من قبل..

- أنت لم تمنحني مثله وأنا في السجن!!

- لأنهم منعوا دخول غير المصحف وهو..

وصمت لينظر بصدمة لنادر.. ثم ضحك فجأة بقوة:

- أنت تغد..

- تباً.. فلتمت.

وهذه المرة كان قد دفعه للخارج بالفعل.. وتنهَّد بتعب
مفكراً.. بحق ما نوع الصداقة الغبية التي تجمعهما؟! إنها تستنزف
كامل طاقته في كل مرة يلتقيان ويتحدثان فيها!

أغلق الباب من خلفه ولم يلبث أن تحرك ليدخل حجرة فارس
فمعهظفه المعذب لا يزال على الأرض.. هو معالج نفسي.. ولكن
أكثر ما يعجز المعالجون النفسيون عن تفسيره هو أنفسهم!!..
وهذا ما حدث حين همس بسخط:

- ما مشكلتي بالضبط؟! -

تمتم بها ويده ترفع معطفه الرمادي الذي تقاطرت منه المياه ثم أخرج من جيبه محفظته التي أصابها هي الأخرى البلى.. وشتم عدة مرات وحاجباه ينعدان لأحد الأرزاز المرتخية والياقة التي فقدت استقامتها.. كان قد اشتراه احتفالاً من أجل وظيفته الجديدة وقد كان غالي الثمن.. (بحق أي عقل امتلكته وقتها لأتخلى عنه له؟!)

عاد بنظره المجتهد إلى فارس الذي لا يزال ساكناً فوق سريره.. وظل ينظر له للحظة قبل أن يقفز لذاكرته صورته في حوض الاستحمام..

في كل مرة كان يرى في عينيه الموت وسعيه إليه بإخلاص وتفان متجاهلاً ألمه..

لكن في تلك اللحظة رأى شيئاً آخر..

رأى تشبه بالحياة..

- ما كان ذلك؟! -

قالها وتأمل له لثوان بصمت ثم ما لبث أن همس بتوجس:

- الشخص المتشبه بالحياة حين يتأذى سيكون تألمه وتوجعه أعظم أضعاف المرات من الشخص اليأس الراغب بالموت.

عقد حاجبيه متعجباً هل هو السبب؟!... سبب تشبثه بالحياة
في هذا المكان الأشبه بالقبر والمعتقل معاً؟!...

هل لاح له الأمل بوجوده حوله فقط؟!..
ثقتة الغريبة به لذاك الوقت الطويل وكأنه ينتظر قدومه فقط
لينقذه من الغرق؟!...

بل الأسوأ قد يكون سبب تشبثه بالحياة وعده الذي لا يعلم
كيف نطقه سابقاً بأنه إن تقبل مرضه فإنه سيحمله والذي فسره
فارس بسذاجة أنه سيخرجه؟!...

وهذا ما دفعه ليفكر بإخراجه بجدية..
تلك النظرة في عيني فارس نحوه تعاكس تماماً نظرة فاضل
ورجاله جميعاً له!...

طوى معطفه وحمله معه.. قبل أن يضع المصحف والكتاب
جوار سريره ثم سحب نفسه للخارج فقد بقي على موعد
استيقاظه ساعة بأكملها سيستغلها بقراءة ملفات علاجه
والدراسات الحديثة لهذا المرض.. فهو بالتأكيد لن يجازف
بإخراجه دون أن يخف مرضه ولو قليلاً..

- ولكن ماذا بعد إخراجه؟!... يا فاضل..

ألقي له عقله بهذا السؤال.. ولكنه ابتسم فكل شيء له أوانه..
وله حل..

ثار الغبار من أسفل حذائها الأحمر القاني وعلا صوت خطواته
ممزقاً ذاك السكون الذي انغمس فيه قصرهم القديم..
بأناملها راحت تحرك ضوء كشاف هاتفها وكأنها تبحث عن
شيء ما وسط ظلمة غرق فيها هذا القصر منذ تسع سنوات..
لاحت لها من بعيد تلك الحجرة فتقدمت بثبات لتدخلها..
رأت السرير الصغير الذي توسطها.. الخزانة المتوسطة في
إحدى زواياها.. الطاولة والمقعد حيث اعتاد أن يدرس..
تلك الخطوات المتقدمة لم تلبث أن هدأت وعيناها تحقان
بالقمصان الصغيرة والبنائيل المعلقة بالخزانة..
ذلك الأزرق ارتداه حين ذهب للمدرسة بأول يوم.. والأصفر
حين ذهباً معاً للجبال..
تلك المنامة حين كان يرافقها في نومها على سرير واحد معظم
الليالي..
تحركت لتقف أمام طاولته.. فوقها استقر مصحف صغير..
انفرجت شفتها ولم تلبث أن تقوسها..
« هل ظل محتفظاً به في حجرته بعد مغادرتي؟! »
تساءلت وعيناها الزرقاوان تجوبان كل زوايا الحجرة التي
امتلات بعشرات الذكريات التي لا تنسى..
داست قدمها بغتة على شيء لين جعلها تسلط ضوء كشافها

للأسفل لترى أسفل كعبها قناع العينين الأسود الخاص بها..
وهنا تحطم كل تماسكها.. وانطلق شلال من الدموع من
عينها وكفها تأخذه لتعصره وذاكرتها تُلقي لها بذلك المشهد
(كانت مستغرقة بنومها حين شعرت بشيء ما يشاركها
سريرها.. بل هو أسفل غطاءها.. نهضت فزعة وتراجعت للخلف
وقد شهقت بقوة.. ولم يأخذ التردد وقتاً منها لتسحب مكواة
شعرها من فوق المنضدة القريبة ورفعتها لتقتل ذلك الشيء..
وهوت تلك المكواة..

وارتفع طرف الغطاء ليظهر من تحته عيناه الزرقاوان
المجدقتان بها وتلك الابتسامة الطفولية تملأ وجهه..
«فارس»

رمت مايا بالمكواة على امتداد يدها وقد صدمت من منظره
وهو يمد بذراعيه نحوها كي تعود للاستلقاء معه..
امتزح حاجباها لثوانٍ بتعب ولكن أي قلب بحق سيرد مثله!!..
عادت لتستلقي جواره قبل أن تسحبه نحوها وراحت تداعب
شعره هامسة:

- لم لا تنام في حجرتك؟

- يوجد شيء في الخزانة أخاف منه.

ضاقَت نظراتها لكذبتَه ليفهمها مباشرة فقال بعبوس:

- لِمَ تنام مع أمي وأبي.

لمست من صوته غيرته الشديدة منها فضحكت:

- أنت في الخامسة.. وهي في الثانية.. هي بالتأكيد..

نظراته المحتدة جعلتها تقطع حديثها.. بحق هي لم تبرر
لهم؟! -

فمطت شفيتها:

- حسناً.. يمكنك أن تنام معي الليلة.

سعادة ملأت عينيه الزرقاوين ودفع بجسده ليلتصق بها وقد

أغمض عينيه..

فعله هذا نبأها بأنه من الآن وصاعداً قد اتخذ قراره.. شينام
معها دوماً.. وكادت تغير رأيها ولكن لم تلبث أن تنهدت ويدها
تمتد لتخلق الأنوار..

- لا.. أخاف الظلام.

نظرت له وقد لمعت عيناه مستعطفاً لها وقد كان صادقاً..
سحبت قناع العينين ووضعت فوق رأسها. وقبل أن تسحبه لعينها
همست:

- لا تخبر لى أنني سمحت لك بالنوم معي.. فأنا لست
جليستكما أيها المدلل.

أوما برأسه وهو ينظر لها تغطي عينها بذلك القناع الأسود
الذي ظل مقابلاً له ولعامين بأكملهما قبل رحيلها..

فيما هدأت أنفاسها وهي تغرق في نومها و....)

استفاقت من تلك الذكرى على صوت سعال آن خادمتها الشخصية وهي تخترق تلك الظلمة.. فوقفت مايا ماسحة وجهها ليظهر عليه ذاك البرود وأن تدخل قائلة:

- كُنْتُ أعلم أني سأجذك هنا.. لماذا تصرين علي إصابتي بنوبة

قلبية؟!

تأفقت مايا وهي تغادر وأن تلحق بها متابعة تأنيبها:

- إذا حين علمت أن الحارس إياد قد مات بحادث وجدتها مضیغة للوقت إن لم تزوري هذا المكان.. مايا يا ابنتي هذا لا یصح فبالكاد قد نسيت..

«السيد راكان غاضب جداً ويأمر بعودتك.»

سمعت سائقها العجوز وهو يقف أمامها وقد بدا قلقاً جداً..

- هو ليس والدي حتى ليغضب أو يقلق من قدومي إلى هنا.

- ولكن يا ابنتي بقيت على رحلة مغادرتك للندن نصف ساعة

فقط.. علينا أن نسرع وإلا فإن اجتماع الغد قد يفوتك.

عادت تقضم شفتها السفلى بعصبية وأنزعاج قبل أن تتحرك

قائلة:

- أخبر مسؤول العقارات أن هذا القصر ليس معروضاً للبيع..

واكسر اللوحة المعروضة بالخارج.

(صوت النافذة المهتزة.. أجواء عاصفة.. ظلمة شديدة شقها
برق مهول يخطف الأبصار تبعها صوت رعد صارخ اهتزت له
جنبات ذلك السرير.. وسادة بيضاء لينة حُشر فوقها رأس صغير.. عينان زرقاوان
باهتان خوفاً.. وشفتان منطبتان بشدة..)

صوت طرقات قوية على باب تلك الحجرة جعل جسد ذلك
الصغير المندس تحت غطاءه يقفز ليفتحه ليكشف له عن فتاة
صغيرة كانت في الخامسة من عمرها..
تلاًلاً وجهها الشديد البياض بالدموع وقد أحاط به شعرها
البنى الذي تجاوز طوله خصرها وقد اعتصرت بين ذراعيها دمية
دب يكاد يساوي طولها وحجمها..
- أخي فارس.. كمى خائفة.

انعقد حاجبا فارس وامتدت شفتاه بعبوس مما نبأها بأنه لن
يقبل بها..

- دعني أنم معك أخي.. لن أكون مزعجة..

- اذهبي لماما وبابا.. نامي معهما.

- ماما وبابا.. لم يعودا بعد.

- والمرينة؟!!

- لا أحد حتى الخدم.

قالتها وشفاتها منطبقتان بشدة كي لا تبكي فأكثر ما يغضبه
منها صراخها وصوتها الباكي..

تجهم وجهه فهي الآن فقط تريد مرافقته لأن والديهم غائبان..
وفتح شفتيه لطردها إلا أن أنوار الحجرة تذبذبت فجأة وحلت
الظلمة لتصرخ خائفة وتسقط دميتها وتتعلق به..

بكت وذراعاها تحيطان بجسده ولم تشعر بارتجاف جسده
وشهقاته العالية فقد كان هو الآخر خائفاً..

ولكن لكونه الآن الأكبر ويفوقها بثلاث سنوات لم يحتمل
خوفها وبكاءها وعليه أن يتحمل مسئوليتها..

ضمها إليه وشقت وجهه ابتسامة نقية وهو يمسد شعرها:

- لا تخافي.. يمكنك النوم معي على سريرتي..

ضحكت بسعادة وما زال وجهها مطبوعاً على صدره فسحبها

من كفها ليساعدها على اعتلاء سريرته..

- والدبدوب..

- حسناً.. سأحضره حالاً..

التقط الدب الساقط وأرقده إلى جوارها..

- وأخي..

ضحك لقولها: «حسناً.. أنا أيضاً سأنام إلى جوارك»..

...

كاد يصعد فوق السرير إلى جوارها. ولكن الظلمة التي غرقت
فيها الحجرة تُزعجه وتُرهبه..

عاد البرق مجدداً يلثم من النافذة قبل أن يدوي رعد عنيف
جعله يرتمي معانقاً للـمى الضارخة والذب معاً..

- أخي برد.. برد.. برد..

شعر بها تهمس من أسفل فمع انطفاء الكهرباء توقفت التدفئة
في المنزل وتسلسل البرد قارصاً أجسادهما الصغيرة..

- سأشعل الموقد..

قالها فارس وهو ينزل عن السرير ثم التقط هاتفه النقال وأدار
كشافه إلى حيث الموقد الملحق بحجرتة..

- لا.. لا تتركني أخي..

صرخت بها لـمى من وسط دموعها ليربت على كفها..

- فقط دقيقتين أحضر قذاحة أو علبة ثقاب من المطبخ

وسأعود..

- لـمى سترافقك..

- لا حاجة لذلك.. لن أتأخر..

هرع راكضاً إلى حيث المطبخ القريب من حجرتة وعلى ضوء

الكشاف ظل لعدة دقائق يبحث قبل أن يجده.. أدار بصره من

نافذة المطبخ ليرى سيارة في الخارج متوقفة..

- لقد عاد أبي وأمي.

اتسعت ابتسامته وأنوار القصر تعود للإضاءة مجدداً.. أشرق
وجهه وعاد راكضاً إلى حيث لُمى..

دفع باب حجرته وفتح شفتيه ليخبرها بعودة والديهما..

..و

واختفت ابتسامته..

وسقطت القداحة إلى جوار قدميه..

وشحب وجهه ليباري وجوه الموتى شحوباً..

ف هناك.. فوق سريره..

أبصرت عيناه ذلك الجسد الضخم المغتلي جسدها الصغير..

شعرها البني المتناثر فوق وسادته.. عينيها الزمرديتين

المتسختين واللتين انهار منهما شلال من الدموع..

شفتيها المنفرجتين عن آخرهما..

شهقاتها المحتضرة وثنيك الذراعين الضخمتين قد اشتدت

عضلاتهما مواصليتين تحطم عنقها الصغير..

بل إنه سمع تحطم عظامها وكفها الصغيرة المستغيثة تمتد

نحوه:

«أخي... يؤلم!»

..مرة.. مرة..

صرخ بكل قوته واتساع فمه وهوى بقبضات ثائرة على جسد
ذلك العملاق..

قبضات لم تكن ذات نفع أو فائدة..
فقد واصل اعتصار عنقها وعيناه تنظران إليه فهو التالي بلا
شك..

بكى دموعاً ملئت انهياراً وألماً ومرارة لعجزة وهو يسمع
شهقتها الأخيرة.. شهقة موتها قبل أن تجحظ عيناها..
تراجع للخلف وتسارعت نبضات قلبه وصرخ ولكن لا
مجيب..

« ما اااا.. بااااا.. ابا.. »

لا مجيب..

« ماااااا.. يا.. »

لا مجيب..

فقط ذلك الشخص سمعه والذي هم بمغادرة السرير نحوه
ليقتله ولكن زنين هاتفه قاطع مهمته فالتقطه من جيبه..
وراخ يتحدث وكأن ليس من أسفل منه جثة..
جثة أخته لَمْى المستغيثة به من العاصفة ليموت على سرير..
تجمدت أطراف فارس وراخ يتلفت فيما جوله لم يعد يدرك
شيئاً.. اضطرب عقله..

رأى الرجل فجأة يخطف مشرطه من أعلى طاولته..
ونزل نصل ذاك المشرط الحاد ممزقاً عنقها وجسدها..
عشرات المرات..

سمع صوت اختراقه جسدها..
مقطعاً أوصالها و... نائراً دماءها حولها.. ومغرقاً السرير من
أسفلها..

وتلطح وجهه ببعض تلك الدماء..
رفع كفه ليمسح الدم من وجهه.. دم لَمْى... أخته الصغرى..
أخته التي قتلته الغيرة منها من أجل والديه ولم يعاملها جيداً..
ما زالت كفها الصغيرة ممدودة نحوه..
واندفع..

اندفع نحو الرجل وقد حمل مضرب البيسبول. الخاص به
ليضربه به على جسده كي يترقق بجسدها الصغير..
تلك الضربات أصابت الرجل وآلمته فنهض عن جسدها
واتجه نحوه..

ورأى فارس وجهه وانطبعت ملامحه البغيضة في عقله
المضطرب.. ولم ينسَ أبداً..
ثوانٍ فقط ولم يعد يشعر بنفسه..
ماذا حدث؟!.. لا يعلم..

فقط.. أظلم المكان من حوله..

أظلم لتبصر غيناه فجأة تلك الأنوار المتسارعة من أعلى منه..

كان مستلقياً على ظهره.. وجسده كأنه يطير..

والى جواره صيحات امرأة باكية ورجل يستغيث: « طيب..

طيب.. طفلي ينز زرفا! »

شعر ببعض البلل أسفل رأسه.. حرك عينيه ليرى رأسه يسبح

فوق بركة من الدماء وما زالت تلك المخفة الطيبة تواصل

عجلاتها الدوران نحو مصيره المجهول..

ولكن..

« لَمْ ي.. »

« لَمْ ي.. »

« لَمْ ي... !! »

صرخت بها شفتاه ناعياً ونائحاً موتها..

لقد خانها.. أخفق في حمايتها.. رجولته مزيفة.. هو غبي..

جبان.. قُتلت بمشرطه وهو كالغاجز..

وأظلمت حياته.. أظلمت حقيقة.. وليس مجازاً.. ولا يكاد يفتح
عينيه إلا ويرى ذلك المجرم القاتل حوله..

بل هو الآن يشعر بقبضتي ذلك الرجل تعتصم ان كتفيه.. شعر
بجسده يهتز.. تدفقت الدموع من عينيه وصرخ..

« اهدأ.. اهدأ.. »

كيف له أن يهدئه؟!.. وهو من قتل أخته..
والآن هو يريد قتله بالتأكيد..

ارتفع صراخه عالياً..
وهو يحاول دفعه بعيداً عنه..

« فارس.. أفق.. أفق.. »

عاد ذلك الصوت مجدداً ولكن ممّ يقيق؟!..

كابوسه الآن هو من صنعه!! هو من جعل عينيه تتبللان
بالدموع!!..

« فارس أفق.. أفق.. هذا أنا نادر.. »

ازداد جسده ارتجافاً وتحرك رأسه في كل اتجاه، كان كمن
صرع وزاغت عيناه من أسفل أجفانه المغمضة..

زاد شد الذراعين على كتفيه فرفع كفيه ليعده عنه..

غريبين.. ولكن عليه أن لا يخدع.. نسيبعده عنه..

« فارس.. إن لم تُفّق ف... »

وصفحة تُلقتها وجنته، شعر بحرارتها، حركت وجهه للجانب الآخر أطلق لها أنيناً متألماً قبل أن يفتح عينيه الزرقاوين لتساقب الدموع المتجمعة منهما أنهاراً..

رأى أمامه شخصاً يبدو قلقاً.. عيناه العسليتان كالجمر اشتعالاً لطول معاناته في إيقاظه..

قفز لذهنه فجأة مصارعة المياه في حوض الاستحمام.. بكأؤه الصامت بانتظار نادر أن يُنقذه.. داهمته تلك النوبة نفسها من الهلع فتباطأت أنفاسه و..

- اهدأ.. اهدأ.. كل شيء على ما يرام.. لقد أفقت الآن ولم

يعد هناك شيء سيئ كي تخشاه..

تلك الكلمات لم تفلح بالكامل في تهدئته بل وجد فارس نفسه

يختنق وشهقاته تعلو..

- استرخ.. استرخ..

صوت نادر المألوف جعله يبتسم فجأة كالغائب وعينه..

شعر به يسحب جسده ليجلسه بالرغم عنه قبل أن يشد على

كتفه ويضغط بإحدى كفيه ذقنه ليتقابل وجهاهما وتلتقي عيناه

الزرقاوان بعيني نادر العسليتين وهو يقول له مشجعاً:

- خذ نفساً عميقاً.. هيا خذ نفساً عميقاً.

تحت إلحاحه سحب نفساً خفيفاً فيما تابع نادر:

- أخرجه الآن.

فأخرجه بهدوء..

- رائع.. مرة أخرى.. جيد.. هيا مرة أخرى.. أحسنت..

ومع كل مرة كان يشعر بانخفاض ارتجافات جسده وتوقف سيل دموعه وأخذ ذاك الضباب ينقشع من أمام عينيه رويداً رويداً..

وقبل أن يستعيد صفاءه بالكامل سمع اهتزاز زجاج النافذة إثر رعد صارخ سحب الجو العاصف بالخارج.. ذلك الصوت جعله يشهق ذِعْراً ويتشبث بنادر بقوة.. كان خائفاً مفزوعاً.. ففي مثل هذا الجو العاصف فقد لَمِيَ وقتلت أمام عينيه..

راح يصرخ بعفوية وكفاءة تكادان تمزقان معطف نادر الطبي من شدة تشبته به:

- لا تتركني.. ابقَ معي.. ابقَ معي أرجوك.. أنا خائف.

نظر له نادر بمزيج من الإشفاق والتأثر وقد بدا له أنه بأشد حالاته ضعفاً وتألماً.. وفي نفسه تيقن أن حادثة غرقه ليست ما أفزعته بل قد تكون أحيب صدمة قديمة.. ولعلها حادثة مقتل أخته..

ولم يمنع نفسه من أن يربت على ظهره فهو لا يجيد المواساة
ولكن لعل بقاءه معه قد يعيد بعض اتزانة..

وظل على ذلك لبعض الوقت قبل أن يقول له نادر بانفعال:
- لا بأس.. لا بأس.. أنت بخير.. وكل شيء بخير.. ولكن
كُفّ عن اعتصاري رجاء.

عبارته الأخيرة العصبية جعلت فارس يتبّه لما يفعله وعندها
هدأت ملامحه..

وداهمه فجأة شعور كبير من التقزز قبل أن يتجعد وجهه و..
يفرغ ما بجوفه فوق نادر.
شهق نادر وأظلم وجهه.. لقد حذره أحمد من أعراض القرص
ولكنه نسي..

- قميصي الجديد.. معطفي الطبي.. تبّا.. هذا مقرف..!!
تراجع للخلف بحدة فيما مسح فارس شفّتيه بقبضته بتعب قبل
أن ترتفع عيناه الزرقاوان لتلتقيا بتينك العسليتين وبضحكة
مبتهجة:

«لقد رأيتك.»

«لقد رأيتك.»

لم يتبّه نادر لما كرره فارس وعيناه تكادان تبكيان قميصه
ومعطفه المتسخ.. رفع كفه يُريد نفض معطفه.. ولكن.. لا..

ستسبح يده هي الأخرى!!..

- تَبَّا.. تَبَّا.. تَبَّا..

صرخ عاليًا وهو ينزعها عن جسده بسرعة جنونية ليبقى فوقه
تي شيرت قطني أبيض تعدت أكمامه كتفيه ببضعة سنتيمترات..
طوى معطفه وقميصه وما زال هناك بعض البلل بالتي شيرت..
عليه استبداله هو الآخر..

فوجئ بالضحكات المجاورة ليلتفت بعينين تتقدان شبرًا نحو
فارس الذي سكن عينيه ابتهاج لا حدود له وهو يتفحص ويدقق
بكل إنش من وجهه وكأنه يريد طبعه بمخيلته قبل أن يمنعه كعادته
من النظر إليه، وبشفتين متسعين نطق:

« لقد رأيتك. »

اتسعت عيننا نادر فرعًا وتوترت ملامحه.. واستعد لعنفه
وثورته، ونفسه تؤنبه لفقدانه عقله فقد هرع إليه حين رآه يعاني في
نومه ولم يتخذ حذره بتغطية عينيه..

ظل مرتبكًا، وتردد لثوان قبل أن يمد كفه ليغطي عينيه بشكل
مفاجئ مما جعل شفتي فارس تتقوسان بإحباط..

- سأغادر أبق عينيك مغمضتين حتى خروجي.

قالها وعيناه تنظران بإحباط إلى قناع العينين البعيد عن
مناوله.. كما أنه لا يريد أن يجعل مساعدته لفارس مستحيلة إذا

ما ربط عقله المضطرب بين صورته وذلك الشخص..

فيما هز فارس رأسه منزعجاً ورفع كفه ليتشبث بذراعه فهو لا يريده أن يخرج.. ولكن لم يكد يرفع كفه المتسخة حتى تركه نادر وتراجع للخلف صارخاً:

« لا تلمسني.. هذا مقررز! »

صراخه أفزع فارس لتقلص كفه الممتدة ويرتد بجسده للخلف ثم حنى نظراته للأسفل متجنباً النظر إليه.. فيما تنهد نادر بتعب والتقط معطفه وقميصه سيخرج بالتأكيد.. وتحرك بالفعل ووقف أمام باب الحجرة وأدار المفتاح..

والتفت للخلف ليتحقق إن كان ينظر إليه ولكنه لم يرفع رأسه حتى.. كانت خصلات شعره السوداء تحجب عينيه اللتين مלאهما الحزن والانكسار..

انعقد حاجبا نادر مفكراً..

لَمْ لَمْ يهاجمه؟!.. لَمْ لَمْ يعامله بعنف؟! هو حتى لم يصب بنوبة هلع لرؤيته!! وكل ما يشعر به الآن قلب مكسور لأنه عامله بجفاء وانتهره..

رآه فجأة يرفع قبضته ليمسح عينيه.. (هل يبكي؟!).. استدار بجسده نحوه وقد هدأت ملامحه.. والتقط سمعه نبرته الحزينة حين نطق متسائلاً:

- هل لأنني مريض؟!!.. هل هو معد؟!!
- اتسعت عينا نادر لفهمه الخاطيء.. ولم يمنحه فارس الفرصة
ليجيب وهو يواصل:
- أم لكوني قليل الوعي!!.. كالأطفال غبي.. أنا.. أنا مضطرب
عقلي عنيف ومريض بمرض ميثوس منه لا شفاء له.
- كلماته صدمت نادر بالفعل، والتي نقلت له جزءاً من معاناته
النفسية مما سمعه حين دخل المتطفلون لحجرتة..
- حسناً.. كونه معدياً هذا صحيح.
- شهق فارس ورفع عينيه النبيلتين مضطرباً ليرى نادر الذي
عاد هذه المرة نحوه قائلاً:
- وهذا أكثر ما أكرهه ولا أطيق أن يتقل إلي..
- تقوست شفتا فارس واستحالت زرقة عينيه بحراً هائجاً من
الدموع فقد كسر قلبه، فيما علّت شفتي نادر ابتسامة عابثة وسبابته
تشير لظهر كف فارس المتسخ هامساً:
- هذا ما أعنيه.
- رفع فارس قبضته ليرى ما رآه نادر فعبس بوجهه ثوانى.. قبل
أن يمسحها في الغطاء ويرفعها قائلاً:
- إنها نظيفة الآن.
- انتهت المشكلة إذاً.

هكذا وببساطة قالها لتتحول تلك الدموع لضحكات عالية
وابتهاج كبير.. بل نهض فجأة عن السرير ليطوي الغطاء المتسخ
كي يحفظ باقي سريره نظيفاً..

ثم هرع نحو دورة المياه ليغسل وجهه وكفيه ولكنه تجمد
فجأة ثم التفت لنادر الذي ظل واقفاً قائلاً بتوسل:

- لا تذهب.

- لن أذهب..

- فقط ثانية.. لن أتأخر.

- لا بأس.. لقد أخبرتك لن أذهب.

اختفى داخل دورة المياه فقط للحظات قبل أن يرى جزءاً من
رأسه يخرج ليتحقق إن كان ذهب أم لا..

- إن فعلتها مجدداً فسأذهب حقاً.. عليك أن تثق بكلمتي.

ارتبك أمامه وسحب نفسه.. فيما أظلمت عيناه نادر فهو لن
يحتمل بقاء ذلك التي شرت المتسخ فوقه لوقت أطول..

وفي نفسه تساءل إن كان ذاك القرص المشبث للتفكير هو ما قلل
من أوهام فارس حول كونه ليس المجرم الذي يخشاه..

- لقد انتهيت.

قالها وخرج ليقف أمامه محدقاً به وفي يده منشفة يجفف بها
كفيه.

- تعال معي -

سقطت المشقة من كفي فارس غير مصدق ما سمعه.. فيما
اتجه نادر نحو باب الحجرة ليفتحه وهو يقول محذراً له:

= إن صدر عنك صوت واحد فستكون كارثة لكلينا.

رفع فارس كفيه ليضغط بهما فمه ينبه بإذعانه الشديد له، فيما
تفجر في عينيه سرور وحماس لا حدود لهما جعل نادر يفر متعباً
فهو يفعل ذلك لأنه متيقن من أنه لن يسمح له بالمغادرة بسلام
لحجزته كي يُبدل ملابسته..

فتح نادر الباب وأطل برأسه يمنة ويسرة في الممر إن كان أحد
قد يكتشفهما.. وبمجرد تيقنه أنه آمن أشار بيده لفارس ليتبعه..
تحرك نادر لينقف أمام باب الحجرة المشتركة ودفعه ليدخل
ولكن لم يدخل فارس خلفه..

توترت ملامحه وأطل برأسه للخارج ليراه يقف بمنتصف
الممر وعيناه تجوبان الممر بأكمله باللوح المعلقة على جدرانه..
وأشجار الزينة المترامية في أركانه..

كانت عيناه تتسعان وتتسعان لما يراه وكأنه جديد عليه..
- هاي.. يا فتى الكهف تعال بسرعة.

لم ينتبه فارس لمناداته ووميض لوحة الأرقام فوق المصعد
تضيء تالياً لتشد انتباهه بل وخطا نحوها ليكتشف ما يراه..

شعر فجأة بقبضة تُمسك ذراعه جعلته يشهق قبل أن يجذبه صاحبها ليدفع جسده خلف باب الحجرة المشتركة ثم أغلقه عليه بالمفتاح وقد رسم ابتسامة صفراء على شفثيه وباب المصعد يُفتح..

«مرحباً طيب نادر.»

قالها عامل التنظيف وهو يتجه نحوه سائلاً:

- هل هناك أي خدمة قد تحتاجها في هذا القسم؟!

ومن حسن الحظ كونه لا يزال يحمل معطفه وقميصه المتسخين فرمى بهما إليه، قبل أن يتجه لحجرة فارس ليعطيه الغطاء المتسخ..

استعجل الدخول إليها وإعطائه ليصدمه بسماع طرق خفيف على الحاجز جعله يلتفت نحوه فزادت تلك الطرقات حدة.

- اششششششششش.

همس بها محققاً وإصبعه يضغط على شفثيه ففارس يراه الآن بالتأكيد من خلف الحاجز ويكادُ يجنُّ سعادةً، وبالفعل سكنت تلك الطرقات فيما رمى نادر بالغطاء للرجل وراقب مغادرته للطابق قبل أن يعود للحجرة المشتركة..

امتعض وجه نادر وهو يراه ملتصقاً بجسده بأكمله بالحاجز محدقاً بحجرتة، أسرع نادر ليغلق الباب بالمفتاح فهو لن يتنبأ

بتصرفاته المجنونة.. «أنا أريد أن أكون مثلها»

«إنها حجرتي.. ذلك سريري.. وتلك مائدة الطعام.. ولقد رأيتك فيها.. لقد حملت الغطاء ورفعت أضعفك غاضبا وسمعتك ت...»

كان يثرثر بأنفاس متلاحقة من فرط حماسه وكأنه يخبر نادر عن شيء لا يعرفه.. «كنت أرى ما كنت أرى..»
- نعم.. نعم.. أعلم!..

أجابه نادر ببرود.. «أنا أريد أن أكون مثلها»
- من هنا تنظر إلي دوما؟
أوما برأسه إيجابا وإن انتبه للفضة المتفائل بكونه ينظر فقط دون أن يراقبه أو يدرسه.. «أنا أريد أن أكون مثلها»
- وهذا مكتبك؟!

قالها وهو يشير لمكتب نادر الملتصق بالحاجز فانهقد حاجبا نادر مستغربا كيف علم بذلك..
تحرك فجأة ليبحث بآلة صنع القهوة ضاغطا أزرارها الواحد تلو الآخر متمتما: «ما هذا؟!»

لم يشعر إلا بتينك الكفين اللتين سحبته بعيدا والماء المغلي يندفع من فوهة الآلة متصاعدا منه البخار..
- كادت تحرقك أيها الغبي.. لا تلمس شيئا دون إذن مني.

هل كان حقاً ينتظر منه أن يطيعه كالسابق ١٩.. فبمجرد إطباقه
لسفثيه تحرك فارس ليرتمي فوق الأريكة الوثيرة صاخراً
بسعادة..

زاد إحباطه وتعبه أضعافاً مضاعفة وتمنى انشغاله بما يفعله
الآن وهو يقول أمراً:

- ابق هنا حتى أدخل حجرتي وأستبدل ملابس..

لم يكن قد أتم حديثه بعد حين انتبه فارس لسبابته المشيرة
لحجرة نومه لينهض ويدخلها قبله.. سمع صراخه بسعادة وانبهار
فتجهم وجهه.. سيعاقب نفسه لاحقاً لإخراجه..

لحق به ليجلده ملتصقاً بالنافذة الزجاجية التي ملأت حائط
بأكمله ينظر للخارج وقد سكنت حركته..

- لا تلتصق بها.. قد تنكسر وتتأذى..

صرخ بها نادر بجزم جعل فارس يهز رأسه طاعة له وابتعد
قليلاً عنها.. فيما تحرك نادر نحو خزانته وأخرج منها ملابس
جديدة له..

نزع التي شرت واتجه لدورة المياه ليغسل نفسه أو هو يقول له
محذراً:

- فقط دقيقتين.. لا تلمس شيئاً أو تعبت به وإلا.. أعدتك
لحجرتك.

التفت فارس نحوه لتظهر عيناه اللتان علقت بعض الدموع
بهما مما جعله يتجه نحوه مستنكراً:

- ما الأمر؟! .. أأست سعيداً؟!

- أنا.. أنا.. لا أعلم.. أنا سعيد.. سعيد جداً.. لا أريد ذلك
ولكنها تخرج بالرغم عني.

وانحنى للأسفل جالساً وقد تتابعت الدموع من عينيه.. كان
قلبه يرّجف من شدة الخماس وقد شق وجهه المشبع بالدموع
ابتسامة كانت هي الأكثر تعبيراً عن بهجته.

ارتخت ملامح نادر ولم يدرك كيف يتعامل معه في هذه اللحظة..
ولكن ذاك المس من السعادة والجنون الذي أصابه شعر به يهز
شيئاً في أعماقه ليتسّم تعاطفاً..

سحب نفسه لدورة المياه فشيء صغير كهذا أسعده.. الآن هو
ليس نادماً على إخراجه إطلاقاً.

فيما غالب فارس نفسه الباكية ثواني قبل أن يقترب من
الزجاج:

- صورة الخارج من هنا أجمل من صورتها من نافذة حجرتي.

همس بها وعيناه تعانقان السماء السوداء التي ظلت تمطر..
ولحسن حظه فقد توقفت العاصفة وقد كان هو يحب المطر
كثيراً..

ضحك ويده تلامس قطرات سائرة على زجاج النافذة..
رأى أنوار المدينة.. شوارعها المكتظة بالسيارات.. والناس
المتحركين في كل اتجاه وقد اغتلت رؤوسهم مظلات بمختلف
الألوان..

رأى من بعيد أضواء دولاب هوائي يدور وسط مدينة
الألعاب.. وابتسم وهو يذكر أنه نفسه الذي ركب مع لَمى ومايا
مرة..

انتقلت عيناه ليرى تلك الآلة المتحركة بسرعة فظيعة..
توسعت شفتاه لتذكره لها..

- إنها الأرجوحة الدوارة.. لقد ركبها أنا ومايا.. ماما وبابا
خافا من ركوبها..

تذكر نزوله منها وقد كان يضحك ومايا تدعي القوة أمامه
ولكن ساقها المهترئين خوفاً قد فضحتاها..
ضحك بشدة كالسابق ولم تلبث بغتة أن استجالت ضحكته
لبكاء شديد..

« أريد أن أخرج.. أريد أن أخرج.. أريد أن أذهب هنا..
وهناك.. وأيضاً هناك.. »

حاول تمالك نفسه قبل خروج نادر.. غالب بكاءه بشدة ولكنه
يرغب بالخروج حقاً.. رفع قبضتيه ليمسح عينيه..
لا يريد أن يغضب منه فقد سأله قبل قليل إن لم يكن سعيداً..

رفع بصره بغتة باتجاه دورة المياه ليجدّه يقف والمنشفة على رأسه.. كان محدّقاً به طوال الوقت مراقباً لبكائه فقد استعجل بخروجه فهو لن يثق به فلا أحد يشبّأ بتصرفاته بسبب مرضه..

ارتبك للحظة وهو يرى نادر لا يزال متجمداً فقال بسرعة:

- ما زلت سعيداً.. إنها فقط..

- لا بأس.. أنا لم أسألك..

مط شفتيه ثواني بضيق قبل أن يلمح هاتف نادر فوق المنضدة.. صرخ بسعادة وهرع نحوه ليأخذه..

لم يتحرك نادر!!.. لم يمنعه!!.. أخذ فقط يرتدي قميصاً جديداً بهدوء وفارّس يُقلب الهاتف بين كفيه:

- نسخة جديدة.. إنه رائع..
وراح يلمس مفتاح قفل شاشته ثواني قبل أن يمدّ به لنادر قائلاً بأدب:

- افتحه لي..

- حسناً..

وتحرّكت أصابعه لتفتح رمز القفل وعقله يستجديه أن يعود لوعيه.. ثم مدّ به لفارّس الذي ارتقى فوق سريره وأصابعه تلمس محتويات الهاتف من تطبيقات وأبرامج وصور متنوعة..

- إنه جديد.. لا يُشبه هاتفي قديماً.

قالها فارس فجأة مندهشاً فهو لا يحوي أي شيء مما اعتاد عليه قبل تسع سنوات.

- توجد به اللعبة التي طلبتها.

- حقاً؟!

صاح بلهفة وهو يبحث عنها.. ووجدها.. وبدأ يلعب بها.. أي نعيم الذي يعيشه الآن!!.. أي سعادة قد تتسع لما يشعر به!!

وجد نفسه فجأة يندفع معانقاً لنادر وشفته تنطقان صراخاً:

- شكراً.. شكراً.. شكراً.

- هاي.. ابتعد لقد اغتسلت للتو.

- كلا.. أنا نظيف.

انعقد حاجبا نادر غضباً ولكن سرعان ما تحرك فارس للخلف وقد امتلأ وجهه بحزم وعزيمة صادقة ليقول:

- لقد قررت.

- قررت؟!.. قررت ماذا؟

- أن أزوجك أختي مايا.

أطبق نادر شفثيه ثواني لقرازة الغريب.. وإن كانت مسخ الموضة أخته فهو لا يريد.. ولكن ملامحه التي ملئت خماساً

جعلته يضحك قائلاً:

- أنت لم تأخذ رأيي حتى!!

- ستوافق بالتأكيد.

- وما مصدر ثقتك هذا؟!

- لأنك.. لأنك..

وصمتت وقد بدا عليه التفكير.. وانزعج لعدم قدرته على

الإجابة فقال نادر: ما..

- حسناً.. ولكن لدي شرط: سيكون ذلك دون أن أدفع قرشاً

واحداً.

- أنا سأتكفل بكل شيء..

صاح بعبارة بخماس..

- وأنا راضٍ بذلك.. والذي..

قالها وضحك.. فيما ضحك فارس هو الآخر لوصفه له

بوالده..

ثوانٍ فقط حتى ارتسمت جدية شديدة بوجه نادر قبل أن يربت

على كتف فارس ليجلس أمامه ولأول مرة ينتبه لتينك العينين..

كانتا صافيتين بريئتين تكشفان ما خلف قلب صاحبهما كالزجاج

تماماً..

- هل كنت أحمق لتصديق أولئك الأغبياء بكونك طفلاً وقليل

الوعي؟

عاد الحزن ليعلو وجه فارس فيما تابع نادر بخدة:

- إن أخبرك الآخرون أنك ناقص فستصدقهم فحسب!!.. لا تكن هكذا.. لقد أخبرتك: مرضك لا يُصاب به سوى الأذكاء.. وأنا هو المسؤول عن علاجك وليسوا هم.. ومن خلال وجودي معك علمت أنك لست قليل الوعي.. تحتاج فقط للتواصل بسبب انقطاعك لتسع سنوات كي تكون بمستوى من هم بعمرك.. وأكاد أقسم أنك خلال أقل من عامين ستتجاوزهم.

- هل سأكون شخصاً طبيعياً كالآخرين؟! ..

- لا تسأل.. أنت بالفعل بإذن الله ستكون كذلك بل وأفضل

من كثير منهم.

- وكوني مضطرباً عقلياً؟! .. هل سينادونني مجنون؟

- حتى الأصحاء ينادونهم أحياناً بالمجنون.. إن صدر منك

تصرف غريب فعندها قد يفعلون ذلك.

- لهذا أنت لن تستطيع إخراجي.. تصرفاتي الغريبة ستُصعب

عليك التعامل معي وسط الناس.. لقد سمعتهم يقولون ذلك.

- لا تُقرر عني.

صمت فارس ونظر لعيني نادر الغاضبتين وهو يتابع:

- سأخرجك.. وكيف أتعامل معك في الخارج هي مسئوليتي

أنا وليست مسئوليتك.. أريدك أن تركز خلال الأيام القادمة على
مسألة تعافيك من المرض. واتباع إرشاداتي مهما كانت صعبة
عليك.

نظرتة الحازمة جعلت فارس يومي برأسه موافقاً ولكن ما لبث
أن قال بيأس:

- ولكنهم قالوا إن مرضي لا يُشفى.

- أليس تنظر إلي الآن دون أن يُصيبك اضطراب العقل أو
تكون عنيفاً؟!!

اتسعت عينا فارس لهذه الحقيقة فيما قال نادر بانفعال:

- ذلك القرص الذي ابتلعتة هو مشط للهلوسة ولكن له أضرار
أخرى.. ولكن ما سأمنحك إياه من الغد سيكون الأقراص
الخاصة بمرضك سيكون لها أعراض جانبية أخرى ولكن عليك
احتمالها مهما كان..

- إذا بمجرد زوال أثر هذا القرص سيعود لي المرض.

«نعم».

أجابه نادر بكل صدق لترتخي ملامحه حزناً وخوفاً.. فهو
يريد رؤيته دوماً.. ولن يحتمل مسألة نسيانه أو معاملته بعنف.

- ثم هل فقدت عقلك لتلتقط أي شيء من فوق المنضدة

وتبتلعه كالأبله؟!

ارتفع حاجبا فارس وثردد قبل أن يسأله: من أنت؟
- ألسنت أنت من وضعه لي؟! ظننتك تحاول علاجي لأنك
طبيبي.

شحب وجه نادر واتسعت عيناه عن آخرهما: فابتلاعه له كان
من دافع ثقته به إذا..

تأمل وجهه المستنكر والمتبائل.. رأى تحديقه به.. هل
يخبزه؟!.. يخبره أن هناك من يسعى لإيذائه؟!.. لإفقاده عقله؟!..
لقتله لو لزم الأمر بعد أن يحصلوا على ميراثه..
بالتأكيد لم يفعل.. ولن يفعل.. فهي مسألة خاصة بالكبار
والبالغين عليه أن يتولاها وعلى فارس فقط أن يركز على مسألة
تعافيه.

- أتعلم.. غرقك في حوض الاستحمام.. إنها المرة الأولى
التي أرى فيها شخصا يحدث له ذلك.

قالها وهو يحرك رأسه ساخراً من فارس الذي اجمر وجهه
حرجاً، فيما ضحك نادر عليه.

- شكراً لأنك أخرجتني منه.

دُهِش نادر من رده المفاجئ وهو يراه يتسهم بلطف له وقد كان

ممتناً بحق. (الليلة ندره نأتمنوا أن يتسهم)

وابتسهم نادر بدورة.. فيما انبطح فارس فوق السرير قبل أن

يحرك ذراعيه فوقه كمن يسبح.. كان ليناً ووثيراً مقارنةً بسريره..
ولم يتردد لحظة ليرفع رأسه قائلاً:
- بادلني بسريرك.

- حقاً؟!.. بعد تقيئك على سريرك.
- سأ نظفه لك.
- نظفه لنفسك.

قالها نادر بغیظ وهو ينهض.. ويثق في الوقت ذاته أنه لن
يصادف طوال حياته من سيطلب منه مثل هذا الطلب الغريب.
فيما لم يتضايق فارس إطلاقاً وهو يعود للهاتف لمواصلة
لعبه.. كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة فجراً وقد أدرك نادر أن
على فارس العودة لحجرتة.

وكان سينطق حين قفز فارس واقفاً ليتجه نحوه ثم وقف إلى
جواره وراح يسأله عن تلك التطبيقات الجديدة عليه..
بدأ نادر يشرح له بعضها وقد رآه يتجاوب معه بشكل جيد
وتواصله وتفاعله لا يشوبهما مشكلة.. فقط صعوبة النطق ما
زالت ملازمة له قليلاً.. كما أنه أشبه في تصرفاته بطفل في التاسعة
من مراهق في السابعة عشرة من عمره..

(يستحيل أن يكون من قتلها).. تمت بها نفسه وهو يرى
ابتسامته النقية المتحمسة.. أراد أن يسأله ولكن ذلك سيؤذيه..

سيؤجل ذلك حتى يتحسن قليلاً من مرضه..

- متى سيكون لي مثلها؟

سأل فارس فجأة بشيء من الغيرة مما جعل نادر يعقد حاجبيه مستفهماً، فأشار فارس لفكيه اللذين غطتهما شعيرات خفيفة زادت من وسامته ومن مظهره الرجولي.

- ذلك ليس من ضمن عملي ولكن سنبحث عن حل معاً.

قالها ساخراً وكأنها مشكلة كبيزة ولكن تلك الإجابة لم ترض فارس الذي ظل ينظر إليه..

- حسناً.. سمعت أن كثرة البكاء والدموع تؤخر ظهورها.

مجدداً يسخر ويكذب.. ولكن فارس أخذ عبارته على محمل الجد.. ليقول فجأة بقلّة خيلة:

- أريد ذلك دوماً.. أريد التوقف عن البكاء ولكن لا أستطيع..

لقد أخبرتني مايا مرة أن الرجال لا يكون وأنا حاولت طوال السنوات الماضية و..

قاطعه نادر حين لاحظ أنه قد تهور فالبكاء هو أحد أعراض مرض الاكتئاب.. سواء كانوا رجالاً أو نساءً.. كباراً أو صغار سن.. ليس لهم سيطرة على دموعهم ومشاعرهم السلبية بل هي تنفس عنهم بعض ما يعانونه.. ولم يملك فارس شيئاً في هذا السجن سواها ليخفف عنه من كآبته..

- كُنْتُ أَمْزَحُ فَقَطْ.. أَبُكِ كَمَا تَشَاءُ وَلَكِنْ لَا تَبْكِي إِلَّا أَمَامِي
فَقَطْ.

ارْتَفَعَ حَاجِبَا فَارِسٍ تَعَجُّبًا فِيمَا فَسَّرَ نَادِرُ:
- لَا تَغَالِبْ نَفْسَكَ أَمَامِي.. أَفْعَلْهَا دَوْمًا فَأَنَا طَبِيبُكَ قَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ... وَهَذَا عَمَلِي.. وَسَيَأْتِي الْوَقْتُ الَّذِي لَنْ تَذْرُفَ فِيهِ دُمُوعًا
حَتَّى لَوْ أَرَدْتَ وَذَلِكَ حِينَ تَتَعَاْفَى.
ثُمَّ أَشَارَ لِفَكِيهِ مُضِيفًا بِرَفَقٍ:

- حِينَ تَكْبُرُ وَتَكُونُ بِعَمْرِي سَيُظْهِرُ عِنْدَهَا لَكَ مِثْلَهَا.
فَتَحَ فَارِسٌ شَفِيقَةً لِيَنْطِقَ بِشَيْءٍ وَلَكِنْ ظَهَرَ فَجْأَةً صَوْتُ غَرِيبٍ
مَعَهُمَا بِالْحَجَرَةِ كَجَرَسٍ أَوْ تَنْبِيهِ جَعَلَ كُلُّ حَوَاسِ فَارِسٍ تَنْتَبِهَ
وَتَتَحَمَّسُ لِلْحَاسِبِ الْمَفْتُوحِ وَالَّذِي لَمْ يَنْتَبِهْ لَهُ سَابِقًا، وَكَانَ
سَيَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ حِينَ رَأَى نَادِرَ يَسْبِقُهُ لِيُطْبِقَهُ قَائِلًا بِحِدَةٍ:

- كَلَّا!
ظَهَرَتْ لَهْفَةٌ بِعَيْنَيْهِ الزَّرْقَاوِينَ وَلَكِنْ نَادِرٌ أَخَذَهُ وَفَتَحَ أَحَدَ
أَدْرَاجِ خَزَائِنِهِ لِيَضَعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ وَسَجَبَ الْمِفْتَاحَ.
لَمْ يَفْهَمْ فَارِسٌ سِرَّ رَفْضِهِ.. فَهُوَ مَلِيٌّ بِصُورِ الْجِثَّةِ وَالْقَتْلِ
الَّتِي قَدْ تَوَذَّيَهُ، وَتِلْكَ الرِّسَالَةُ قَدْ تَكُونُ مِنَ الْمُحَقِّقِ أَيْمَنَ فَهُوَ قَدْ
طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ صُورَ الْمَلْفِ قَضِيَّةِ فَارِسٍ وَقَدْ وَعَدَهُ بِحُلِّ
ثَلَاثِ قَضَايَا مَجَانًّا ثَمَنًا لخدمته.

بدا كطفل صغير وهو يعبث ويمد يده نحوه:

- أريد رؤيته.. لن أحطمه.. ولن أعبث به.

- لا.

- فقط دقائق واسترجعه.

- لا.. يعني لا.

- أرجو ووووك.

- لا تُرهق نفسك.. كلا!

- نادر.. فقط ثواني و..

كانت المرة الأولى التي ينطق فيها باسم نادر.. وجهه الذي احمر.. كفه الممدودة.. عيناه المستعظمتان.. كاد يفقد نفسه بحق ويعطيه ولكن لم هو مُلح بهذا الشكل العنيف؟!

حرك نادر رأسه رافضاً وتجاوز بهمشيه ليسحب الفراش المغطي لسريره فهو سيكون غطاءه على الأريكة بعد فقدانه لخاصته.. واستدار ليُعيد فارس لحجرتة ليصدمه جلوسه على الأرض وقد ضم ركبتيه لصدره مقاوماً حرته فقال بانزعاج:

- هاي.. لا تكن لحوحاً ومزعجاً إلى هذا الحد..

- يمكنني مكالمه مايا ورؤيتها.. عبر المسنجر.. أنا أعرف رمزها كانت تكلمني دوماً.

ارتفع حاجبا نادر حين أدرك سر إلحاحه ورغبته المجنونة

باستخدامه، كانت فرصة جيدة ليتواصل معها.. ولكن هو لا يثق بها.. لقد رآها في شركة ذلك الخشع فاضل.. فلو كانت مهمة بفارس فلم لم تسأل عنه أو تزره وتخلصه مما هو فيه؟!!

قرر مواصلة رفضه حين رأى حاجبي فارس ينعقدان فجأة بألم وكفيه تضغطان معدته...

- ما بك؟!!

- تؤلمني.. تؤلمني بشدة.

انفلت أنين توجع من بين شفثيه وعلم نادر أنها من آثار

القرص..

ساعده لينهض وأرقده على سريريه ليراه يتكوم ويتلوى على نفسه وقد كان الألم عنيفاً وكأنه يمزق أحشائه.. وتردد نادر ثواني أمام ما فكر به ولكن صوت تألمه جعله يسحب حقنة ليقرب منه هامساً:

- ستساعدك هذه الحقنة على النوم إلى أن تنتهي نوبة الألم.

لم يُجبه فارس فقد كان مشغولاً بمصارعة ألمه حين شعر به يُرخي ياقة قميصه الأخضر ليغرس نصل الحقنة في كتفه وفي هذه المرة لمح نادر جزعاً في عينيه.. لم يكن يريد النوم والنهوض ليجد ما هو فيه من نعيم قد اختفى فزاد نشيجه الباكي حدة دون أن يعلم نادر ما يفكر به.

رفع كفه ليتشبث بطرف قميص نادر متمنياً أن تحتفظ كفه
بقوتها حتى بعد نومه ليصحو وهو لا يزال يقيدة كي لا يرحل..
انحنى أجفانه على عينيه الدامعتين وغالبها لثوان قبل أن تغلق
ويغرق في نومه، أزاح نادر كفه عن قميصه برفق وظل يتأمل
سكونه ثواني قبل أن ينهض..

دقائق فقط وكان جسد فارس يسترخي فوق سريريه وسط
حجرته المملة بعد أن نقله نادر إليها.. غطاه بالغطاء.. ولمحت
عيناه كرايس الرسم أسفل الوسادة.. سحبته
سحبه وجلس على طرف السرير وقد غلبه فضوله ليرى أولى
رسوماته.. كانت لقصر كبير جداً إلى جواره بحيرة لامعة ويقف
أمام القصر خمسة أفراد..

رجل بملامح وقور يقف بالمنتصف وعن يمينه امرأة متعلقة
بذراعه وقد كانت جميلة.. خمن نادر أنها والدته فارس وإلى
جوارها طفلة في الرابعة تحمل دمية بين ذراعيها والمرأة تضع
كفها الأخرى على شعرها مداعبة لها وتبتسم بحب..

تلك الفتاة الصغيرة كانت عيناها تنظران للشخصين على يسار
الرجل.. كان طفل في السابعة من عمره عرف نادر على الفور أنه
فارس.. كان مبتسماً بتكلف ويد الرجل فوق رأسه وإلى جواره
وقفت فتاة في السادسة عشرة من عمرها تربت بكفها على كتف

فارس وقد تعلقت عيناها به بحب.

لم تبد تلك الرسمة من وحي خياله، بدا وكأنه قد نسخها عن صورة فوتوغرافية حقيقية علفت بذاكرته قبل تسع سنوات من فراقه لأسرته..

من تلك الصورة فقط همس نادر باهتمام:

- علاقة المرأة قوية بطفلتها وزوجها.. ولكن اهتمامها أقل بطفلها فارس.. الرجل على علاقة جيدة بالجميع لأنه بالمنتصف.. يد الشابة القابضة على كتف فارس وكأنها تدعّمه أو تخبره بأنها موجودة معه أو.. هل هي توأسيه؟!

صمت لينتبه لتلك النظرة الجانية: من فارس لأمه وكأنه حزين لتجاهلها له!

- تلك الفتاة الصغيرة معلقة عينيها بفارس.. هي تحبه.. ولكن لعل اهتمام المرأة بها أثار غيرة فارس ولم يهتم لها وإلا لكان من الطبيعي أن يقف الأطفال في الصور متجاورين.

أدار بصره لفارس النائم ناظراً إليه.. كانت أنفاسه تخرج بصوت متعب وقد تفرقت خصلات شعره السوداء فوق جبينه:

- ما الذي كنت تعانيه مع هذه المرأة قبل أن تُصاب بالمرض لحد أن تحفظ تلك الصورة بكل تفاصيلها الدقيقة؟!

حمل سؤاله اهتماماً وتعاطفاً شديدين.. فكلما اقترب منه

ومن ماضيه لم يجد إلا فتىً غانى بأشد مما غانا هو بكل سنواته.
تنهد وهو يقلب صفحات الكراس لتتسع عيناه بصندمة وهو
يحقق برسم دقيق ومتقن لذراعه اليمنى وساعته الضخمة الملتفة
حولها بل إن جزءاً من ندبته قد ظهر..

- ما هذا؟!

قلب الصفحة ليجد رسماً لظل يساويه بالطول.. تلاها رسم
لوجه نادر فوق المرأة المحطمة والتي لم تكن واضحة تلك الليلة
لفارس.. فقط جزء من عينيه العسليتين.. شعره الكستنائي..
حاجباه المعقودان..

وإلى جوار الرسم خطت أنامل فارس كلمات جعلت وجه
نادر يكسوه تأثير شديد:

(نادر شخص جيد)

(نادر ليس سيئاً)

(نادر ليس المجرم)

(نادر هو طبيبي)

(لا أريد أن أنساه)

اتسعت عينا نادر إلى آخرهما وخمن أن فارس كان يغالب
عقله بعد أن علم بأن مرضه لا شفاء له فحاول جاهداً برسم نادر
تثبيته في ذاكرته..

لعل هذا ما جعله لا يكون عنيماً ولم يفرع حين رآني.
قالها نادر بضدمة وعيناه معلقتان بذلك الصغير الذي ظل
نائماً بهدوء فيما تساللت تلك الكلمات المكتوبة عنه ببراءة إلى
قلبه لتخط عليه أثراً جعل عينيه يغشاهما دفء مفاجئ..

الفصل الحادي عشر

« أنت تمزح. »

صاح صوت المحقق أيمن الغاضب في سماعه الرأس الموضوع على رأس نادر، إلا أن تلك الصيحة لم تغير من نبرة نادر الحازمة وهو يجيبه:

- أنت الأحمق.. من يمنح الآخرين مطالبهم قبل أن يدفعوا

الثمن؟!!

- لقد وعدتني بحل ثلاث قضايا.. تحل أيها الوغد ببعض

الأخلاق.

- وهل كنت تملك أخلاقاً حين سربت ملف القضية إلي؟!!

- وكأنك لست السبب؟!!

- أرسل لي الملف مكتملاً.. أو توقف!! فماذا سأسفيد من

تقرير دون صور للجريمة؟!!

- نادر ولكن هذه القضية قد أغلقت منذ ثماني سنوات..

توقف عن نبش الماضي.

- حسناً.. حظاً موفقاً فيما تبقى من قضاياك.

- تَبّاً لك.. انتظر.

دقائق فقط وأضيف لذلك التقرير عشرات من الصور لجريمة
مقتل لى جعلت ملامح نادر تبسم برضاء..

- هاه.. هل انتهينا الآن؟!

قالها أيمن بحدة محاولاً إنهاء هذه المكالمة المشحونة.

- كلا.. ستشاركني التحليل.

- نادر.. هل تعلم أنها الساعة الرابعة والنصف فجراً!.. قد

تستيقظ زوجتي في أي دقيقة وأنا مغلق على نفسي الباب وكأنني
أرتكب جريمة ستجعلها تشك بي.

- إنها مشكلتك كون زوجتك لا تثق بك.

- سحقاً.

بدأ نادر باستعراض تلك الصور عبر النصف الأيمن من شاشة

الحاسوب بينما صورة محدثة أيمن تظهر على الجانب الأيسر

منها.. حذق أيمن بتململ بعيني نادر المركزتين على صورة

الدماء الملوثة للسرير قبل أن يسأله نادر:

- أين الجثة؟

- ستجدها في الصورة الخامسة.

فتحها نادر لتتسع عيناه وترتخي ملامحه من منظر الجثة

الممزقة فوق السرير لفتاة بالخامسة من عمرها.. انقبض قلبه

بشدة وانعقد حاجباه فهو في حياته لم ير أبشع منها..

ودون أن يعي انتقلت عيناه لينظر لفارس النائم غير مصدق أنه
قد قتل أخته بمثل هذه البشاعة؟!.. بل وجوده في وسط مشهد
بشع كهذا كيف احتمله قلبه؟!..

- أخبرتك يا نادر أنها جريمة شنيعة هزت العاصمة منذ أكثر
من ثماني سنوات ولم يتكرر مثلها؟!..

تجاهل نادر تعليقه وهو يُكبر الصورة ليدقق النظر في.. قلبها
الممزق المكشوف.. رثتها المثقوبة.. بطنها الذي خرجت منه
بعض الأمعاء..

- سحقاً.. وبؤساً!!..

تمتم بها نادر بنبرة عصبية مشمّزة فانهقد حاجبا أيمن فهي
المرّة الأولى التي يُظهر بها بعض التأثير، فقال بشيء من الحزن:

- ذاك الطفل القاتل.. لم يرحمها لقد مزق جسدها وكأنه
يُمزق دُمّة.. ذلك المريض جعل والديها يقاسيان الويلات
وأعينهما ترى جثة طفلهما.. ومن حسن الحظ أنه مات قبل أن
يؤذيه..

..

- اخرس..

أطبق أيمن شفّتيه بصدمة فيما تابع نادر تفحص الصور مضيفاً
بحدة:

- أنت تشّستني بثرثرتك.. ثم لا تتحدث عن الطفل بسوء

وكأنك رأيت ما حدث.. هل هو يوبخه لأنه أزعجه؟ أم أنه يدافع عن
الطفل القاتل الميت؟!

- يا إلهي!.. كنتُ أثق بأنه من المستحيل أن يكون من قتلها.

عبارة نادر الغريبة شدت أيمن ليسأل بفضول:

- ماذا؟!.. ماذا لاحظت؟!

- انظر لخط الدماء المقذوف من جسد الفتاة أثناء تمزيق
جسدها.. جميعه يتجه إلى الجانب الأيمن من السرير ومن ذراع
الفتاة.

- وماذا في ذلك؟!

- القاتل يستخدم يمينه.. وفارس يستخدم اليسرى.

شهق أيمن لهذه المعلومة.. ولكن لحظة: التقرير لا يحوي
معلومة توضح أن فارس يستعمل يده اليسرى..

- نادر.. كيف عرفت..؟!

- انظر لعنقها.

صُرف ذهنه بالكامل ليحْدق بعنق لَمَى الممزق ومرت دقيقة
ولكن لم يلاحظ شيئاً.. وحين زفر لفشله قال نادر بانفعال:

- عظام عنقها محطمة.

- اللعنة.. هذا صحيح.

- بل ولا يوجد دماء متدفقة على الوسادة من عنقها.. وهذا دليل على توقف قلبها قبل تمزيق عنقها.. أي أن موتها كان ناتجاً عن خنقها وتحطيم عنقها وليس طعنها بالمشرط.

- بل يستحيل يانادر لطفل بالثامنة أن يكون قادراً على تحطيم عنقها.

- القاتل شخص بالغ.

- تَبَا!.. من يكون؟!!

حرك نادر الصور ليشير إلى فردتين من الحذاء الوردي مصفوفتين إلى جوار السرير ثم قال:

- تلك الفتاة لم تُدخل مرغمة إلى حجرة أخيها بل طواعية وليس كما قيل في التقرير بأنه جرها إلى حجرته، فلو كانت مجبرة لم تكن ليكون معها حذاء.. كما أنه لو أراد قتلها لم يكن ليجد الوقت لترتيب حذائها.. وهذه الطريقة من التنظيم تخص الإناث أكثر.. لقد وضعت بنفسها حذاءها أسفل السرير.

- نادر أنت دقيق الملاحظة.

- بل وانظر لهذه الصورة.. الدماء المتناثرة من جسد الضحية أثناء تمزيقها كانت تصطبغ بالأرضية في الأسفل والجائط.. ولكن هناك بقعة في منتصفها لم تلوثها الدماء بل وتظهر كما لو أنها

مقطوعة.

رحمة الله عليه

- قد يكون هناك شيء يقف عائقاً أمامها.

- جسد الطفل فارش.

- تباً!!.. هل كان يشاهد مقتل أخته وتمزيق جسدها أمامه؟

- بل وارتطمت الدماء به.

- يا للمستكين!

- انظر للأسفل لآثار خدائه المتسخ بالدماء.. يبدو وكأنه

ركض باتجاه القاتل وقد يكون اشتبك معه..

وصمت لثوانٍ حين وقعت عيناه على مضرب البيسبول

الساقط على الأرض وقد التصق بأعلاه بقعة من الدماء.. قرب

الصورة ليرى نقش (Maya) على سطح المضرب.. هو هدية من

مايا لفارش..

- لقد استخدم المضرب لضرب الرجل..

قالها نادر بثقة فلو كان استخدمه لضرب لَمْي لكان المضرب

بأكمله متسخاً بدمائها..

- ولكن يا نادر.. لا أفهم.. التقرير يُظهر أنه من قتلها.

- هو محض هراء.. بل ما سجل عن عدم فهم الأطباء النفسين

لسبب إيذائه لرأسه وفقدانه للوعي غباء.. انظر لإفريز النافذة

ستجد دماء تخط من أعلاه لأسفل الحائط لم يكن هو من أدى

نفسه، لقد تم حمل الطفل فارس ودك مؤخرة رأسه في إفريز
النافذة مما سبب إصابة رأسه وتدفق الدماء منه ففقد الوعي
لينهض وهو مصاب بمرضه النفسي...

- يا للفتى المسكين!!... من الجيد موته فكيف سيحتمل طفل
صغير أن يعيش بعد مقاساته لهذه الجريمة الشنيعة أمام عينيه؟.

شعر نادر وكأن ذاك الضباب الذي يمنع عنه فهم فارس قد
انقشع كله.. الآن علم لم ينسب فارس مقتل أخته لنفسه.. لأنها
قُتلت في حجرته ولم يستطع حمايتها..

بل ماذا لو علم أيمن أن فارس حي!... ويعيش في سجن من
صنع المجرم الذي لم يكف عن التلاعب به والوجود حوله لتسع
سنوات بل ولا يزال فارس يقاسي عنفه وضربه ويجبره على رؤية
هذه الجثة الممزقة لأخته..

(فارس أسوأ حظاً من أخته الميتة فهو لم يخرج من ذاك
العذاب أبداً).

حقوق به نادر النظر مطولاً.. تذكر سعادته المبالغ بها لإخراجه
من الحجرة فقط.. بكاءه إلى جوار النافذة هامساً برغبته
بالخروج.. معانقته الشديدة له وصياحه بشكره امتناناً لهذه
الأشياء الصغيرة التي لا تعد شيئاً مفرحاً لمن هم بعمره.

تذكر بكاءه وتشبهه به حين صدح الرعد وصراخه بأنه خائف..

فتلك الصور جميعها كان يظهر من نافذتها صور الأمطار بالخارج وهذا يعني ارتباط ذلك الجو العاصف بالجريمة في عقل فارس.

ارتخت أجفان نادر وظهر تأثيره وتعاطفه معه و..

« إنها المرة الأولى التي تُظهر فيها مثل هذا الوجه. »

هذه العبارة أثارت استياء نادر بالكامل ليستعيد بروده وهو

يبتسم بخبث قائلاً: « .. »

- لن أظهر لك هذا الوجه أبداً وخاصةً بعد قليل.. والآن ما

اسم المحقق الذي كُلف بهذه القضية؟

شهق أيمن ثم احتدت نظراته فهذا محطور في سلك

التحقيقات:

- كلا.. يكفيك ما منحته لك من ملفات..

- حقاً؟.. أسعدني التعرف عليك.. وداعاً..

- أنت توقف عن كونك وضيعاً مبتزاً.. لقد وعدت بجمل

القضايا التي أرسلتها لك.

- أنت من تؤخر حلها.. كف عن المماطلة وهذا هو آخر طلب

مني:

تردد أيمن ثواني قبل أن يفتح التقرير ليمتقع وجهه بالكامل..

ويبدو أنه كان مصدوماً بالفعل ليحييه:

- نادر.. المحقق في هذه القضية هو رئيس المحققين حالياً..

إنه شخص سيئ وفاسد.. إن علم بما سربتُ إليك فسأطرد وإن
تدخلت أنت بقضيته فلتودع حياتك.

التقى حاجبا نادر بشدة.. وبحق كلما تعمق بماضي فارس
ازدادت الأمور تعقيداً وخطورة..

- ٨ يونيو، ٥ مساءً -

(شوكة طعام معدنية استحال لون أسنانها أحمرًا قانيًا..
وتقاطر من بين فراغاتها دماء رطبة لترتطم بأرضية صالة الطعام
بالمدرسة الثانوية..

صراخ فتيات مفزوعات.. تدافع فتيان من كل مكان.. تساقط
أطباق الطعام على الأرض بفوضوية..
شهقات متألمة.. فتى يبكي وكفه تقبض على كتفه الممزق..
وعادت تلك الشوكة لتدك كتفه مجدداً وإن قصدت عنقه و..)

- اخرس.. ما كل هذا الخوف؟! -

- أخبرتك يا سالم.. حين حان وقت نوبتي ووجئت كان نادر
مرهقاً للغاية.. وأقسم أن كل ذرة من جسدي ارتجفت خوفاً من
منظر وجهه.. كان مظلماً ونظراته شرسة.. أنا لم أستطع حتى
التفوه بحرف والتصقت بمكتبي فيما رمى هو بنفسه فوق الأريكة
وغرق بنومه.

- إذا لم يمتدحني أو يعبر عن امتنانه لي لما قدمته له ليلة
البارحة؟.

- لا أظن وجهه كان كمن يحمل امتناناً لأحد.

- تبّاً.. ظننت أنه بحلول الصباح سيكون أقل إرهاقاً بسبب
هدوء الفتى..

- سالم أتوسل إليك اخفض صوتك أو غادر.. فأنا لا أريده أن
يستيقظ ويصيب جام غضبه عليّ بدلاً منك فأنت رئيس الأطباء
وأنا مجرد طبيب مسكين..

- سحقاً.. أين فخرك السابق بنفسك يا ياسر؟

- غادر منذ أن ارتبط قدري بهذا الشخص.

ظل ياسر وسالم يتهاتمان دون علمهما أنهما بصوتهما قد
ساعدوا نادر ليفيق من حلم ارتبط بذكرى ماضية بالكاد نسيها..

كان مستلقياً على الأريكة ووجهه محشور ببطنها لذا لم يدركا
فتح له عينيه الناعستين واللتين كساهما ظلام حقيقي لوجود سالم
معه بالحجرة، والأسوأ هو يسأل إن كان ممثناً له بسبب القرص
الذي منحه لفارس والذي منحه ليلة غضبية..

- هاي.. ياسر.. أنا لن أتدخل مجدداً بهذا الفتى.

قالها سالم مستسلماً ليرد عليه ياسر بثورة:

- ومنذ متى أخبرتك أن تتدخل؟.. لقد قلت لك إنه مرهق من

الاعتناء به، ولكن هو لا يحب أن يتدخل أحد بعمله ولا يثق إلا بنفسه لذا من الأفضل أن تباعد عنه ولا تجعل أيامي عvisية فبالكاد لأن لي قليلاً ومنحني بعض وقته لأن مصلحته مرتبطة بي.
- يا لك من مسكين!.

مع هذه العبارة الرائية تهدج صوت ياسر وهو يئسه بعض حزنه:
- أنا لم أحظ بصديق جيد منذ دخولي المستشفى.. حتى الأطباء السابقون فقط يعاملونني كموظف وما بيننا هو العمل..
أما هو فعند رؤيتي له ظننت أنه الوحيد من بين الجميع قد يكون صديقي.
- هل أنا كذلك أيضاً؟

- أنت أولهم أيها الوغد.. ولولا هذا الفتى لا أظنك كنت ستلتفت لي.

« لاحظتكما العاطفية طالت بعض الشيء.. »
أخرست الأفواه وتعلقت النظرات بنادر الذي نهض جالساً وهو يضيف مغضباً:

- ابحثا لكما عن حجرة أخرى لتبثا فيها مشاعركما بعضكما لبعض.. فقد بدأت أصاب بالغثيان.

شحب وجه ياسر ومسك معطفه سالم يهزه هامساً بخوف:
- هل رأيت؟!.. كما أخبرتك.

تأمل سيالم وجهه الناعس فلامحه المكفهرة بل وعبارته
المستهزئة الوقحة ثم همس: ..
- مزاجه متعكر لإفاقته من النوم.. أنا مثله أكون بأشوأ خالاتي
حين أفيق.

حني نادر رأسه وفرك جانبي رأسه متجنباً النظر لسيالم..
(يجب أن أتحدى بالصبر.. أن.. أصبر.. كما فعلتُ في السجن..
كالسجن.. كالسجن) كان يشحن نفسه بكلمات إيجابية كي لا
ييطش به..
فيما سرح سيالم نفسه للخارج ملقياً بكلماته لياسر الذي
عمّت ملامحه الفوضى:

- بعد أن يُفارق جيداً قد أعود..
- أيها الوغد.. أنت من تسببت بإيقاظه والآن تهرب كالدج..
« هل تتحدث بالسوء عني دوماً؟! »
أدار ياسر بصره المتسرع نحو نادر وقد أدرك أنه سماع
حديثهما.. فيما تابع نادر باستخفاف:
- ثم لديك خطيئة؟!.. لم أنت متلف لصاديق إلى هذا
الحد؟! ..

ارتفع حاجبا ياسر لسؤاله وتنهد متعباً وفتح شفثيه ليشه حزنه

و..

« حسنًا.. حسنًا.. لقد فهمت. »

- أنا لم أقل شيئًا بعد.

- اتساع فمك أخبرني أنك لن تصمت قريبًا لذا انس الأمر.

أطبق ياسر شفتيه محققًا فيما نظر نادر لساعة هاتفه المشيرة
للخامسة والنصف.. بقي على النوبة المشتركة نصف ساعة..

وهو لم يكتف من النوم بعد..

نظر لفارس الذي لا يزال ملازمًا سريره ويبدو أنه نائم بعمق..

- هاي.. لقد أحضرتُ أكياس شو كولا وبسكويطات بنكهات
مختلفة فقد استلمتُ مرثي اليوم.. استحم وتعال لتذوقها
ستعجبك بالتأكيد.

رمقه نادر بطرف عينه متسائلًا.. لم لا يئأس منه على
الإطلاق!!..

ولكن.. هو يشعر بالضيق والاختناق بسبب تلك الذكرى
السيئة، وبحاجة لشيء ينشط هرمون الدوبامين المسئول عن
السعادة لذا قال بهدوء:

- حسنًا..

كتم ياسر شهقته المتفاجئة بصعوبة، واندفع ليرص جميع
الأكياس فوق المكتب وقد بدا متحمسًا للغاية، فيما دخل نادر
لحجرته وتأمل هاتفه.. لم لم يتصل به زيد إلى الآن؟!.. لقد مر

وقت طويل منذ أن طلب منه أن يتقضى عن تفاصيل عائلة فارس.. وساعة واحدة تكفي زيد للحصول على ما يريد.

هز كتفيه متململاً فلعل ذلك التهديد لم يعد يُجدي نفعاً معه.. لذا عليه أن يكون جاداً أكثر بشأن ابتزازه.

ثلاث ساعات ونصف الساعة مرت قبل أن يحين موعد نوبة نادر التي بدأها بتمتمته:

«أشعر بالتخمة.. والصداع..»

التخمة من كم الحلويات التي ظل يُقرّبها يأسر منه.. والصداع من ثرثرته التي لم تنته.. إنه لا يزال حتى الآن يتحدث أمام الباب قبل أن يبتسم ثم يغادر لانتهااء النوبة المشتركة.. نظر نادر للشاشة المعلقة.. لقد شاهد معه فيلماً.. هو حتى لا يصدق أنه فعل ذلك!!..

ولكنه أدرك أن لكل شخص لحظات ضعف ووهن وخاصته تكون حين تقفز تلك الذكري لغقله..

عقد كفيه أمام وجهه مفكراً..

هل تسبب بفرع وذعر للفتيات في ذلك اليوم كما تسبب المجرم في فرع فارس عند قتله لأخته؟!.. هل من المحتمل أن يعاني بغض الطلاب والطالبات الذين رأوا مشهد إيدائه لرفيقه - والدماء تنزف منه - من عقد نفسية هو سببها؟!..

- لقد سيطر علي غضبي إلى الحد الذي لم أر معه سوى نفسي
وذاك الشخص أمامي..

قالها نادر بضيق ونظر لفارس الملازم لفراشه مبصيفاً... (لقد
جعلني أدرك جانباً لم أنتبه له سابقاً؟!)

نهض بتكاسل وهو يتزع نفسه انتزاعاً من تلك الذكرى فلا بد
من أن مكالمته لأيمن وقضية مقتل الطفلة لَمَى هما من أثار ذكراه
وأثر به..

اتجه للمايك وضغطه ليقول:

- أعلم أنك قد أفقت وأنت غاضب لأنك في حجرتك.

رفع فارس الغطاء ليغطي به جسده ورأسه بالكامل متجاهلاً له
فيما ابتسم نادر فقد بدأ يفهمه حقاً... وظل صامتاً ثواني قبل أن
يقول:

- أوه.. لقد نسيْتُ شيئاً على المنضدة المجاورة لسريرك..

حسناً ابقِ نائماً حتى أستعي..

لم يتم عبارته وهو يرى فارس يدفع الغطاء ويقف جالساً
متلفتاً حوله وقد بدت بعينه لهفة شديدة.. لم يتمالك نادر نفسه
ليضحك فهو مفضوح بالكامل..

بينما انتبه فارس للكتابين الجديدين اللذين أحضرهما له
أحمد مسبقاً، وكادت عيناه تخرجان من محجريهما من شدة

فرحته وهو يخدق بالمصحف بين كفيه ثم ارتبك فجأة قبل أن يعيده فوق المنضدة..

ترك سريره راكضاً نحو دورة المياه ووقف ثانية والتفت للحاجز.. كانت تعلو شفوية ابتسامة مفعمة بالبهجة والامتنان.. وبدا متريداً بين الذهاب لدورة المياه أو التحرك نحو الحاجز دون أن يعلم نادر ماذا يريد بفعله هذا؟!

ولكن يبدو أنه حسم تردده حين اختفى داخل دورة المياه ليخرج بعد خمس دقائق والماء يتقاطر من كفيه وشعره ووجهه.. - لقد توضأ من أجل لمس المصحف والقراءة..

قالها نادر بدهشة ثم رفع أحد حاجبيه مستنكراً ففارس منذ قدومه للمستشفى لم يره يصلي أبداً.. لماذا إذاً هو مهتم بالقراءة؟! - أريد أن أراك..

صدح صوت فارس فجأة متشلاً له من أفكاره وهو يقف أمام الحاجز حاملاً الكتاب والمصحف..

- ألا يكفي أني أراك؟

- هذا ليس عدلاً..

- أخبرتك: لا بد من أن أثر قرص البارحة قد زال وسيصعب

عليك تمالك أفكارك كالبارحة..

- ولكنني أريد أن أشكرك وأعانقك في هذه اللحظة بالذات..

قالها بحزن لبيتسم نادر لصراحتة وتفكيره البسيط.. وحمد الله كثيراً كونه بعيداً عنه فما ينقصه الآن بعد مرافقة ياسر هو غناق شخصٍ ما له ليكتمل ذلك المشهد السخيف.

- حسناً سنكتفي بالشكر الآن.. والمتبقي دين إلى حين لقائنا القادم.

لم تقنع عبارته فارس كثيراً إلا أنه تمتم ببهجة:

- شكراً لك.

- حافظ عليهما جيداً.. فأنت لن تعلم مقدار الجهد الذي بذلته

لإحضارهما لك.

- حقاً؟!.. سأقرؤهما إذاً.

- وعليك أن تدعو لي أنا بالاسم.

ابتسم نادر بخبث وهو يتخيل وجه أحمد لو رآه ينسب هذا المصحف وهذا الكتاب لنفسه.. ولكن بحق لم هو لا يريد أن يخبر فارس أنهما من شخص آخر؟!!

لم يفهم نادر نفسه وهو يستعيد بروده وطبيعته ليتجه نحو مكتبه واضعاً حاسوبه المحمول فوقه.. ثم نظر لساعته بقي ربع ساعة على موعد عشاء فارس وتناوله للأقراص الخاصة بمرضه..

تلك الأقراص حصل عليها بسهولة شديدة، كونه طبيب مريضهم الماسي جميع طلباته مجابة وبكمية لا تُصدق أيضاً،

ولكن ما أفاده حقاً أن مدير المستشفى لم يخبر أحداً بحقيقة أنه معالج ولم يرق لتلك المرتبة لمنح الأدوية للمريض، وابتسم متعجباً لحصوله على وصف دقيق من ذاك البرفيسور لكل دواء وطرق الاهتمام بمريض المتلازمة حتى أنه منحه بريده الإلكتروني ليتواصل معه حول أي استفسار على أن يشركه يوماً في سره حول من هذا المريض ويجعله يلتقي به إذا ما تحسن ..

« أيها الفتى .. كل الأبواب المطروقة لأجلك أجدها تفتح بغرابة .. »

وانعقد أحد حاجبيه فقد كان لا يزال هناك قبضة في داخل عقله تجذبه للهرب والانسحاب من عالم هذا الطفل وكلما تأمل عقله أن يغلق باب في وجهه وجد آخر يفتح بسهولة .. (لنر إلى أين سيتهي بنا هذا إذا) تمت بها وهو يخرج الأقراص وقد بدا الهم عليه فأقراص الدواء سيكون لها أعراض سيكرهها فازس بالتأكيد .. ولكن لحسن الحظ لن تظهر في الأيام الثلاثة الأولى ..

تحرك ليضغط زر النافذة لتُفتح في حجرة فارس الذي أشرق وجهه سعادة وتلاعبت الرياح الداخلة بخصلات شعره السوداء وأطراف ملابسه ..

أسرع ليعتلي الحاجز القريب من النافذة وحقن بالقمر الذي توسط السماء وقد فاته مراقبته بدمراً الشهر الماضي ..

فتح صفحات المصحف ليختار الجزء الثلاثين وبدأ بالقراءة همساً..

ظل نادر يراقب ملامحه التي اعتلاها سكينه. وهدوء وقتاً قصيراً قبل أن يقول عبر المايك:
- ارفع صوتك.

ابتسم فارس وهو يرفع صوته لسمع نادر.. لم يكن صوته ذا نبرة جميلة كالقراء ولكن لمس نادر منها خشوعاً جميلاً..

- هذا سيفيده في تحسين النطق لديه..
كان فارس مشغولاً بقراءته حين فتح نادر حاسوبه ليبدأ في حل القضايا الثلاث التي وعد المحقق أيمن بها.. وانغمس في تفاصيلها حتى أنه لم يدرك أن طعام فارس قد وصل وأنه قد تناوله.. ولم يكد يدرك ذلك حتى التقط الأقراص من فوق مكتبه ثم ضغط المايك قائلاً:

- فارس.. سأضع لك قرصين.
كان فارس يجلس على المقعد المقابل لمائدة طعامه حين سمع صوت نادر وظل عاقداً حاجبيه ثواني قبل أن يقول:
- حسناً.

- جيد.. كن مطيعاً دوماً هكذا.
ازداد انعقاد حاجبي فارس.. شيء غريب بصوت نادر أزعجه..

فيما نهض نادر ولم يكذب يستتم واقفاً حتى داهمه صداع مؤلم
جعله يتكئ على حافة المكتب مستغرباً وكفه الأخرى تقبض
على جبينه ولكن لم يكذب يلمس جبينه حتى أنزل كفه ليرى قطرات
العرق المغرقة لها..

كان يتعرق دون أن يعلم بل ويشعر بالوهن.. هل هو من تلك
الذكرى؟! ..

لم يفهم ما الذي يحدث معه وهو يتحرك ليضع الأقراص
لفارس فوق لوح الطعام بعد أن ضغط الزر في الحائط، ولم يتردد
فارس في ابتلاعها فثقتة العمياء به تملأ قلبه بالكامل..
عاد نادر لمكتبه ثم اتسعت عيناه لمرأى فارس يسحب
المنضدة بثقلها ليلصقها بالخاجز لتكون في مواجهة مباشرة مع
مكتب نادر..

ضحكة خفيفة صدرت عن نادر.. فهو كالطفل تماماً..

بل سحب مقعداً وألصقه بالمنضدة ووضع كراس رسمه
وعلبة الألوان هاتفاً بحماس:

- إن رسمتك الآن فهل ستأتي لحجرتي؟! ..

- أهو تحدّ؟! ..

- نعم..

- اجعلها إذاً ثلاث رسومات وبما أنك أخذت الدواء.. بعد

ساعتين سأدخل .. وسيكون من الجيد تيقني من كونه نافعاً أو لا .
- رالالالالاع .

صاح بها فارس بحماس فيما هز نادر رأسه مستهجنًا اختياره
لنتيجة التحدي .. كان عليه اختيار الخروج من الحجرة ..
الحصول على الهاتف .. شرائح برقر مطهية جيداً بدلاً من اختياره
لرؤيته ..

عاد نادر للحاسوب ولكن هذه المرة كلما ركز أكثر ازداد
صداعه .. بل قطرات العرق نزلت من رأسه لترتطم بلوحة
المفاتيح ..

رفع كفه ليتحسّن جبينه هو ليس مصاباً بالحمى .. ماذا إذا؟!
غالب نفسه ليستكمل حل القضايا .. وبعد ما يقرب نصف
الساعة صدح صوت فارس وهو يلصق ورقة على الحاجز:
- انظر .. إنه مثلك تماماً .

حدّق نادر بتلك الرسمة ولم يملك أن يسيطر على انبهاره
فأطلق صغيراً معجباً من بين شفثيه جعل فارس يضحك سعيداً
ويزهو بنفسه .

- إنها واحدة فقط .. بقيت اثنتان .. ثم يا عديم الفن والذوق ..
لم اخترت رسمي حين كنت متسخاً ببقايا طعامك؟!
- إنها المرة الأولى التي أراك جيداً فيها .

قالها فارس بحماس ثم انتبه فجأة إلى أن نادر منزعج من هيئته
بالرسمه فابتسم ابتسامة غامضة وهو ينحني ليكمل رسمه..

لم يفهم نادر ما ينويه ولكن هذا الشخص أمامه قد أفلح في
شغله عن ضيقه وحزنه السابقين..

نصف ساعة أخرى وعلا صياح فارس ليرفع نادر عينيه ولم
تكد عيناه تقعان على تلك الرسمه حتى أظلمت عيناه وزفر
غاضباً..

- هذه الرسمه فاشلة بالكامل..

قالها نادر محنقاً لسمع صوت فارس المعاند:

- كلا.. هكذا تظهر أسنانك حين تضحك.. لقد رأيتك

البارحة..

- إنه ليس حتى بشراً.. الوجه بأكمله أسنان وأنا أجمل وأوسم

من ذلك.

- كلا.. كلا.. كلا.. تعال ليحجرتي ودعنا نقارنها وانظر..

- هل تهزأ بي؟!..

صاح نادر مغتاضاً فيما ضحك فارس ولم يرد عليه.. لقد نجح

في استفزازه بالكامل..

تنهد نادر محنقاً ويبدو أن فارس كان ذا معنويات عالية فافت

نادر أضعافاً مضاعفة ليقول فجأة بإذعان:

- حسناً.. سأرسم واحدة أخرى.. وإن قلت إنها فاشلة فلن
أتناول الأقراص في الغد.

- هل تهددني بصحتك؟!

صاح بها نادر مصدوماً فيما علت شفتي فارس ابتسامة كبيرة..
فنادر لم ير منه ذلك الجانب إطلاقاً.

وفي هذه المرة أخذ فارس ساعة بأكملها قبل أن يطرق الحاجز
ليرفع نادر بصره ورأى بعيني فارس تردداً وتوتراً قليلين قبل أن
يرفع الورقة ليلصقها بالحاجز..

وفي هذه المرة اهتز جاجبا نادر واحمر وجهه.. كان هو نفسه..
بهيمته.. بوسامته.. برجولته.. ولكن أين؟!... تجت السماء
المظلمة المليئة بالنجوم وقد تشابكت كفاه الممتدتان كمن
يتوسل لشيء ما بل وعيناه تلتمعان بالدموع و.. (إنه موقف
شاعري وعاطفي للغاية لا يتناسب مع شخصيته..)

- سأقتلك.. سأسحب الكراس منك.. سأحطم تلك الألوان.

قالها نادر فقد استفزه بالكامل وبالفعل غادر حجرته واتجه
لحجرة فارس الذي ظل جالساً على مقعده بانتظار قدومه.. ولم
يكذ يفتح نادر الباب حتى التقت عيناه الزرقاوان المبتهجتان بعينه
العسليتين المحتدتين و..

أدرك نادر مدى غبائه!..

لمْ هو في هذه الليلة يفقد أعضابه؟! ويستغله مراهق مثله؟!
ولكن وقبل أن يعود كان قد رأى اندفاعه فارس نحوه فتوترت
ملامحه.. هل سيهاجمه؟!!

هل عاد له عنفه؟!
كان سيتراجع ولكن ثقلًا في قدميه منعه وفارس يقفز معانقًا له
فجأة بفرحة غامرة صارخًا:

- لقد رأيتك.. كالبارحة تمامًا..

وشد عليه أكثر متابعًا:

- إنه سذاج الدين..

رفع نادر كفه ليبعده عنه ولكن شعورًا غريبًا من الوهن أثقل
جسده.. بل كاد يقع من وقفته فأسرع يستند على ركن الباب..
تراجع فارس للخلف ليرى تورم أنفه واحمراره بل شفتاه هما
الأخريان متورمتان.. وعيناه قد غشاهاهما احتياج واحمرار عنيقان
كما لو أنه قطع عددًا من البصل.. أنفاسه بطيئة متعبة.. بل هو يجد
صعوبة بالتنفس.

« أنت لست بخير.. »

قالها فارس بقلق وخوف فيما رفع نادر كفه الأخرى ليغطي
وجهه فأكثر ما يكرهه أن يراه الناس بلحظات ضعفه..
والأسوأ من ذلك أن يكون مريضه..

ثواني فقط أخذ منه التفكير بهذه الأعراض ليدرك أنها حساسية الحمضيات.. هو لم يتناولها و..

« تَبَّأ.. إنها تلك الحلويات بالتأكيد.. كيف لم أنتبه لنكهة الحمضيات بينها؟!.. لا بد أن إحداها اشتملت عليها. »
كان سيقع حين أسنده فارس فجأة وقد ملأ وجهه ارتباك شديد ليقول:

- هل.. هل أناذي أحداً؟!!

ولكن نادر لم يجبه فقد توزم لسانه وثقل هو الآخر، ليحط أخيراً بثقل جسده على فارس الذي بالكاد أسنده بل سقط على ركبتيه لتغشى عيني فارس الدموع وتتسارع نبضاته هلعاً دون أن يدري ما عليه فعله..

فنادر على وشك فقدان الوعي وبين يدي مريض بالكاد يساعد نفسه فكيف ينقذه هو الآخر؟!.. لا...!!؟ دموعه تدسها أمام عينيه

شعر بنصل حاد يخترق ذراعه عقد له حاجبيه ولكن شفثته لم تنطقا ولا يزال يسبح وسط ظلمة إثر وعيه الغائب..
نشيج خفيف مكتوم وكأن قطعة من القماش تمنع علوّه تسلل لأذنيه.

ذلك النشيج البعيد عنه ألم قلبه وشعر به يؤذيه أكثر مما آذاه

ثقل جسده ووهن عينيه اللتين لم تطيعاه ليرفع جفنيه..

« حمداً لله على سلامتك. »

انتفض نادر وهبّ جالساً إثر هذا الصوت المألوف لتساقط

كومة من المناشف الصغيرة المبللة على جانبي جسده بعد أن

كانت تغطيه..

تلك الظلمة بالكاد انقشعت ليصر ابتسامة أحمد وهو يربت

على كتفه هامساً:

- عد للاستلقاء.. ما زال جسدك ضعيفاً ولم تستعد وعيك

بالكامل.

اهتزت عيناه بتعب وأحمد يضغط كتفيه مرغماً له ليستلقي

مجدداً..

رفع ساعده ليغطي به عينيه ووجهه.. ماذا حدث؟!.. لم هو

هنا؟! ولم أحمد معه؟!.. لا يعلم.. وذاكرته غير قادرة على

استعادة شيء..

أغمض عينيه محاولاً التقليل من تشوشه ولكن ذلك النحيب

الحزين لا يزال يواصل هز طبلة أذنه مزعجاً له..

« ستكون أفضل إن شاء الله خلال نصف ساعة فقط... ومن

حسن الحظ أن تحسسك لم يتفاقم إلى ذمة الحنجرة وإلا لكان

الأمر خطيراً واحتجت لعلاج سري مكثف بالمستشفى. »

(حساسية الحمضيات).. نعم الآن تذكر لقد أصيب بها..
وداهمته أعراضها بشكل مفاجئ ولكن..

- لم ما زلتُ أنام على الأرض يا متحجر القلب؟!.. الرحمة
التي تتفاخر بها دوماً ألا تشملني الآن! كوني مريضك؟!
- حسناً.. لأن وزنك ثقيل.. وأنا لن أولم ظهري بحمل وغد
مشوه مثلك!؟

- مشوه؟!؟

تمتم بها نادر بصدمة وهو يُبعد ساعده عن عينيه فأكثر ما يكرهه
في هذا المرض هو ما يحدثه في وجهه من تورمات..
- ما زلت مهووساً بهيئتك الخارجية وأنت للتو أفقت!!...
همس بها أحمد مستنكراً اهتمامه بهيئته بدلاً من صحته، فيما
رمقه نادر شزراً وهو يقول: لا أدري ماذا سأفعل...
- أظنك في أسعد حالاتك أيها القبيح وأنت تقارن نفسك بي
الآن..
- ليس كل من في العالم يعانون نرجسيتك..
قالها أحمد محققاً فقد وصفه بالقبيح والأسوأ أنه حتى لم
يشكره لإنقاذه له..

- وهذا ما ميز العالم كونه لا يوجد فيه إلا واحد مني..
ابتسم نادر بعبثية فيما ابتسم أحمد ثانياً فوقأخته نبأته بأنه قد
أفاق جيداً..

ولكن لم تلبث تلك الابتسامة بشفتي أحمد أن تلاشت..
وظهر ضيق بعينه وهو يضرب كتفه بقبضته هامساً بغضب:

- هل كنت أحمق؟! .. أنت تعلم أنها تؤذيك فلم تناولتها؟!
تلك الضربة ألّمته بالفعل ولكن ذاك التأثير بوجه أحمد جعله
يضمّت مرغماً وأحمد يضيف بنبرة مهتزة:

- لقد جعلت ليلتي عسيرة.. ليس أنا فقط بل وذاك الفتى.
شهق نادر بمجرد تذكره لفارس وأدار بصره في الحجرة ليذكر
أنه بحجرة فارس.. بل والأشوأ هو يذكر سقوطه أمام فارس..

وهذه المرة نهض بالفعل ليجلس وعيناه تبحثان عنه حين سمع
همس أحمد: «إنه هناك». وأشار بسبابته إلى زاوية صغيرة ما بين
خزانة الملابس والحائط كان يحشر فارس جسده بها، وقد التف
حوله غطاء سريره مواصلاً نسيجه الذي ضجبه تمتامات غريبة..

- يا إلهي.. هل هو بخير؟
قالها نادر بقلق وهو يحاول النهوض ولكن لم يلبث أن سقط
جالساً بتعب..

شعر بأحمد الذي شد على ذراعه فجأة لينتبه له فقال بمرارة:
- حين أتيت.. لقد كان حاله سيئاً للغاية.

- ماذا تقصد؟!
صاح بها نادر قلقاً. وقد احدثت نظراته فيما تتمم أحمد
بانفعال:

- كُنْتُ في المستشفى .. بنوبتي المسائية حين رن هاتفى لأجده أنت .. ولم أكد أرد حتى سمعتُ صوت بكائه وشهقاته وكل ما ينطق به ثلاث كلمات: « أحمد .. نادر .. مات .. » لقد أفقدني صوابي .. وصرختُ بفزع سائلاً له عما حدث ولكن بمجرد سماعه صوتي أخرس تماماً .. ومن الجيد سماعي لصوتك البعيد فقد كنت تكرر اسمي وتسعل بأنفاس لاهثة وعندها علمت أنك أصبت بالحساسية وأنت من أوجيت إليه بفكرة الاتصال بي .. لم يكن قد أنهى كلامه حين تذكر نادر ذلك .. فلقد بذل جهداً كبيراً ليُشير لفارس بأن يُغلق الباب وحين حاول إخراج هاتفه ليتصل بأحمد أظلم ما حوله فظل ينطق اسم « أحمد » وبعدها فقد وعبه ..

ولكن يبدو أن فارس قد فهم ما أراد ونفذه بدلاً منه ... ارتخى جفنا نادر وانقبض قلبه فلا بد أنه أفرغه بفقدانه لوعيه أمامه .. تابع أحمد توضيح ما حدث وعيناه مسبمرتان بإشفاق على المغطى هناك:

- حين هرعتُ إلى هنا وجدتك مرمياً على الأرض والمناشف المبللة تغطيكَ .. أظنه كان يحسب أنك أصبت بالحمى أو شيء من هذا فحاول التخفيف عنك ..

- هل .. هل تقبل وجودك؟!

سؤال نادر حمل كل لهفته ولكن تقطيب أحمد لحاجيه
وعضه لشفته السفلى نبأه بأنه يتألم لما رآه وسرغان ما نطق:

- أنا.. أنا لا أعلم ما نوع المرض الذي يُعاني منه!!.. ولم
أفهمه حتى!!.. ولكنه أحزنني بحق فبمجرد دخولي واقترابي
منك وقف أمام جسديك ماداً ذراعيه كي لا أقرب منك.. أنت..
أنت يا نادر لم تره.. كان يُحدق بي بعينين محمرتين من كثرة
البكاء فقد كان مفزوعاً عليك.. وحين أخبرته أنني لن أؤذيكَ
وأنتي أحمد الذي اتصل به ابتعد.. ولكن بدا لي في حالة من
التشتت والضياغ فبمجرد أن انجذبت إليك حتى اندفع ليمسك
بأحد ذراعيك وراح يسحبك بعيداً عني صارخاً: «لا.. لا.. لا..
لن تقتله.. لن تقتله.. لن تؤذيه!!»

ثم رفع بصره لنادر متابعاً بحيرة:

- لم أفهم ما يعني ولكنني شعرت وكأنه يحاول حمايتك مني.

- تبّاً.. لقد ظنك ذاك المجرم متكرراً.. وخشي أن تؤذي.

كان نادر يقاوم نفسه الواهنة لينهض فهو يخشى ازدياد مرض
فارس بأسوأ من قبل.. ولكن أحمد أمسك بذراعه متابعاً بنبرة
مريرة:

- حين تجاهلته واقتربت منك زاح يصرخ ويبيكي فاضطرتُّ

لإغلاق الباب لعلمي بأنك لا تُحب أن يعلم أحد بقدومي هنا..
وعندها راح يهزك بقوة محاولاً إيقاظك وحين فشل انهار باكياً
فوقك حتى بُح صوته وهو يغطي بك جسده كي لا أؤذيك.
- هذا سيء..

قالها نادر وهو يتمنى أن الأمور توقفت عند هذا الحد..
وشعور قوي من الذنب ألّمه لكونه سبب ذلك..
فيما اكتسى صوت أحمد بشعور من الذنب أقوى منه وهو
يهمس له:

- لقد.. لقد كُنتُ شيئاً معه.. فحين رأيته متعلقاً بك وقلقاً
عليك.. لم يكن أمامي فرصة لعلاجك إلا بأن قُلْتُ له بأنني مغادر
وأنت إن أصابك سوء فسيكون هو المَلُوم. أنا أشاء أحسنه
اتسعت عينا نادر عن آخرهما فيما قاله قادر على تحطيم فارس
وإحياء شعوره القديم بكونه مذنباً لمقتل أخته لَمَى..
ولكن وجه أحمد كان يدل دلالة قاطعة على أن فارس لم يترك
له خياراً آخر وهو يختم حديثه بقوله:

- بعد ما هددته بالمغادرة انتفض جالساً وبدا الخوف في عينيه
فنهض وابتعد عنك خطوات ولم يلبث أن عاد مجدداً وظل يفعل
ذلك عدة مرات كالمجنون وهو متذبذب بين تصديقي وتكذبي
قبل أن أراه يركض ليسحب غطاء السرير والكراس ويحشر نفسه
في تلك الزاوية لأبدأ في علاجك عندها.

تغلب نادر على نفسه ليقف وقد أدرك أنه في أول ليلة من
علاجه له قد جعلها ليلة عضائية عليه.. تحرك بخطواته نحو تلك
الزاوية لسمع همس أحمد من خلفه:

- هل سيكون بخير؟!

ومع صوته لاحظ نادر ارتجاف جسد فارس والتصاقه أكثر
بالحائط.. فأشار بطرف عينه خلسة لأحمد ليغادر الحجرة ويقف
خلف الحاجز مراقباً لكليهما..

امتدت يد نادر لتلامس رأس فارس المغطى وهو يتمتم:

- فارس.. هذا أنا نادر.. أنا بخير وكل شيء على ما يرام.. ولا
يوجد أحد غيري في الحجرة معك.

مع لمسسه أدرك أن فارس معطٍ له ظهره ووجهه للحائط.. بل
سمع همسات غريبة علت فور سماعه لصوت نادر..
«أسف.. أسف.. أسف.. أسف.. أسف..»

ظل يكررها ببيكاء كطفل مذنب يخشى العقاب.. وكأن ما
أصاب نادر هو خطؤه.. وهذا فقط ما كان ينقص نادر ليثور
بغضب:

«لم تعتذر؟!.. لم يكن خطأك..»

قالها وهو يسحبه من كتفيه نحوه ولم يصدر عن فارس أي
اعتراض أو عنف فتشجع نادر ليكشف جانبي الغطاء عن وجهه
ليظهر له احمراره وشحوبه..

كان لا يزال يشهق لطول بكائه.. وشفتاه ترتجفان وأصابه بين
أسنانه.. بل وفوق أظافره بقع من الدماء لطول عضه لها باضطراب
بين أسنانه..

سحب نادر يده لينظر لها بغضب وعصبية ولكن فارس جذبها
بقوة منه وتراجع للخلف أكثر ملتصقاً بالحائط.
لم يفهم نادر سر فعله ذاك ولكنه لاحظ تجنب فارس النظر
إليه..

ولكنه ليس عنيفاً معه.. ولم يدفعه..
- انظر إلي.

قالها نادر بهدوء ولكن فارس لم يطعه فكررهما عدة مرات
وحين واصل عناده أمسك برأسه ليجعله ينظر إليه مرغماً..
ولم تكذب برتطم عيناه الزرقاوان الباهتتان بوجه نادر حتى
تدفقت منهما الدموع وشهق عالياً..
- أخبرتك أنا بخير.

قالها نادر برفق محاولاً تهدئته..
- أسف.. أسف.. أسف.. أسف..

عاد يكررها ببكاء وشعور قاتل من الذنب يخنقه فيما انتبه نادر
لقصاصات الورق الممزقة أسفل قدمي فارس.. إنها الرسومات
الخاصة به.. هل ظن أنها سبب مرضه؟!!

- أخبرتك أنه ليس بخطأك فتوقف عن الاعتذار.

قالها بلطف أشد هذه المرة..

نظر إليه فارس كطفل مذنب والدموع تتابع من عينيه وهو
يمسحها بعجل:

- كل من أقبله يتأذى.. أنا شيء.. أنا كالسم.

امتقع وجه نادر فيما دفع فارس بكلماته المكسورة لتخرج
مرغمة:

- حين أحببت مايا رحلت.. وحين تصالحت مع لَمَى ماتت..
وحين لم يبقَ لوالديّ غيري أذيتهما.. و.. و.. أنت.. جعلتك
تغضب وتستاء مني فمرضيت.

وتناثرت دموعه على الغطاء وهتف بكاء:

- الجميع.. الجميع بدوني أفضل حالاً..

نبرته المرتجفة كانت كفيلة بجعل نادر يقلق فما بال تلك
الكلمات اليائسة!!

هل يوبخه؟!.. نعم عليه أن يوبخه، فما قاله فظيخ وقاتل..

ولكن..

« شكراً لأنك أنقذتني! »

تجمدت تلك الدموع بعيني فارس المتسعتين وكأنه لا يصدق
ما سمعه من نادر الذي مديده ليربث على رأسه متابعاً بابتسامة:

- لقد أخبرني أحمد أنك اتصلت به فجاء لعلاجي.. شكراً لك.. لم أكن لأكون أفضل حالاً بدونك بعد عناية الله..

ارتفع حاجبا فارس فقد فعل ذلك حقاً.. فيما مسح نادر على رأسه هامساً بنبرة متأثرة ممتنة:

- طوال حياتي لم يحاول حمايتي أحد.. ولكن صديقي الغبي يقول إنك حميتني منه.

اتسعت شفتا فارس بفرحة كادت تمزق قلبه الذي رفرف سعادة لا متداحة له.. فيما علت شفتي نادر ابتسامة دافئة شابها ندم:

- أسف.. أنا حقاً أسف.. كان ينبغي أن أهتم بعلاجك ولكنني جعلتُ بدلاً من ذلك ليلتك عصيبة.

عيناه الخزيتان ضايقتا فارس ولكنه لم يشعر إلا بذراع نادر التي أحاطت كتفيه ليستحبه نحوه مكرراً أسفه.. ودون توقف..

تدفقت الدموع مجدداً من عيني فارس على نادر ولكنها سروراً لكون نادر بخيراً ولم يكرهه..

« إنه كالأطفال تماماً.. ولكنه جعل نادر يعتذر.. بل ويكرر اعتذاره!!.. هو حتى لم يسخر من بكائه أو يوبخه!!.. »

تمتم بها أحمد بشبه صدمة وهو يفرك عينيه غير مصدق وكأنه يشهد معجزة..

دقائق ووقف الاثنان ليبدو القليل من التعب على نادر فهو لم

يستعد صبحته جيداً بعد، فعلا فجأة صوت طرقات خفيفة على
الحاجز جعل نادر يرمي برأسه فلا بد من أن أحمد قد أدرك تعبته..
فيما لا يزال ذلك الابتهاج يعلو وجه فارس وهو يشير للحاجز
هامساً:

- هل هو ذاك الأحمـد؟

- نعم:

أجابه نادر وهو يسحب حقيبة الإسعافات قبل أن تشده
خطوات فارس الراكضة نحو الحاجز وهو يقول بامتنان:

- شكراً.. شكراً.. شكراً لأنك عالجتـه.

- ألا ينبغي أن أشكره أنا؟

قالها نادر وهو يضحك لانفعاله وتحمسه ليعبس فارس فيما
تمتم أحمد من خلف الحاجز:

- وكأنك ستشكرني؟!!

سحب نادر ذراع فارس ليجلسه ثم بدأ بلف اللصقات على
جراح أصابعه وهو يقول ممازحاً:

- لقد قلت إن شكرك ثمين.. وإنك لم تقدمه لغيري أو لمايا.

- وهذا ما فعلته.. أنا أشكره لأنه أنت فقط.. لو كان غيرك لم
أكن لاهتم.. ولكن أنا سعيد جداً لأنك بخير ولا أريدك أن تُصاب
بأذى.

ارتخت ملامح نادر وبدا مصدوماً لقوله وازداد تأثره حين
التفت فارس للحاجز ليتمتم بهدوء وأدب:

- أسف لأنني كنتُ سيئاً معك.. وشكراً لأنك ساعدته.

« ذلك أجمل شكر وأسف تلقيتهما في حياتي. »

هتف بها أحمد وعيناه تكادان تقتلان متحجر القلب الذي لم
يمنحه مثله.. ولكن لحظة: ما كل ذلك التأثر في وجه نادر؟!..!!

راه يبتسم وهو يستمع لفارس الذي واصل ثرثرته مخبراً له بما
حدث منذ فقدانه للوعي وحتى إفاقته..

تهدل جفنًا أحمد وغشى عينيه حزن فثلك الابتسامة المستمعة
لا تذكره إلا بنادر قبل دخوله السجن..

- كيف عرفت رمز القفل بها تفني؟

سأل نادر باستغراب ليجيب فارس مفتخراً بنفسه:

- البارحة.. حين فتحت لي قد حفظته.

- يا لك من محتال.. لقد تظاهرت أمامي بأنك غير متنبه.. بل
وثمانية أرقام أي ذاكرة تملك؟!!

شقت وجه فارس ابتسامة متعجرفة لكونه خدعه فيما أغلق
نادر الحقيبة بعد أن أنهى علاجه ليقول متبرماً:

- أنا أسوأ من جليس أطفال دون أجر.. لم علي في كل مرة
علاج جراحك؟!!!

ثم تلقى فارس ضربة على رأسه جعلته يشهق ويضغط مكانها
بكلتا كفيه فيما رفع نادر: أحداً حاجبيه قائلاً:

- هل تظنني نسيت؟! .. أين هي أسناني الضخمة؟! .. ثم ما بال
ذاك الجو الغبي تحت النجوم وبعيون دامعة.. كان يفترض أن
ترسم به فتاة وليس أنا؟! ..

تجول أحمد لجدار إسمنتتي غير مستوعب هذا التبدل السريع
والمخيف، فيما علت ضحكات فارس النقية دون أن يُجيبه فقد
كان يستفزه فحسب بما رسمه..

وسرعان ما ارتفع رأس نادر لينظر له بنظرة فوقية متممة
باستخفاف:

- ثم هل ظنيت أن بضع رسومات منك قادرة على أذيتي؟! ..
ولا ألف من رسوماتك السخيفة قادرة على إيذائي فلا تغتر
بنفسك.

- ليست سخيفة.

- بل سخيفة.. هي مجرد ألوان على ورق.

- ولو كانت.. إنها تسمى فنًا.

- أي فن يظهرني بشكل سيئ هو هراء.

- كلا.. أنت فقط عديم الذوق فقد كانت جميلة.

- وذوقك أنت هابط إلى تحت الصفرة.

- ما كان عليّ إنقاذك؟!.

تمتم بها فارس بعبوس وبشفتين ممتدتين غيظاً فيما تضلّب
نادر وعلت ضحكات أحمد فهذا الفتى يتجه تدريجياً نحو وقاحة
نادر.

- هل أنت تمن عليّ الآن لأنك أنقذتني؟

صاح بها نادر غاضباً لينهض فارس ويتعد عنه وهو يضحك
مستفزاً له..

وبحق كان نادر يتمنى أن يضربه ولكن حركته المتحمسة
داخل الحجرة وصيحاته: «لقد أنقذتك»، «لقد أنقذتك»، «لقد
أنقذتك» بدت له وكأنه يعالج بها نفسه من فشله في إنقاذ أخته قبل
تسع سنوات..

رأى بعض الدموع تعلق بعينه وهو يواصل تكرارها وكأنه يريد
أن يسمع فرحته للعالم كله فابتسم نادر بدفء وتيقن أن فارس قد
تجاوز ما حدث في هذه الليلة..

بل وأفاده أكثر الآن وكأنه داوى جرحاً مفتوحاً بقلبه..

ومن خلال حديث الاثنين عما حدث أثناء غيابه عن الوعي..
علم نادر أن فارس قد تغلب على عقله المضطرب بالتدريج
فاستطاع رؤية نادر لأنه وثق به واستطاع بتفاصيل صغيرة كصوته
والساعة يميناه ورسمه المتواصل أن يفصل بينه وبين المجرم..
ولكن عقله لم يتقبل أحمد..

وما زال أثر الأقراص لم يظهر..

ولكن الجيد في الأمر أنه لم يؤذ أحمد.. أو يعامله بعنف..
والأفضل أنه حين فطن لكونه مغيقاً أمام علاجه أسرع لتغطية
عينيه حتى لا يفقد اتزانه.. وهذا كان بالنسبة لنادر تطوراً ملحوظاً
في علاجه ومشجعاً.

بل هو الآن وأمام عينيه وثق قليلاً بأحمد فصاح بأسفه لأنه
أخطأ عليه بسبب مرضه.. وشكره لأنه عالجه..

- سأرسمك وأنت فاقد للوعي ووجهك به تورمات..

صاح فارس فجأة مقاطعاً شروذ نادر وخطواته تسبق كلماته
ليأخذ الكراس ولكن لم ينتبه لنادر الذي اختطفه قبله ورفع
للأعلى صائحاً بسخط:

- أنت تحلم.

حاول فارس أخذه منه ولكن قصره مقارنةً به أعاقه.. ولاحظ
نادر ذلك ليضحك عليه ويقول ساخراً:

- كم أنت قصير..

قفز فارس محاولاً أخذ الكراس ولكن محاولاته كلها باءت
بالفشل فنادر مستمتع بحق بإغاضته فيما انتبه الاثنان فجأة للنافذة
التي أغلقت ليعلو وجه نادر إخراج شديد فقد نسي أن أحمد
يراقبه من خلف الحاجز.

رمى بالكراس لفارس واستغاد طبيعته الباردة والجامدة ليأمره:
- نظف حجرتك.. وارفع هذه المناشف المبللة فسيبها
سأضطر لتبديل ملابسني.. واكنس فوضى الأوراق الممزقة التي
أحدثتها.

طريقته الجادة جعلت فارس يُسرع لتنفيذ ما أمر به دون
نقاش.. وقبل أن يخرج رأى وقوف فارس ونظراته له الحزينة..
فتنهَّد بتعب قبل أن يمنحه هاتفه قائلاً:

- خذ احتفظ به لي.. والعب بتلك اللعبة لحين أقابل رفيقي
وأعود.

أوماً فارس بطاعة وهو يأخذ الهاتف بلهفة فيما غادر نادر
الحجرة ووقف خلف بابها ثواني غير مستعد لمقابلة أحمد بعد ما
رآه منه ولكن بحق.. لم هو يهتم برأيه؟!
سحب خطواته ودفع الباب ليدخل و..

«ماذا تفعل؟!»

صاح بها نادر مذهولاً.. فقد كان أحمد مديراً ظهره له ويديه
كوب ماء ينثر رذاذه في زوايا الحجرة..

تقدم نادر منه وقد اتسعت عيناه لمرأى شفثيه اللتين كانتا
تتمتمان بقراءة معينة قبل أن يلتفت له أحمد قائلاً بخفوت:
- أرقني المكان.. لقد أخبرتك أنه مسكون.

أظلم وجه نادر وشعر بخرج شديد فهو يهزأ به فيما ارتفعت
ضحكات أحمد وهو يشير للحاجز متابعا: ..

- أم علي أن أرشه هو؟! : فأنا بالكاد عرفتك وأنت برفقته.

- ارق نفسك فالشيطان لا يسكن إلا رأسك.

نطق بها نادر وهو يسحب الكوب من يده ليجرع محتواه قبل
أن يرمي بنفسه على الأريكة في إرهاب واضح متمما:

- لقد أديت واجبك.. وغالجت مريضك.. هيا ارحل.

- أنا لم أنته من علاجك بعد.

ارتفع حاجبا نادر وبدا مستغربا فيما أخرج أحمد قرصا من
خفيته ليمنحه له.. فالتقطه نادر سائلا:

- لم أأخذ مثله من قبل؟

- لأنني لم أكن طبيب في السابق.. كنت فقط تأخذ ما يخفف
عنك الأعراض وهذا س..

تجاهل نادر باقي حديثه وهو يتلعه ثم استرخى على الأريكة
ليرى عيني أحمد المسمرتين عليه:

- ماذا؟!!

- هل حدث ذلك في السجن؟!

سأل أحمد بحزن وهو يشير لصدره لينتبه نادر لأضرار قميصه

المفتوحة إلى النصف وقد كشفت بعض ندباته..

توترت ملامحه وراح يغلقها قائلاً بغضب:

- هل كان هناك حاجة للكشف عنه؟!

- وكيف سأعلم إن كان أصابك طفح جلدي من الحساسية!!.. ثم لا تُغير الموضوع.. ألهذا ترفض مشاركة أحد لك حجرتك حتى لا يرى ندباتك؟!!..

والتقى حاجباه بشدة مغضباً ومتألماً:

«لقد زرتك كثيراً في السجن.. لم لم تخبرني بأنهم يؤذونك!!..
كنتُ سأقدم شكوى؟!»

- كنتُ مرافقاً وقتها ولن يصدقك أحد.. كما أن رئيس السجنين قد يؤذيك.. وإذا ما بلغ الخبر لو الذي كانا سيتأذيان فقط ولن يكون بيدهما شيء ليفعلاه.

عض أحمد شفته السفلى بألم مرير فكل ما قاله صحيح ولكن.. هو حقاً لا يستحق أن يمر بكل هذا؟!.. بل وكيف احتمله؟!

- أسف لأنني لم أكن ذا نفع لك وقتها.

رمقه نادر بطرف عينه متعجباً منه لم يعتذر من أشياء فعلها آخرون له؟.. ولكن هل يدرك أن زيارته له ووجوده حوله دوماً قد ساعدته كثيراً!!..

وكان أحمد قد انتبه لذلك، فقد قال فجأة:

- مارأيك أن تقسم راتبك معي؟! أو تحجز لي حجرة هنا فانا
لا ألبث أن أجد نفسي عالقا معك أينما تكون؟!!

ابتسم نادر وتحدث بنبرة بطيئة خافتة:
- أجبني بصدق.. ذلك اليوم حين التقينا بالسوق.. هل كان
مصادفة أم أنك تعمدت ذلك ككل مرة ولحقت بي محاولاً
مراقبتي وردي لصوابي إذا ما تهور..
وثقل لسانه وتحرك جفناه عدة مرات ليرفع كفه ويقبض جانبي
رأسه:

- أحمد.. لم سقف الحجرة يدور؟!
حافظ أحمد على ابتسامته وهو يراه يغالب نفسه للاحتفاظ
بوعيه.. قبل أن تضيق عيننا نادر ويتمتم محققاً:
- ما ذاك القرص؟!
- سيجعلك ترتاح قليلاً.. فأنت مرهق للغاية وأعراض
الحساسية لم تزل بالكامل.. ويبدو أنك قد أهملت صحتك
ونومك خلال عنايتك بالفتى..
- تباً أحمد.. سأقتلك!..
قالها وهو يحاول النهوض ولكن الدوار ازداد وازداد ليرتخي
جفناه فقال جازعاً:
- ليس علي تركه.. أنت لا تعلم شيئاً.. قد يؤديه الم...

- أنا معه.. نم فقط فأنت لم تحظ بنوم كافٍ منذ وقت طويل.
مع آخر حروفه لاحظ عينية اللتين أغلقتا وجسده الذي
استرخى فوق الأريكة ودقائق فقط ليعلو صوت أنفاسه..
فيما التفت أحمد للحاجز ليرى فارس الساكن فوق السرير
يلعب بالهاتف.. عليه فقط أن يهتم به حتى ينام وبعدها سيغادر..
فالتقط هاتفه وبدأ باختيار رقم نادر..

« مرحباً. »

قاطعت هذه الرسالة فارس ليتبّه لاسم أحمد المدون ليقبى
محدثاً باستغراب بالحاجز ثواني قبل أن يردد:

« هل أنت أحمد الذي عالجت نادر؟! »

- نعم.. ولقد وصلني شكرك وأسفك.

- هل نادر بخير؟!.. هل سيأتي لحجرتي؟

- حسناً.. لقد جعلته ينام مرغماً لأنه مريض وهو غاضب

جداً لأنه وعدك بالعودة.

تجهّم وجه فارس وغلب عليه الاعتراض ليكمل أحمد

رسالته:

- حسناً سأوقظه ولكن مرضه سيزداد فقط.

دُعر فارس ليكتب: « لا.. لا!.. سأنتظره غداً »

« إنه متعلق بك بالفعل » تمتم بها أحمد وهو يحدّق بنادر

النائم.. ثم التفت ليرى ذاك الضيق بوجه فارس فكذب:

- المصحف والكتاب.. هل قرأتهما؟

- اللذين أحضرهما لي نادر؟!.. المصحف نعم أما الكتاب

فلا..

«أيها الوغد» همس بها أحمد فنادر نسب شراء المصحف

والكتاب لنفسه.. ثم اعتلى وجهه حبت وهو يكتب:

- فارس.. هل تريد رؤية صور لنادر؟

اعتدل فارس جالساً وبدأ الحماس بعينه وهو يومئ برأسه

للحاجز دون أن يكتب..

وتتابعت الصور ليضحك فارس ويستمتع بحق بصور نادر في

المدرسة بعمره نفسه.. بعضها بمفرده.. والبعض الآخر برفقة

أحمد.. وبعض مقاطع الفيديو لهما معاً..

- أنت صديقه بالفعل؟

- بالطبع ومنذ المرحلة الابتدائية..

- أسف لأنني لم أصدقك..

- لا بأس.. ما رأيك أن نلعب لعبة؟.. الكتاب الذي عندك

اقرأه واختبرني فيه وأنا أعدك سأجيب جميع الأسئلة..

- وإن خسرت أنت فماذا ستعطيني بالمقابل؟

قفزت ابتسامة باهتة لشفتي أحمد فنادر قد شرب له بعض

صفاته.. ثم كتب:

- أي ما تريد.

برقت عينا فارس بحماس كبير وسحب الكتاب ليقضيا تلك
الليلة متبادلين الرسائل ويبدو أن فاتورة شخص ما كانت في
صعود...

كانت الخامسة والنصف فجراً حين أفاق نادر من نومه ليستفض
جالساً.. تطلع فيما حوله ولم يكن هناك غيره..

- ذلك الواغد الوضيع القذر.. راجعاً لبي ربه

تمتم بها وهو يدفع الغطاء عن جسده ليسقطه أرضاً والتفت
للحاجز ليري فارس منبطحاً على سريرته نائماً وزأسه فوق
الكتاب وما زالت أصابعه تعانق هاتفه..

- أحمد أنت ميت..

قالها متوعداً وأغماقه، تغلي فقد كان يريد رؤية أثر الأقراص
على فارس.. ونومه بذاك الشكل جعله يُدرك أنه قد داهمه
خمولها وتعبها أثناء قراءته للكتاب.

انتبه لورقة مطوية فوق مكتبه ليسحبها ليجد خط أحمد فوقها:

(هل نمت جيداً؟!..)

هل أنت غاضب؟!..

حسناً.. قبل أن تُفكر بالانتقام.. لقد التقطت لك صورة وأنت
فاقد للوعي..

بظنك ما حجم الضرر الذي ستلحقه بوالديك إذا ما رأيا
وجهك المتورم؟! «
- سحقاً.

صاح بها نادر فقد حاصره أحمد بالفعل بل ووجد ما يبتزه به
لما تبقى من حياته.. «
(أظنك استسلمت الآن عن التفكير بالانتقام.. «
هاي أيها الغبي تناول وجباتك؟! ولا تُفرغ الفتى مجدداً،
فصنحته تعتمد على صنيحتك أيضاً.. كما أن تفاقم الحساسية سببه
أنك لم تكن بصحة جيدة... «
ولعلمك فقط فقد أخبرني الفتى أنك وعدته بأنك ستخرجه..
وأنا أقسم.. «

أقسم إن لم تشركني معك وتكشف عن خطتك فسأرسل هذه
الصورة لوالديك.. «
إنها المرة الأولى التي أكتب فيها خطاباً.. لذا لا أعلم بم يجب
أن أنهيه!! «

- بموتك أيها الوغد.

هتف بها نادر وذلك الخطاب يُسحق بين أصابعه..

فقد كانت لديه خطة لإخراج فارس.. ولكن لو تدخل أحمد
فسيجبره على تغييرها بالكامل..

تناهى لسمعه بغتة صوت خطوات في الخارج، فالتفت للحاجز
ليرى أسفل باب حجرة فارس ظلاً غريباً..

اتسعت عيناه لما فكر به.. واندفع ليخرج من باب الحجرة
المشتركة الذي كان مفتوحاً على مصراعيه.. ولكن لم يكد يصل
للممر حتى رآه فارغاً..

انتبه للمؤشر فوق المصعد الذي بدأ بالتناقص من الرقم سبعة
إلى الدور الأرضي..

« ذلك المجرم.. لقد كان هنا. »

هتف بها وهو يكبح نفسه عن اللحاق به عبر درجات السلم..
فستكون مجرد محاولة فاشلة منه فالمصعد أسرع ولن يلحق به..
تحرك ليقف أمام باب حجرة فارس وصدق حدسه كان هناك
محاولة عنيفة لفتح باب حجراته ولكن لعل إفاقته جعلت المجرم
يفشل..

تفقد نادر بنطاله على عجل ليجد مفاتيح الحجرة ما زالت
معه..

وانقبض قلبه واعتلى وجهه الهم فماذا لو لم يفق؟!!

ماذا كان سيفعل بفارس؟!!

الفصل الثاني عشر

٨ أغسطس

شهران مرا منذ بدأ نادر علاج فارس بالأقراص.. وبقي مثلها لينتهي علاجه اليومي ثم يشرع بتنفيذ وعده له بإخراجه من المستشفى، ولكن ذينك الشهرين لم يمرأ بتلك السهولة بالنسبة للآثنين..

فبمجرد اكتشاف فارس للأعراض الجانبية للدواء حتى أضيف لمسألة إصابته لجسده بالخمول والتعب رفضه لتناوله..

ففي اليوم الخامس من علاجه أُصيب بانقباضات لا إرادية لعضلاته صعبت عليه إمساك أقلام التلوين والرسم بها، وصحب ذلك حركات لا إرادية متكررة أصابت ساقيه اللتين كانتا تتحركان بشكل مفاجئ أو شفتيه اللتين تهزان رغماً عنه.. والأسوأ وجهه الذي كان يحدث به بعض الحركات والتعابير اللاإرادية والتي أصابته بالاستثناء والخرج إلى الحد الذي يجعله يلزم سريره طوال الليلة كي لا يرى نادر حركاته الغريبة والمخرجة..

وقد بين له نادر كونه المعالج المسئول عنه أن تلك الأعراض شيء طبيعي وعليه احتمالها ولكن ظل فارس على موقفه من عدم قبلها وختم يومه الخامس عشر برفض تناول الأقراص مما

اضطر نادر لدخول حجرته وإجباره عليها بحقنه بمحتويات
الدواء في الظهر متجاهلاً ألمه وصراخه..

ذلك التصرف العنيف من نادر جعل فارس يتجاهله ليومين
كاملين ولكن نادر لم يكثرث فحين وضع في رأسه هدف علاجه
لن يسمح لأي كان بإعاقة هدفه كما أنه لن يتنازل خشية غضبه أو
استيائه فهو يعمل ذلك لمصلحته أولاً وآخرًا..

وأفلح تصرف نادر ففي باقي الأيام تناول فارس الأقراص
خشية أن يكرر نادر فعله ذاك وكصلح من نادر سمح له بالقدوم
عدة مرات لحجرته..

وفي أول الشهر الثاني من العلاج تحقق ما كان نادر يخشاه حين
ظهر أحد أعراض الدواء السيئة لترتفع درجة حرارة فارس
ارتفاعاً مهولاً كاد يفقده حياته.. لولا لطف الله.. ثم انتباه نادر
الذي أسرع لتخفيفها حتى أنه اضطر لوضعه بحوض الاستحمام
الممتلئ بالمياه الباردة رغم صرخاته المعترضة الواهنة
والضعيفة..

وها قد حلت الليلة الأولى من الشهر الثالث للعلاج وأقصى
ما يخشاه نادر أن تفت تلك الأعراض الفظيعة من عزيمة فارس
ويتنازل عن رغبته بالشفاء أو الخروج..

« نصف ساعة وستجد سيارات الشرطة تقف أمام منزلك. »
رسالة موجزة حملت تهديداً صريحاً فوق شاشة هاتف نادر
قبل أن يضغط إبهامه زر إرسالها لزيد..

- ولنر الآن أيها الوغد كيف ستتصرف؟!

تمتم بها نادر وهو يتسّم ابتسامة خبيثة فقد مرّ منذُ بدء علاجه
لفارس شهران لم يرْدهُ خلالهما أي معلومة ولو واحدة ذات قيمة
من زيد بل ولم يرد على رسائله الأخيرة..

(كيف يجرؤ على تجاهلي!!)..

رددتها أعماقه حنقاً ويبدو أن غيظه من تجاهل زيد له كان أكثر
من كونه بسبب المعلومات التي تأخر بإحضارها..

تطلع نادر ببعض التعاطف إلى فارس الذي كان يجلس على
المقعد أمام منضدته الملتصقة بالحاجز وقد بان بوجهه التعب
والضيق ففي الليلة الماضية كاد ارتفاع حرارة جسده ينافس بشدته
تلك الليلة التي كادت تقتله الحمى فيها من شدتها..

تنهد نادر بتعب قبل أن يضغط المايك ليُلقي بأكثر الكلمات
التي يكره فارس سماعها:

- فارس.. بعد أن تتناول طعامك.. تناول الأقراص.

نظر فارس للحاجز بعيون مرتجة معترضة قبل أن ينحني على

الكراس ليخط عليه بعشوائية دون هدف.. هو فقط يتجاهل نادر لأنه لا يريد تناولها.. كما أنه لو طلب منه أن يتهاون معه ولو لليلة واحدة فسيرفض كباقي الليالي.. لذا فقد استمر في تجاهله..

- فارس.. لقد مر شهران وبقي فقط أقل منهما.. إن كنت تريد الخروج فعليك أن تصبر.

ضغطت أصابعه على القلم حتى كاد يكسره.. لم يضغط عليه دوماً بمسألة الخروج!!.. هو يريد أن يخرج حقاً.. ولكن.. لا يريد تلك الأعراض فحتى رؤيته لنادر أصبحت مشوشة ودائماً ما تؤلمه عيناه..

لقد حُرِمَ حتى من مرافقته له..
« سأسمح لك كما سمحتُ لك قبل يومين بالقدوم لحجرتي والتجول في الممر و... »

ولكن كل هذه المحفزات يبدو أنها لم تعد ذات نفع فقد انحنى أكثر مخفياً عينه على نادر واللتين غشاها البلب..

« شرائح برقر... »
لأرد..

احتقن وجه نادر غضباً وبقي يغالب غضبه ثواني قبل أن

يقول:

« سأعطيك الهاتف وراسل ذلك الوغد أحمد. »

رفع فارس وجهه لتظهر بهجته وحماسه فمئذ ذلك اليوم لم
يمنحه نادر الهاتف أبداً ودون أن يذكر له السبب..

ولكن سرعان ما تحطمت بهجته وارتجفت شفتاه ببؤس.. فما
الفائدة من الهاتف؟ فبمجرد تناوله للأقراص ستتسبب بانقباض
عضلاته ولن يستطيع التحكم بالهاتف ولا إرسال الرسائل.. بل
ومع الرؤية المشوشة لن يستمتع باستخدامه للهاتف!..

تلك الأقراص حرمة من الكثير..

وعندها.. عاد يحني رأسه أكثر متجاهلاً نادر..

ومتجاهلاً الطعام..

والأقراص..

ويبدو أن نادر أدرك فشل حيلته الأخيرة فتنهد بممل..

وتحمل لثوانٍ قبل أن تشتد ملامحه فقد استنفد كل المحفزات

ثم وقف و..

« حسناً.. أنا قادم. »

فزع كبير تفجر في وجه فارس وهو يرفع رأسه بسرعة بل نهض

ليسقط المقعد من خلفه. وتراجع خوفاً من أن يكرر نادر ما فعله

سابقاً معه عن طريق إجباره على تناول الدواء بغرس نصل حقنة

في ظهره..

وظل مرعوباً ومتوتراً ثواني قبل أن يتحرك ليجلس أمام مائدة

الطعام ويتناوله مرغماً والدموع تخط على وجنتيه..

كان مديراً ظهره له ولكن نادر لاحظ اهتزاز كتفيه.. « إنه يبكي..
تمتم بها في نفسه ولن يلومه فهو الآن واقع تحت ضغط هائل
ويفعل شيئاً لا يريدته ومجبوراً أيضاً..
« عمل جيد.. »

تمتم بها نادر مبتسماً.. وهو يراقب بحذر ودقة مسح فارس
لوجهه المحمر قبل أن يدير مقعده نحو الحاجز ليبتلع الأقراص
أمامه ثم ارتشف رشقات من قارورة مياهه..
ارتفع رنين هاتف نادر بغتة فالتفت نحوه ليرى اسم زيد
المدون على شاشته فابتسم بانتصار لعدم اكتمال نصف الساعة
فقد نجح تهديده..

أسرع يغلق المايك حتى لا يسمع فارس مكالمة فيما ألصق
الهاتف بأذنه قائلاً بسخرية: « هذه المرة لن أتركك تلهو
- سحيقاً.. كان التقرير في طريقه إلى المحقق الآن لولا
اتصالك.. كم هذا محبط.. »

- يا رجل.. ولو من أجل ذلك الرغيف الذي سرقته ورميت به
لك في زنانتك الانفرادية عاملني كرفيق ودعني أعش حياتي دون
رؤية شبحك المقيت حولي
- ذلك الرغيف لم أطلبه منك.. وأخفيت فيما طلبته منك فأني
امتنان تتظره مني؟

- لماذا لا تملك إلا رقمي من بين رفاق زنزانتنا الأربعة؟!

- لأنك الوحيد الذي يمكنني أن أمارس الضغط عليه..

قالها صادقاً ليتجههم وجه زيد وينفث أنفاساً حارقة..

- والآن.. ما كل هذا التأخير؟! لقد مر ما يقرب عشرة أيام

على آخر مهلة منحتها لك؟

- هذا بسبب أنني حرصت على جعل المعلومات الأخيرة

كاملة ومفيدة حتى لا تحتاجني مجدداً ولنقطع حبل تواصلنا..

ونتهي هذه العلاقة المش..

- تَبَّأ.. كف عن ثرثرتك الفارغة.. ثم ما بال هذه الليلة

العاطفية!!.. أنت تصرخ بالانفصال عني.. وآخرون يتجاهلونني

بالكلية.

تمتم بها بانزعاج وهو يحدق بفارس الذي ألقى بنفسه على

السريير حاشراً وجهه في الوسادة محاولاً النوم قبل مداهمة

الأعراض له..

وفجأة سمع همهمة غريبة من الهاتف جعلت حاجبيه يتعقدان

فهو ليس صوت زيد قبل أن يكتشي صوت زيد بضحكة متهمكة

خافتة ثم أجاب:

- حسناً.. حسناً.. لا تعصب.. من خلال بحثي وجدت أن

السيد راكان عبد السلام وزوجته انتقلا للعيش في بريطانيا بعد

مقتل طفليهما لَمْ ي... والمهم في الأمر أن زوجته السيدة فاتن قد كان لها زوج يسبق راكان اسمه أمجد بسّام ثروت.

- سحقاً.. هو أخ لفاضل؟

صاح نادر مذهولاً فهو لم يتوقع ذلك إطلاقاً..

- نعم.. وأمجد هذا لديه ابنة اسمها مايا أمجد بسّام ثروت.

- إذاً فمايا أخت لفارس غير شقيقة؟!

- هذا ما اعتقدته.. وتلك الصورة التي أرسلتها لي تطابقها

تماماً ولكنها تبدو بالرسم أصغر سنّاً فبحثت عن صور شخصية قديمة لها وتيقنتُ بأنها هي نفسها تلك الفتاة.

ظل نادر صامتاً وهو يربط بين المعلومات الجديدة والسابقة..

قبل أن يسأل زيد فجأة باهتمام:

- لماذا يمنح بسّام ثروت أمواله لفارس بدلاً من حفيده؟!

- هذا ما استنكرته أنا أيضاً.. لا أعلم صلة فارس بجد أخته

مايا!!.. ولكن قد يفيدك ما سأخبرك به الآن.. فأوجد في سن

الثامنة عشرة غادر منزل والده بل طُرد منه بعد أن صرح برغبته

بخطبة فاتن بالرغم من رفض والده..

- سن الثامنة عشرة؟!.. إنه نفسه السن الذي سيمنح فيه بسّام

ثروته لفارس!!

تمتم بها نادر مستنكراً وكأنه قد خطر له خاطر لم يتقبله عقله

بعد.. فيما تابع زيد دون أن يفهم ما يرمي إليه:

- لقد سمعت أن أمجد قد قضى وقتاً عصياً من أجل الحصول على المال بعد الرفاهية التي عاشها بمنزل والده حتى أنه لم يستطع إتمام دراسته الجامعية فترك تعليمه وتزوج من فاتن.. ومن ثم انضم لعصابة طائشة عاشت لعدة سنوات على سرقة أموال والده.. ويبدو أن والده قد نفذ صبره فقدم بلاغاً عنه ورمى به في السجن ليؤدبه ولكن الشاب مات إثر وباء معد في السجن.

- تَبَّأ.. هل ذلك العجوز يُريد أن يُكفر عن خطئه بحق ابنه بمنح فارس في سن الثامنة عشرة كل أمواله؟!
- ولكنه ليس حفيده؟!

- لم يكن بسّام ليمنح فارس أمواله لو لم يكن حفيده..؟!!

ثم صمت ثواني مفكراً قبل أن يسرع لسؤاله:
- هل يوجد بالسجل تاريخ مولد فارس؟! وتاريخ زواج فاتن براكان؟!

سمع تغليب زيد لبعض الأوراق قبل أن ينطق بذهول:
- أنت محق.. تاريخ ولادة فارس يسبق زواج فاتن من راكان

بشهر..

ابتسم نادر لتيقنه من صحة تخمينه.. ولكن.. لم نسب راكان فارس إلى نفسه!!؟

وكيف تقبل بسام نسبة حفيده إلى عائلة غير عائلته؟
الكثير والكثير من الأسئلة عادت تعصف برأس نادر دون
إجابة..

ولكن أهمها الآن وأكثرها.. هل يعلم فارس؟!
والتفت لينظر لفارس الذي غطى نفسه بالغطاء ويبدو أن تلك
الأعراض قد بدأت معه ليطمئن يا شقيق:
- الفتى لا أظنه يعلم بأمر والده الحقيقي بل وذاك الرجل
فاضل لعل فارس ناداه بعمه لأن مايا أخته كانت تناديه بذلك.
- كنت سأتحقق أكثر ولكنك لم تتميز بالصبر وأخذت تهددني
بالشرطة..

ثم احتد صوته:

- بربك نادر ألا يكفيك ابتزازاً لي؟!

انتبه نادر من شروده لسؤال زيد الضجر وكاد يرد حين سمع
همهمة مجدداً تبعها صياح زيد بضجر كالمرغم:

- نادر.. اسمع.. فاضل الذي سألتني عنه لديه حارسان
أحدهما اسمه إياد وقد قُتل قبل أيام.. كن حذراً فما تقحم نفسك
فيه خطير للغاية.

- كنتُ أعلم أيها التعس أن مثل هذه المعلومات لم تكن
لتحصل عليها من جهازك الإلكتروني.. وما كنت لتحذرني أصلاً..

ثم تغيرت نبرته وهو يسأل:

- هل حاتم معك الآن؟

سمع شهقة مرعوبة من زيد فيما علا صوت شخص آخر قائلاً

بمرح:

- مرحباً يا زعيم.

ازداد انعقاد حاجبي نادر لصوت حاتم فأسوأ ما قد يحدث هو
أن يتدخل حاتم فهو ليس حذراً كزيد.. فيما اندفع حاتم يسأله
متفاخراً بنفسه:

- ما رأيك يا زعيم بكم المعلومات التي أحضرتها لك؟!

- سأقتلك لو فطن شخص واحد من رجال فاضل إلى أنك

تقصي عنه.

علت ضحكاته العابثة قبل أن ينطق:

- ليس عليك أن تقلق.. لقد كنت ذكياً للغاية وارتديت زي

شرطة وأنا أتجول وأسأل عما تريده.

- أيها الغبي المعتوه.. أخبر زيد أنه سيتحمل المسؤولية كاملة.

صرخ زيد مستنكراً مذعوراً: ..

- وما شأني أنا؟!.. لقد كان موجوداً حين هاتفتني والتقط

الاسم وذهب بإرادته دون استشارتي.

- وبقيت صامتاً كالأحمق دون أن تخبرني.

حمل صوت زيد نبوة موحية مثلهجة وهو يجيب:

- أردت فقط جعل المعلومات مستوفاة كاملة لهذا صمت حين علمت أنه يبحث لأنني إن أخبرتك مستهمني بعدم حفظ مدرك واستبغ عني.. ولأنني أيضاً أريد الخلاص منك.
- لا تباك كالفتيات.. كم أنت شير للاشمئزاز.

تلك العبارة كان سينطقها نادر ولكن حاتم سبقه بنطقها وهو ياتقط الهاتف ليكمل:

- يا زعيم.. ألم تشتق إلي؟!..
- لو كان لدي قلب يشاق لمثلك لقتله مسبقاً.
- ترددت ضحكات حاتم قبل أن يسمعه يصرخ:
- تميم.. أسرع إنه الزعيم.. هو يعنفني ويشتمني كالسابق.
- سحقاً حاتم.

صرخ بها نادر وهو يسمع صدى خطوات ثقيلة تقترب من الهاتف قبل أن يتحدث صاحبها بصوته الضخم:

- زعيم.. عنفني أنا أيضاً.

تعالى ضحكاتهم حتى أن نادر ابتسم رغمًا عنه قبل أن يسمع صوت تميم قائلاً بعتب:

- لماذا منعت زيد من أن يعطيني رقم هاتفك؟! ولماذا ترفض مقابلتنا؟!.. لقد خرجت من السجن قبلنا وقد مرت ثمان

سنوات .. أنا أريد لقاءك.

كلماته .. ضحكاتهم .. أصواتهم .. شجارهم .. ذكرته بالسنة
ونصف السنة التي قضياها معهم في زنزانة واحدة ..

واستعداد فجأة روح تلك الأيام ليصيب ساخرًا:

- لقد أصبحت الآن أخصائيًا نفسيًا بأحد أرقى
المستشفيات .. ولا ينبغي لعضو نافع في المجتمع مثلي مرافقة
مجرمين مثلكم.

شهق تميم فيما ذك زيد بقبضته شيئًا ما والوحيد الذي نطق
بتهمته نفسه حاتم:

- حقًا؟! .. وكأن جرائمنا تفوق جريمتك شناعة .. أنا لستُ

سوى مخادع أخدع النساء المسنات وأعيش على ما يمنحني من

أموالهن .. وزيد مجرد سارق يعيث على جهاز لוחي .. أما تميم

الغبي فقد وُجد في المكان الخاطيء في وقت خاطيء ليُحمل مع

مروجي مخدرات .. وأنت يا زعيم كدت تزهق نفسك .. تقتل

بشرًا .. والآن تتفاخر علينا بكونك نافعًا في المجتمع!

زادت ابتسامة نادر اتساعًا وهو يجيبه:

- في السجن حيث ليس إلا المجرمون كُنْتُ الزعيم عليكم بما

اقترفته من سوء .. والآن خارج السجن حيث الخيار أنا الأفضل

بينكم أيضًا .. فهل تنكر ذلك؟! ..

ضحك تميم فيما صمت زيد ونطق حاتم غاضباً:

- أنت تجد رداً دوماً.

وثوانٍ من الصمت قبل أن يقول نادر بهدوء:

- هل جميعكم بخير؟

صمت حلّ على الثلاثة قبل أن يعلو وجوههم التأثر.. ذلك السؤال أسعد قلوبهم وكأنهم لمسوا اهتماماً منه بهم.. فراح الواحد تلو الآخر يحكي له ما حدث بعد خروجهم من السجن وهو يستمع لهم في صمت فقد كانوا يوماً ما كل ما يملك..

- زعيم أريد رؤية هذا الفتى الذي تتقصى عنه؟! هل يملك ورثاً كبيراً؟!.. أشركنا معك.. فأنا أريد شراء سيارة جديدة.

قالها حاتم بحماس ليغيب نادر فروجهم الإجرامية قد استيقظت وهم يريدون الاستيلاء على أموال الفتى..

- زعيم وأنا رهن إشارتك.

صرخ بها تميم ليبعد نادر الهاتف عن أذنه فقد كاد يصيبه بالصمم فيما سمع سباب زيد الساخط وأنه لا شأن له بهم إلا إن منحه نادر مالاً مجزياً..

وارتفع بغتة صوت رعد صارخ فانتبه نادر لحجرة فارس التي كانت تلتهم بأضواء برق ما بين لحظة وأخرى فأسرع ليضغط الزر مغلقاً النافذة، ثم دقق النظر به ليراه يرتجف من أسفل الغطاء..

هي تذكره بتلك الليلة العصبية .. ليلة مقتل أخته ..

سمع عبر الهاتف صياح الثلاثة وحديثهم المتداخل ومنع ذلك ..

- وداعاً.

نطقها ببرود وهو يغلق الخط فقد حصل على المعلومات وانتهى الأمر ..

تلك المعلومات كانت أكثر من كافية بالنسبة له ولكنها لم تزده إلا قلقاً فبأي شخص من أسرة فارس قد يتصل بعد إخراجة ..
فوالده ليس والده الحقيقي ..

وأمه له معها قصة لا يعرفها ولا يستطيع أن يثق بها ..
ومايا ابنة أمجد، وجدها بسام قد منح أخاها الصغير أمواله بدلاً منها وهذا قد يشير الضغينة في نفسها وقد يكون هذا سبب زيارتها لعمها فاضل ..

زفر محنقاً قبل أن يقف أمام الحاجر لينظر لفارس المسجى بالغطاء .. وظل متردداً ثواني صارع فيها نفسه قبل أن يسحب كيساً من فوق الطاولة فمن الأفضل عدم تركه بمفرده ..

تحرك مغادراً حجرته ثم أقفلها جيداً ليتجه لحجرة فارس ثم وقف أمام بابها مطولاً وعقله يفكر فمئذ تلك الليلة لم يجرؤ أحد على الاقتراب من حجرة فارس ..

فقط عندما أصيب بمرض الحساسية تجرأ المجرم واقترب
من فارس..

وفي نوبته بالتحديد..

« ذلك ليس مصادفة. »

تمتم بها نادر بثقة.. ولعل أفضل ما تلقاه من إصابته بالحساسية
تنازل ياسر له عن النوبة المسائية لما تبقى من أشهر تكفيراً عن
خطئه بحقه، ولكن ذلك لم يشف غليله منه.. «الوغد».. تمتم بها
وكفاه تدفعان باب حجرة فارس ليدخل.. وأغلق الباب خلفه و..
ابتسم مرغماً وهو يراه يرفع طرف الغطاء ليظهر وجهه
المحمر المشرق سعادةً لقدوم نادر إلى حجرته، ومع ذلك ظل
مختبئاً أسفل الغطاء ونادر يتحرك ليغلق ستائر النافذة، ثم سحب
مقعداً وجعله في مواجهة سريره ومد بالكيس قائلاً:

- هل تريد منها؟

وعلى الرغم من محاولة فارس الاستمرار بتجاهله لأنه أجبره
على تناول الأقراص إلا أنه لم يقاوم رغبته بالجلوس وأخذ
الكيس منه..

وبمجرد فتحه له حتى اتسعت عيناه سعادةً لمرأى قطع
الحلوى والشوكولا.. فأخر مرة قد حصل عليها في منزله قبل تسع
سنوات.

راح يجربها الواحدة تلو الأخرى بنهم أمام نادر الذي لم يعد
يدري ما الذي لن يسعده!!! فهو يفاجئه دوماً بفرحته بمثل هذه
الأشياء الصغيرة..

امتدت يد نادر ليأخذ واحدة ولكنه فوجئ بإبعاد فارس للكيس
بعيداً عنه..

- هاي.. لا تكن بخيلاً فأنا من أحضرتها لك.

- لا.

قالها بعناد وهو يسحب نفسه للطرف الآخر من السرير.

- يا لك من طفل أناني.. عليك أن تشارك أشياءك مع الآخرين

كي يتقبلوك.

تمتم بها وهو يغالب نفسه.. (عليه أن يعلمه ولكنه هو نفسه لا

يفعل ذلك).

- ليس حين تضرهم.

تمتم بها فارس والشو كولا تلطخ شفثيه ثم التفت مضيقاً

بحدة..

- أحمد أخبرني أنك مرضت ذلك اليوم لأنك تناولت منها.

ارتفع أحد حاجبي نادر فهو يحاول حمايته إذا.. وجد نفسه

يضحك لتفكيره فيما ابتسم فارس وهو يواصل أكلها و.. دوى

رعد قوي جعله يصرخ ويسقطها وهو يقفز إلى طرف السرير

المجاور لنادر.

كانت كفاه ترتجفان وعيناه متسعَتين ووجهه اعتلاه فرع كبير
وهو يتكوم على نفسه أكثر في جلسته.
« أنا.. أنا خائف. »

تمتم بها وهو ينظر لنادر الذي ظل هادئاً قبل أن يسأله:
- خائف من ماذا؟!

مسح فارس شفّتيه وعاد يللمم الحلويات ليعيدها للكيس
ونادر يكرّر سؤاله:

- فارس.. خائف من ماذا؟!

بدا وكأنه يغالب نفسه وهو يرتب تلك الفوضى ثم ابتكأ بظهره
على قائم السرير من الخلف وسحب ركبتيه ليضمهما إلى صدره
وهو ينظر له بطرف عينه المحمر مجيباً:

- خائف من ذلك الرجل.. لقد مر أكثر من شهرين دون أن
يأتي لجبرتي أو يجعلني أرى الضور أو... أو...

ولمس جانبه الأيسر وقد تفجر قلق كبير بعينه « أو يضربني. »

شحب وجه نادر وأطلق ما فكر فيه في صورة سؤال مستهجن:

- هل له وقت محدد يأتيك فيه؟

- كل عشرة أيام مرة.

قالها فارس وهو يزيد من ضيم ركبته قبل أن يعلو رعد آخر
جعله يشهق ويغوص برأسه بين ركبته ..

فيما انقبضت أصابع نادر وعلا وجهه غضب هادر .. فأى
إجرام أشد من إجرام أن يعلم الضحية متى سيأتي المجرم لإيذائه
دون أن يكون بيده شيء لردعه ..

بل ولتكرار هذا العذاب لتسع سنوات أصبح فارس يعدُّ الأيام
ويعلم متى سيأتي لزيارته وإيذائه ..
رفع فارس فجأة رأسه وأشار للنافذة وتمتم ووجهه يشحب
خوفاً:

- يأتي في الأغلب حين يكون الجو عاصفًا.

والتفت نحوه « لهذا أنا سعيد لأنك هنا معي الآن. »

قالها وابتسم وعيناه الزرقاوان الممتتان تجوبان في عيني نادر
اللتين استحالتا كتلاً من حمم حارقة .. فبغض فارس وخوفه من
الجو العاصف لا يرتبطان فقط بمقتل أخته بل وذاك الوغد يحيي
تلك الجريمة ويذكره بها في مثل هذه الأجواء متعمداً ..

عاد فارس يلتهم من الكيس وكأن شيئاً من الراحة والأمان عاد
إليه بوجود نادر ولكن لم يلبث أن عبس حين سجب نادر من تلك
الحلويات فصرخ:

- ستؤذيك.

- أنت هنا.. إن آذنتني فاتصل بذلك الوغد.
تمتم نادر وهو يقذف بها في فمه فيما لا يزال وجه فارس يعلوه
القلق فزفر قائلاً:

- ليس هي ما يؤذيني.. لقد اشتريتها بنفسلي وقد قرأت
محتواها.. لا يوجد بها أي نكهة للحمضيات.
واستغرب كيف أقنعت كلماته فارس الذي ضحك سعادة
وزال قلقه ليضع الكيس بينهما ثم قال:
- حسناً.. خذ منها إذاً.

ظل نادر يتأمله ثواني قبل أن يقول بحذر:
- أخبرني عن والديك.. عن مايا.. عن جدك.
ابتسم فارس وهو يومئ برأسه وكأن سؤاله قد أسعده وانطلق
متحدثاً بحماس:

- أبي شخص طيب للغاية يحب الأكل كثيراً ومايا صارمة
ودائماً ما تنتهره على ذلك.. وأبي يأخذ أحياناً حلوى ويخبئها في
مكتبه ثم يعطيني منها وهي توبخه.. أخذني مرة مع مايا للجبال
وهو من اصطحبني للمدرسة أول مرة مع مايا وعلمني صيد
الأسماك و.. و..

وتراوح حديثه المحب ما بين والده ومايا قبل أن يقاطعه نادر:
- وأمالك؟! -

حلّ الصمت ووجه فارس يعلوه الضيق وبعض الانزعاج
وكأنه لا يريد التذكر...

- جدي لأبي ميت.. وجدي لأمي ميت فمن كنت تقصد
بسؤالك؟!!

علم نادر أنه يتهرب من الحديث عن أمه بسؤاله المفاجئ
فحرك نادر رأسه متفهماً قبل أن يقول بهدوء:
- جدك؟! بسام ثروت؟

تباعد حاجبا فارس وظل مذهولاً للحظة قبل أن يتحدث:
- هو ليس جدي؟!.. هو جد أختي مايا وأنا فقط ناديت جدي لأنه
جد مايا.. وذلك الرجل فاضل.. هو ليس عمي.. ولكن منذُ كنتُ
صغيراً كان كثيراً ما يزور منزلنا من أجل مايا لذا ناديت بهمي مثلها.
صدم نادر وانفجرت شفاته فعلى الرغم من شكه بذلك..
ولكن تيقنه الآن من أن فارس لا يعلم أنهم أسبرته الحقيقية، بل
وحديثه حول والده راكان بكل ذاك الحب الصادق..
كيف ستكون صدمته لو علم أنه ليس والده الحقيقي؟!
وأن والده مجرم قضى نفيه في السجن؟!
أطل من عيني نادر إشفاق كبير فإلى أي حد قد عبثوا بحياة هذا
الفتى..

- نادر..

انتبه من شروده على مناداة فارس وضجكه وهو يصيح:

- أربع مرات ناديتك.. والخامسة لو لم تجب كنت سأضعك

- هذا الحسن حظك فلو فعلتها لكسرت يدك.

تمتم بها نادر مهدداً ولكن لم يبدُ على فارس الخوف وهو

يقول متحذياً:

- كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ مَايَا نَنْظُرُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ وَمَنْ يَرْمِشُ أَوَّلًا

يصفعه الآخر.

- اختك ذات أفكار متجنونة عنيقة.

تمت بها نادر متقزراً فيما علت أضحكات فارس وهو يسأله:

- هل نلعبها؟! ربيعه ينادي .

- حين كنت تلعبها مع مايا من كان يتلقى الصفعات؟

— أنا.

قالها فارس بحزن ليضحك نادر وهو يستعد قائلًا:

- ويبدو أن حاضرك سيئ كماضيك .. لا بأس .. فلنبداً إذاً.

لَمْ هُوَ يَفْعَلْ ذَلِكَ؟! .. لَا يَعْلَمُ.. لَمْ هُوَ يَجِيبُ طَلْبَاتِهِ

الغريبة؟!.. أيضاً لا يعلم.. ولكن الحقيقة هو مستمتع.. مستمتع

بالفعل برفقته ومغالبة جنونه الطفولي أحياناً.. وحديثه وتصرفاته

كالكبار في أحيانٍ أخرى..

وهذا ما حدث حين مرت خمس دقائق وفارس يفرك وجنته
اليمنى وابتسامة باهتة ترتجف فوق شفثيه قائلاً:

- عليّ أن أتحمّل كالكبار.

ظل يرددّها وعيناه تغالبان مياهما قبل أن يلکم بضغف كتف
نادر صارخاً بألم:

- إنها تؤلم... تؤلم... تؤلم!

تراجع نادر للخلف وظل يضحك وهو يقول:

- إنها صفة واحدة فقط وأنت من أصررت عليّ تلقينها رغم
رفضي ثم إنك لم تعد صغيراً.. فهكذا يلعب البالغون وعليك
حين تقول كلمة أن تتحمّل مسؤوليتها.

- ولكني مريضك.. كان عليك أن تخففها قليلاً.

- بحق.. هذه أخف صفة فعلتها في حياتي.

شحب وجه فارس وبدا عليه الخوف فإذا كانت هذه أخفّها
فكيف إذا أشدها!!

- حسناً.. لقد زالت العاصفة ولدي بعض العمل س..

كان ينهض حين شعر بكف فارس تتعلّق بذراعه لينظر له
مندهشاً فيما تمتّ فارس فجأة ببؤس:

- هل.. هل سأتحسن حقاً؟!

- كل شخص يتلقّى العلاج سيّتحسن بإذن الله ولكن إن بقيت

خائفاً من أن العلاج لن ينفع مع مرضك فسترفض الأقراص مثل الليلة وما سبقها من ليالٍ لذا فلتتوقف عن خوفك.

ترك فارس ذراعه فيما عاد نادر ليجلس حين لاحظ أنه يعاني أكثر مما اعتقد فقد نطق فجأة بنبرة مرتجفة:

- أنا خائف.. خائف أيضاً من الخروج.

- لماذا؟! أليس هذا ما رغبت به طوال ثماني سنوات!!

- خائف عند خروجي أن لا تقبلني أسرتي.. أن يبغضوني.. أن يرفضوني لأني مريض وأكون كالعبء عليهم..

اتسعت عيناً نادر لتفكير فارس فقد بدا له متزنًا بل وتفكيره بالمستقبل يتناسب مع عمره.. ولكن إن استمر هكذا فقد يدمر معنويات نفسه..

وقبل أن يمنعه من المواصلة كان قد قال وجفناه يرتحيان حزناً:

- خائف أيضاً أنه عند خروجي وتقبل أسرتي لي أن تتركني.

وأدار عينيه اللامعتين وقد احمرت وجنتاه وهو يسأله متوسلاً:

- هل.. هل تكون طبيبي الخاص؟

لم ينطق نادر واستعجبت عليه الكلمات ففي حياته لم يتخيل أن يتلقى مثل هذا الطلب.. ومضت تلك الليلة دون أن يجيب.. فقط أخبره أنه سيتلقى رده وقراره حين يخرج من المستشفى..

فقد سألهم فلم يعلم أيضاً ماضي نادر والذي لو علمه شخص واحد
محب لفارس من أسرته فلن يسمح له حتى بالاقتراب منه،
ولكنه لم يضيع ذلك الطلب هباءً فقد اشترط للرد عليه التزام
فارس بالدواء لما تبقى من الليالي دون نقاش..

ويبدو أن هذه الليلة قد تبعها الكثير من ليالي السمر الممتعة..

٢١ سبتمبر

تحركت زوايا شفتي نادر بابتسامة واسعة وهو يقرأ عبر شاشة
حاسوبه الشخصي ذلك التفاعل المتحمس من البرفسور حول
نتائج علاج فارس أتبعه بتوسله اليأس له أن يكشف له عن هويته
وهوية مريضه كي يشرف على العلاج بنفسه.. وتذمر عن كون
أستاذ نادر الجامعي شديد التحفظ حول أي معلومات عنه إلا أن
وعده له بأن يذكر اسمه يوماً ما بإشرافه على العلاج يحفزه
للاستمرار بمساعدته..

« يسعدني أن أكون درساً جيداً لمحب تميز وظهور مثلك. »
تمتم بها بوقاحة وهو يغلق الحاسوب كي ينقل ذاك الخبر لفارس.

« لا أقراص الليلة. »

هل ما يسمعه صحيح؟!..

سقط الكتاب من بين يدي فارس وقفز من أمام النافذة ليلتصق بالحاجز وقد حمل وجهه تعبيراً غير مصدق انتقل لنادر الذي كان يقف بمواجهته من الجانب الآخر والذي ضحك من تعبيره المندهشة..

« نعم لا أقرص الليلة. »

كان سيصرخ سعادة ولكن لحظة: هو ليس متيقناً تماماً.. فلم تكتمل الأربعة الأشهر ونادر ليس من النوع المتساهل معه..

فتح شفتيه سينطق ولكنه يخشى أن يغير نادر رأيه.. ولكن لم يلبث أن ضغط على نفسه ليسأل بوجل:

- إنه اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع.. ليس وكأني أريد

تناولها ولكن لم فجد..

كلماته المتوترة المتعثرة قوطعت من نادر حين قال موضحاً:

- لقد ظهر أثرها عليك.. وإذا ما استمرت أكثر فقد يدمنها

جسدك.. ولذا سيكون تناولها كل عدة أيام مرة واحدة.. وبعدها

كل أسبوع مرة إلى أن نوقفها تماماً.

هنا أضيء المؤشر الأخضر لفارس ليصرخ سعادة ويقفز.. لقد

حصل أخيراً على ليلة سيفند فيها كل رغباته بعد زمن طويل من

الحرمان..

ملأت السعادة قلبه وiban الحماس بذراعيه الممتدتين للأعلى

قبل أن يركض ليقف أمام الحاجز باسطاً كفه اليمنى وراح يعد

أصابه تتاليًا وهو يقول بوسع فمه:

- الليلة.. الليلة ستأخذني لحجرتك.. وسبأ تذوق تلك القهوة التي تأتي بها إلى حجرتي دون أن تسمح لي بالشرب منها.. وأريد عشاء برقر.. وهاتفك ستعطيني إياه وسأرسل لأحمد.

كان يتحدث في الوقت الذي راح فيه وجه نادر يمتنع ويظلم تدريجيًا ويبدو أنه مع الأخيرة لم يحتمل أكثر ليتمتم:

- لقد أخطأت.. يوجد أقراص لليلة.

.. هذه العبارة اللئيمة حطمت تلك الفرحة بأكملها لتتهتر شفتا

فارس ويشحب وجهه فأسرع يقول:

- كُنْتُ أمزح.. أمزح..

لم يذهب ذلك الانزعاج من وجه فارس.. فحتى لو كان يمزح فليس عليه أن يكون بهذا اللؤم القاتل للمتعة والفرح!!

- حسنا.. كل ما طلبته سأنفذه.

تأنك العينان الحزيتان ما زالتا كما هما وشفثاه تتمتمان بأسى:

- كُنْتُ سأطلب منك أن تأخذ صورة معًا في الهاتف.. ولكن!

ولكن..

- قلت لك.. لا بأس.. لا بأس..

تمتم نادر بسرعة فصرخ فارس بسعادة..

ولكن لحظة!.. ما كان طلبه الأخير!.. تبًا ليس وكأنه سيفعل

ذلك معه ..

وأراد أن ينطق برفضه ولكن فارس واصل صيححاته السعيدة وهو ينطلق لحزائنه ليستحجم ويتهياً للتصوير ..

وفي أعماقه شعر نادر أن فارس بحزنه المبالغ فيه كان يخدعه فقط للحصول على هذا الطلب بالذات ..

تأمل وجه فارس وهو ما بين ثوان وأخرى ينظر للحاجز مبتسماً له .. كانت خصلات شعره ملتصقة بوجهه إثر تعرقة الزائد نتيجة الأقراص .. بل ولا يزال يظهر عليه بعض خمولها وتعبها ..

- ستزول خلال الأيام القادمة إن شاء الله ..

همس بها نادر وهو يأخذ هاتفه وأجرى عدة اتصالات ثم أغلقه

قائلاً:

- بعد أن تجري هذا الاختبار يمكنك ممارسة متعك ولهوك

كما تشاء ..

عشر دقائق أخذ من فارس الاستحمام، خرج مرادياً رداء رياضياً أصفر بقلنسوة قد تدلى خيطاها الأزرقان فوق صدره ومن أسفله بنطال جينز .. فيما ارتفعت أصابعه ترتب فوضى شعره الفاجم ليشكله بشكل جميل ومناسب للتصوير ..

وكان بخضم شغله حين ارتطمت عيناه بمرأى نادر في حجرته يحمل وسادتين وضعهما أسفل غطاءه مشكلاً لهما بهيئة شخص

نائم.

تراجع فارس للخلف وبدأ الاستهجان في عينيه.. فإن كانت لعبة جديدة فهو لا يريد لعبها.. فيما انتبه نادر لخروجه ليتمتم بهدوء:

- هل انتهيت؟!

لم يجب فارس ولا حظ نادر تراجعته وتحديقه بالسرير.. ما الذي يفكر به؟! هو لا يعلم.. ولكنه يبدو خائفاً..

- ما بك؟! ..

- لسنا صغاراً للعبها.. ثم إنها للفتيات.. وأنا لست فتاة..

وعبس بوجهه:

- وأنت أكبر من أن تلعب سخافة مثلها.. أو تصدقها.

مجدداً لم يفهم ما فكر به ولكنه شعر بأن تفكيره يحمل شيئاً يشين لكبريائه فأظلم وجهه واتجه نحوه:

- أيُّ سخف تفكر به الآن؟!!

نظرات نادر المحتدة وذراعه المعقودتان أمام صدره جعلته يرتبك وهو يسأله:

- أليست تلك اللعبة القديمة؟!.. كانت تلعبها مايا معي أنا ولَمَي.. نضع شيئاً أسفل الغطاء وننتظر إن كان سيأتي ذاك الذي تسميه.. لا أعلم ما هو!!.. الذي يضغط على الناس وقت نومهم

ويخنفهم.. اسمه.. اسمه.. آه نعم.. الجاثوم.

ارتسمت نصيف ابتسامة باهتة على شفتي نادر وشعر
بقشعريرة.. فأىُّ لعبة هذه؟!.. تلك المجنونة أخته هي من
اخترعتها بالتأكيد!!.. بل.. بل.. كيف كان يحدثه عن كونها
لطيفة؟!..

- أنت لم تكن تقصد تلك اللعبة؟
سأل فارس بسرور حين رأى ملامحه المشجومة ليستقبل عنقه
ذراع نادر الذي خنقه وكفه التي بعثرت شعره وهو يقول:
- سخيفة!!.. وللفتيات أيضاً!!.. كدت تخدعني أيها
المحتال.. أنت خائف فقط.

ضحك فارس حرجاً فهو خائف بالفعل ثم حاول إبعاد ذراع
نادر عنه فقد رتب شعرة للتو ولكن لمحت عيناه بالأسفل تلك
الفوضى التي لم ينتبه لها سابقاً..
ويبدو أن نادر أدرك ذلك ليتعد عنه ثم قال مستعجلاً:

- هيا.. علينا أن نغادر الحجرة.
استغرب فارس وهو يتبعه متفادياً أكوام القمامة المنتشرة في
حجراته..

ودقائق فقط وكان فارس يجلس على مقعد أمام الحاجز في
الحجرة المشتركة فيما أغلق نادر زر المايك وقد اكتسب وجهه

بجدية واهتمام شديدين جعلاً فارس يلوذ بالصمت وهو يراقبه..

ثوانٍ ونطق نادر بحزم:

- لا تتكلم مهما حدث.

أوماً فارس برأسه وهو يفرك عينيه فما زالتا تؤلمانه بعض الشيء.. وفجأة انتبه لدخول رجل مسن لحجرته!..

كل ذرة من تركيز أودعها في نظراته وهو يراه يدخل بهدوء للحجرة وشفته تتمايل بسباب خافت ضد نادر الذي أجبره على دخول حجرة هذا المريض العنيف وتنظيفها في مثل هذا الوقت.. كان يكنس بحذر متجنباً الاقتراب من السرير خشية إيقاظ فارس النائم..

خمس دقائق وكان الرجل خارج الحجرة فالتفت فارس بعينه الزرقاوين الممتلئتين حيرة لينظر لنادر المبتسم دون أن يفهم سبب فعله هذا..

وانتبه فجأة لإشارة من نادر جعلته يعود بنظره نحو حجرته مجدداً ليرى امرأة في أواخر الأربعين بدا أنها المسئولة عن تنظيف الملابس.. كانت تقف أمام الباب مترددة وقد ملأ وجهها فزع عنيف من النائم هناك..

وبعد تردد دخلت والتصقت بالجدار لتسير إلى جواره محاولة التقاط سلة الغسيل قبل أن يفطن فارس لدخولها..

- تبّا.

نطق بها فارس فجأة وقد احمرت وجنتاه وحنى رأسه..

- ما الأمر؟!... هل تشعر بشيء غريب؟!...

حمل تساؤل نادر كل قلقه وانزعاجه فأوماً فارس برأسه نافياً
قبل أن يرفع له عينيّن ملؤهما تأنيب الضمير وهو يجيبه:

- هذه المرأة.. قبل عدة أشهر.. بل سنة وأكثر ضربتها بالمقعد

لهذا هي خائفة مني..

كتم نادر ضحكته والاثنان يعودان بنظراتهما للمرأة التي بمجرد
حملها للسلة اندفعت خارج الحجرة راكضّة حتى أنها تركت
الباب خلفها مفتوحاً..

- لقد ظننتها المجرم.. أنا.. أنا لم أقصد إيذاءها.. هل عليّ

الاعتذار منها؟

وصمت ورمش بعينه عدة مرات وتلك الابتسامة الغامضة

على شفتي نادر تتسع.. وتتسع.. فاحمرّ وجه فارس صدمة

واتسعت شفتاه وكأنه أدرك شيئاً للتو.. ولا إرادياً اندفع معانقاً

لنادر دون صوت.. فقط دموعه من تحدثت ونشيجه الخافت..

ردة الفعل هذه لم يتوقعها نادر أبداً وهو يحاول حفظ توازنه..

وشفتاه تنطقان:

- لم أكن أظنك بطيء التفكير هكذا!!!.. ظننتك منذ اللحظة

الأولى ستلاحظ رؤيتك لهما وأن عقلك لم يوهمك بكونهما
المجرم..

فقط ظل يبكي سعادةً وذراعاها تعتصران نادر فهو لم يشعر
بشعور سيئ لرؤيتهما..
لم يخف..

لم يقلق..

كان كشخص طبيعي..

بل وكما كان في طفولته..

- حمداً لله.. حمداً لله..

راح يردد ما قبل أن يصيح شاكراً لنادر الذي كانت فرحته لا
تقل عنه وهو يعيده للخلف قائلاً:

- ستستمر على الدواء..

حرك رأسه بالإيجاب وما زالت الدموع تغطي وجهه..

قطع احتفالهما الصغير طرقات مفاجئة على باب الحجرة
المشتركة مما جعل نادر يدفع فارس نحو حجرتة ويغلق عليه
الباب ثم قال بهدوء:

- ادخل.

دخل أحد عاملي المستشفى ويده عبوة مياه من الحجم الكبير

قائلاً:

- لقد تم طلب مياه من أجل آلة قهوتكم.

أشار له نادر ليضعها على المنضدة جوار آلة القهوة ثم أخذ
الفارغة وغادر... ولم يكذ يغادر حتى انتبه نادر لباب حجرته
الموارب والذي كان يتلصص منه فارس قبل أن يخرج رأسه
صائحاً بقوة:

- لقد رأيته هو أيضاً.

ارتبك نادر وأسرع يغلق الباب حتى لا يسمع الرجل صيحته،
فيما تبدل حال فارس ليدور في الحجرة وهو يضحك..

ثم انطلق نحو حجرة نادر مجدداً لينظر من نافذته للأسفل
مركزاً على الناس هل يستطيع رؤيتهم أم لا؟! ويصرخ بالوقت
نفسه..

« ذلك المس من الجنون قد أصابه مجدداً. »

هتف بها نادر محنقاً فكيف سيتعامل معه الآن!!!..

- نسااااادر.. تعال.. رجل المكنسة ركب في سيارة أجرة وهو
مغادر.. وحامل المياه إنه يخرج الآن ناقلاً العبوات الفارغة لتلك
الشاحنة.

تنهد نادر بتعب.. (ألم يكن أفضل حالاً مع الأقراص؟!)..

ولكن هو لا يريد كسر سعادته تلك بعد أيام العلاج الطويلة.

وجد نفسه ينحني إلى جواره ليشير إلى سيارة قائلاً:

1
- تلك سيارتي هناك.. ستكون وسيلة ثقلنا وسب..

بتر عبارته ولحظ نظرات فارس التي يناوبها بين السيارة وبينه
وقد حملت أسفاً وإشفاقاً كبيرين..

فهم نادر سر نظراته ليتلقى فارس ضربة خفيفة على رأسه
ونادر يقول مغضباً: هذا لا..

- لستُ فقيراً إلى هذا الحد المثير للشفقة.

- أنا.. أنا لم أقل شيئاً.

هتف ويده تضغط مكان الضربة وشفته امتدان انزعاجاً..

- عيناك اللتان كادتَا تبكيان نطقنا الكثير والآن اسمع لقد
نفذت وعدي وأتيت لحجرتي والآن ستعود لحجرتك و..

- لا.. لا.. لا.. ليس قبل أن تنفذ بقية وعودك.

- أنا لم أنطق شيئاً بعد.

- أنت تتهرب من التصوير.

ابتسامة باهتة قفزت لشفتي نادر فهذا الفتى بدأ يفهمه أيضاً..

وأمام عينيه راح فارس يتجول في حجرته متجاهلاً له.. لامساً
هذا وذاك.. بل وامتدت يده لخزانة نادر ليقلب ملابسه وقد اعتلى
وجهه انبهار ممزوج بالغيرة.. فملابسه ذات ذوق رفيع يتغلب على
منظر سيارته مئات المرات..

- هل يمكنني تجربة هذا؟!

تمتم بها وهو يشير لمعطف أزرق ذي خياكة ونسيخ راقين
يشابه ما كان يرتديه والده راكان... لا... بالطبع.

رذ بحدة وهو يتجه ليأخذ هاتفه من على المنضدة قبل أن
يختطفه فارس ولكن لم يكده يلتفت للخلف حتى زأه يضجك
والمعطف يصل لمنتصف ساقيه وكفاه تدفعان كميه الواسعين
المكويين بعناية للخلف ليصلا إلى مرفقيه مقلداً الجانحين.. بل
وراح يثني ياقته غير مدرك كيف يُعدلها فقد احتكت لطولها بأعلى
عنقه وأذته..

وبحق لم يكن عليه أن يلتفت ليرى ذاك البركان المحتدمة
أعماقه اشتعالاً والذي يوشك على الانفجار..

وانفجر صدقاً وسباقه تتسارعان نحوه صارخاً:

- سأقتلك.. سأقتلك يا فتى الكهف.

بدا الخوف على فارس وبدلاً من نزع المعطف راح يركض
من زاوية لأخرى قافزاً فوق السريز والطاولات..

وعلا رنين هاتف نادر بغته وبالقوة منع نفسه من اللحاق
بفارس وقتله وهو يرى اسم المدير المدون على شاشته..

أشار لفارس بحدة أن يصمت.. ودائماً تلك اللهجة الجادة
منه تجعل فارس يُدعن له فيما استمع نادر للمدير للحظات قبل

أن يقول:

- حسناً.. أنا بانتظارك.

وأغلق الهاتف ليتبدل حاله ويعلوه التوتر وهو يقول لفارس
أمراً:

- عليك العودة للحجرتك.

توتره وارتبأكه انتقلاً لفارس فتزع المعطف واتجه راكضاً
للخارج فيما راح نادر يرتب فوضى الحجرة المشتركة قبل أن
يرى ذاك الحزن الذي غطى وجه فارس وهو يدخل حجراته ويغلق
بابها ليرمي بنفسه فوق السرير في إحباط شديد.

دقائق فقط وكان المدير يجلس في الحجرة مع نادر وعيناه
تأملان بلا رغبة كوب القهوة الموضوع فوق المنضدة أمامه
والذي قدمه له نادر، ثم انتقل بنظراته لفارس الذي ظل ملازماً
لسريره فنطق نادر بشيء من الحذر:

- ما الموضوع المهم الذي قلت إنك ستحدث معي بشأنه؟!
تنهد المدير وبدأ أنه يكره ما سيقول:

- لقد أفرغوا له حجرة بالمصحة العقلية سينتقل إليها.
شحب وجه نادر وانقبض قلبه ولم يفلح في إخفاء استنكاره
وهو يرد عليه:

- ولكن بقي شهر ونصف الشهر على انتهاء الأشهر الستة لم

هو المدير كتفيه بقلة حيلة وهو يجيبه:

- لقد أخبرني عمه أن نمضي خلال هذه الأيام الخمسة القادمة في إجراءات إخراجه ومن ثم سينقله لمنزله لمدة عشرة أيام يعاينه فيها طبيب المصحة العقلية قبل أن ينقله إليها رسميًا، وبعد أحد عشر يومًا ستكون جلسة محكمة مهمة للوصاية عليه وقال إنه بحاجة لعدة أطباء وليس طبيبًا واحدًا للشهادة بعدم أهلية هذا الفتى لتولي أمور نفسه ليكون عمه رسميًا هو الوصي عليه.

ثم وقف قائلاً:

- يقول إن عليك أن لا تنسى وعدك فأنت أحد هؤلاء الشهود. ألجمت الصدمة لسان نادر ففارس يحتاج لنصف شهر آخر ليتيقن من اتزانته قبل تهريبه وإتسعت عيناه وعقله يجري عملية حسابية لذلك العدد من الأيام الذي صرح به المدير، إنها سبعة وعشرون يومًا فقط تفصل فارس عن بلوغه الثامنة عشرة واستحقاقه لورث جده..

ضغط هائل شعر به وهو ينظر لفارس الذي راح يعبث بقلنسوة قميصه الأصفر يغطي بها رأسه وشعره، ووجهه يحمل ابتسامة مستمتعة بريئة..

- أخبره أنني سأكون عند حسن ظنه.

قالها وقد استعاد طبيعته الباردة ليبتسم المدير ويربت على كتفه قائلاً:

- المتبقي خمسة أيام فقط أعانك الله عليها ولقد اهتممت به جيداً.

ثم بدا عليه الضيق وهو يغادر قائلاً: ... فقد صار ...
- سيفقد المستشفى أحد مصادره داخله العالية وهذه كارثة.

أظلم وجه نادرة والحبثات نظراته فهذا جلّ ما يشغل باله!!...
فقدان المال!!...

ولكن ماذا لو فقد فارس عقله في تلك المصباحة العقلية؟!... ألا
يهتمون؟! ...

ألا يرون أن مرضه لا يستدعي نقله لمصباحة عقلية؟! ...
بل لم يريد عمه نقله لمنزله أولاً!! هل يريد تخطيطه والتيقن
من كونه يفقد اتزانه ويعامل الناس بعنف ظناً أنهم المجرم قبل أن
تُعقد محاكمته!!...

- سأخرجه.. سأخرجه.

قالها نادر وهو يلتقط هاتفه، فحتى لو اضطر للاستعانة
بأصدقائه المجرمين سيخرجه وقبل اكتمال الأيام الخمسة...
التقط كوب القهوة الذي صنعه مسبقاً للمدير وزاح يجرع منه
في ارتباك وتوتر وعقله يفكر بخطة جيدة لإخراجه و...

دقائق فقط وشعر بأن عقله يدور..

- هل أنا مضغوط إلى هذا الحد؟!

تمتم بها وهو يجلس على الأريكة للتخفيف من ذلك الدوار
ولكن اهتزت الرؤية من أمامه وسقط الكوب من كفه لتناثر
أجزأؤه في أركان الحجرة..

ذهل نادر مما يحدث.. وما يحدث له..

وانتبه فجأة.. ذلك ليس طبيعياً على الإطلاق..

لا بد أنه من المياه التي أحضرها الرجل والتي استخدمها في
صناعة القهوة فهو بالفعل يشعر بالتخدير يسري في كل جسده بل
هو على وشك فقدان وعيه..

انقبض قلبه وشحب وجهه فلا بد من أن ذلك الرجل قد سئم
من محاولة الوصول لفارنس وفشله المتكرر ولذا اضطر
لتخديره..

تحامل نادر على نفسه بصعوبة فلو اقترب ذلك الرجل من

فارنس فسيدمر كل ما بناه..

سيتسبب في انتكاسته..

سار ليقف أمام زر المايك ويضغطه منادياً:

- فارنس..

التفت فارنس نحو الحاجز وقد علت شفثيه ابتسامة متحمسة

فلعلّ نادر سينفذ باقي الوعود ولكنه فوجئ بصوت نادر المزهق وهو يقول أمرأله:

- خذ.. خذ ألوانك الشمعية واضغطها في فتحة مقبض الباب.

طلب غريب!!.. والأغرب صوت نادر المتعب!! ولم يملك فارس نفسه ليهتف قلقاً:

- نادر.. أنت لست بخير.. هل أصبت بالحساسية؟!.. أنا سأتى إليك..

كان سيتحرك حين سمع نادر يصرخ غاضباً:

- بابك مقفل.. لقد أقفلته حتى لا يدخل المدير عليك.. والآن

خذ الأقلام واضغطها في فتحة الباب.

- لماذا؟!..

تمتم بها منزعجاً فهو لا يريد خسارة أقلامه كما لو أنه أتلّف الباب لن يستطيع الخروج ولن يكون بمقدور نادر الدخول عنده.
- فارس.. افعل ذلك.. رجاءً.

نطق نادر عبارته كالمتوسل حقاً ليفزع فارس فذلك ليس نادر الذي يعرفه.. ولكن في الوقت ذاته أدرك أن هناك شيئاً مهماً وإلا لم يكن نادر لينطق برجائه بل وبصوته المتعب.

أسرع فارس ينفذ ما قاله ليحشر ثلاثة من الألوان التي تكسرت تالياً في تلك الفتحة ونادر يراقبه من الحاجز قبل أن يقول:

- اسحب الخزانة وضعها خلف الباب.

غادر اللون وجه فارس وارتجفت شفتاه وكأنه أدرك ما يهدف نادر إليه، ودون تردد راح يدفع الخزانة وقد كانت ثقيلة حتى أنه شعر برغبة بالبكاء مع ضعف جسده ونادر يهتف به:

- لا تكن ضعيفاً.. نعم.. ألصقها بالباب.

راح فارس يلهث وقبض على صدره في ألم فضحته ليست جيدة كما أن حبسه بحجرة واحدة قد أفقد عضلاته القوة ولكن نادر لم يكفه ما فعل ليهتف وصوته يخفت تدريجياً:

- اضغط بسريرك على الخزانة كي يثبتها.

حدق فارس بعيون تلتمع إلى الحاجز فضوت نادر ليس بخير إطلاقاً.. ولكن تكرر نادر لطلبه جعله يسحب السرير وضدده يئن وأنفاسه تتلاحق وثبته أخيراً به..

وعلت شفتي نادر ابتسامة خفيفة.. وإن كان لا يعلم هل سيفيد ما فعله فارس أم لا؟!

خائنه قدماه ليسقط على الأرض ويشهق إثر ارتطام وجهه بالأرضية.. وذلك الصوت المتألم وصل لسمع فارس الذي بكى خوفاً وهو يصرخ:

- هل هو عندك؟! هل سيؤذيك؟!

ولكن نادر لم يستطع حتى النطق أو تهدئته، وأقسمت كل ذرة

من كيانه إن جاء ليل الغد فإن فارس لن يبيت بهذا المستشفى..
كان وعيه يتلاشى حين شعر بخطوات شخص ما وأغمض
عينيه وذلك الشخص يبحث في جيوبه عن مفتاح حجرة فارس
دون أن يملك نادر قوة لمنعه..

وفقد الوعي..

الفصل الثالث عشر

- الساعة الواحدة فجراً -

كان الفرع يسكن ملامح فارس مع اختفاء صوت نادر،
وتضاعف ذلك القلق آلاف المرات في أعماقه، وشفته تناديان
باسمه عدة مرات، أسرع ليقف أمام الحاجز علّ أذنيه لم تسمعا
همسه الضعيف والمتعب..

ولكن لا صوت!..

تلّفت فيما حوله وانتابته نوبة هلع فظيعة وهو لا يدري ما عليه
أن يفعل!.. فالباب مغلق ونادر ألزمه بإغلاقه أكثر بالخزانة
والسرير..

ولكن..

ما الذي يحدث عند نادر؟!

وهل هو بخير؟!

كان في خضم تساؤلاته المضطربة حين تنهى لسمعه صوت

شيء ما يدخل بثقب الباب..

ابتسم لا شعوريّاً. لعلّه نادر وقد عاد ليفتح الباب..

لكن الباب قد أُلّف بالأقلام ونادر يعلم ذلك؟!

تشيعلان احقاداً و غضباً أمام كل ذلك الأثاث الضاغط على
الباب..

- اللعنة عليك.

بكت عينا فارس والرجل ينطق شاتماً له والذي تعرف فارس
صوته على الفور.

- أبعدھا.. أبعدھا عن طريقي وإلا لو دخلت بنفسني لمزقت
جسدك كله.

لم ينطق فارس.. فقط راح صدره يعلو ويهبط ووجهه تغطيه
الدموع..

- أبعدھا!!!
صرخ الرجل فانتفض فارس وتحرك..

تحرك ليعبدها..
هو خائف.. خائف منه.. ويكاد الخوف يقتله.
هو لا يستطيع القتال أو الدفاع عن نفسه حين يأتيه بطورته
الحقيقية أو يسمع صوته الغليظ..
فقط حين يكون مبتكراً بهيئة أخرى يستطيع مغالبة نفسه
ومهاجمته..

ذلك الذعر والخوف شلاً كيانه بأكمله حتى أنه بالكاد حرك
قدميه المرتجفتين ليُمسك بالسرير محاولاً سحقه..

صرخ الرجل وهو يغادر الحجرة المشتركة ليعود للبواب ليدكه
بكتفه محاولاً فتحه فيما أغلق فارس عينيه...

لن يضعف.. لن يكون جباناً..

فنادر قبل اختفاء صوته آخر ما قاله له، لا يزال عالقاً بأذنيه: «لا
تكن ضعيفاً.»

بل ولا يزال يذكر تلك المرة حين التبس الأمر عليه وظن أن
نادر المجرم فطلب منه أن يقتله، فكان رد نادر المستخف به
المستهجن لضعفه:

«كم أنت جبان!»
نعم لن يكون جباناً.. بل هو حقاً ليس جباناً ولن يكون
عاجزاً أمام هذا المجرم كالسابق...
وارتفع فجأة صوت قرقرة مخيفة، صرخ على إثرها فارس
فزعاً والبواب يكاد ينكسر..

ذلك الرجل مصمم على الدخول إليه.. على إيذائه..
ولكن هذه المرة بطريقة أسوأ وأشد من سابقتها فهو يكاد يفقد
نفسه وتماسكه..

نهض فارس من مكانه وضغط بجسده على الخزانة كي تزيد
من ثبات الباب، ويندو أن ذلك الرجل قد انتبه فقد ألمه كتفه أكثر
من محاولة كسر الباب ولاحظ أنه قد أصبح أشد قوة وثقلاً..

شيء من الراحة تسلل لقلب فارس حين سكن المكان ولم
يعد يسمع أي صوت.

(هل رحل؟!)

تمتم بها وهو يتخلى عن الخزانة ليلتفت فيما حوله.. وقبل أن
تعلو شفتيه ابتسامة خفيفة كان قد ارتفع صوت الرجل من المايك
صارخاً بثورة:

- أيها القدر النجبان.. سأقتلك هذه المرة.. سأجعل كليتك
اليسرى حطاماً ولن أتوقف حتى تفقد وعيك..

سقط فارس أرضاً وتحشرجت أنفاسه وضاع كل تماسكه
والرجل يواصل حديثه:

- هل تظن نفسك الوحيد غير السعيد برؤيتي؟! أنا أيضاً
أبغضك ولا أحتمل رؤيتك؟!.. ارتباط مصيري بك ولتسع
سنوات!.. هل تظن هذا يسعدني؟!.. تقييدك لحريتي وارتباط
جنبي للأموال بوصولك لسن الثامنة عشرة هل تظن هذا ليس
مرهقاً لي أيضاً!!!.. اللعنة عليك وعلى عمك القدر..
لم يفهم فارس كلمة مما قالها.. فقط كل ما انتبه له.. أن ذلك
الرجل يتحدث إليه ويخاطبه..

رفع يده ليمسك بقلبه الذي كاد يخرج من عنف نبضاته
المرتعبة..

ومر وقت دون أن يسمع فارس صوتاً من الرجل أو يحاول
فتح الباب..

ولم تطعه قدماه بحمل جسده إلى مكان أبعد، فجر نفسه
ليحشرها بتلك الزاوية وكفه تلتقط في طريقها ذلك المصحف..
لم أخذه؟! لا يعلم.. ولكن كفيه اللتين ظللتا تحتضنانه بينهما
وشفتيه اللتين راحتا تدعوان أن يذهب الرجل نبأته بأنه دوماً هناك
باب يجب أن يطرق قبل كل الأبواب وهو باب الله المفتوح
دوماً..

شعور من الراحة والأمان سكن قلبه والساعة تمر دون أي
حركة جديدة من الرجل..

« نادر » نطقت بها شفتاه بغتة وعيناه تعودان للحاجز..

هو حقاً خائف من أن يؤذيه المجرم.

ومع التفاتته لحظ فجوة مائدة الطعام المفتوحة والتي كانت
بخط أفقي عريض ويكفي لدخول ذراع شخص منها..

تفجرت الدموع أنهاراً من عيني فارس وتساقطت لتغرق
قميصه وارتجفت شفتاه وذراع الرجل تدخل منها حاملة عصاً
وضعها باحترافية بين فجوة الخزانة والباب محاولاً دفع الخزانة
بعيداً عن الباب..

تلك الذراع راحت تدفع وتدفع وقد برزت عضلاتها من شدة
الدفع..

والتقطت أذنا فارس صوت تحرك الخزانة، ودون أن يدري
كيف، نهض وركض مسرعاً ليدفعها مجدداً إلى الجدار الذي
علقت معه العضائين الباب والخزانة ولم يستطع الرجل التحكم
بعصاه وسحبها..

علت زمجرتة الغاضبة وشتائمها العصبية وهو يحاول سحبها
وقبل أن يدرك كان قد شعر بشيء يُغرس في ذراعه.. شهق ألماً
وأسنان فارس تُغرس أكثر وأكثر في ذراعه..
أدخل ذراعه الأخرى وحاول دفع رأسه بعيداً ولكن يبدو أن
فارس فقد نفسه واستولى عليه بعض حقه وبغضه، فتلك اليد
هي التي قتلت أخته وعاثت في جسدها الفساد..

سالت دماء الرجل وشعر فارس بالدم بين شفتيه و...
تراخت أسنانه بغتة بعد أن تسللت ذراع الرجل الأخرى إلى
خصلات شعره السوداء لتجذبها بعنف...
ولم يكتفِ الرجل بل سحب رأس فارس من شعره ليدهكه
بالحائط بعنف وقوة مما جعل بصر فارس يزيغ وشفثيه تتأان
ألماً..

- هل ظننت أنك ستغلب علي؟!
نطق الرجل وكفه الأخرى المصابة تمتد لتمسك عنق فارس
وتشد عليه كيوم مقتل أخته لئلا وتحطيمه لعنقها..

- دعني .. دعني إنه يؤلم !
صاح بها باكياً وكفاه تسقطان إلى جوار جسده مستسلماً
للرجل الذي زاد من خنقه حتى أنه عاد ليذك رأسه بالخائط
صارخاً:

- وهذا ما أريده .. إيلا مـك ... فإن عدت لمنزل ذلك العجوز
البخيل وعائنيك طبيب المصحة العقلية ووجد بك بعض التعافي
فلن يتركني ولن يمنحتي أمواله
كل تلك التتممات لم يع فارس منها شيئاً وألمه يزداد وصوت
بكائه وتوسلاته يعلو كي يتركه ..

- لولا ذلك الجشع نادر المنح لا استمرار وظيفته لكنت
انتهيت منك مبكراً .. ولكنه ظل كالشوكة وقد رغبت بإزالته ...
ابتلع باقي حروفه وصرخ ألماً وتراخت كفاه من على شعر
فارس وعنقه والدم يتدفق من ثقب مفتوح بذراعه ..
تلك الدماء عطت قميص فارس الأصفر وهو يتراجع للخلف
ممسكاً بقلم فضي بين أصابع كفه ..
وبالحقيقة لم يكن قلماً .. ولم يدر فارس نفسه ما الذي
حدث؟! .. كان يصارع ألمه حين ذكره الرجل بنادر وتذكر عندها
المعطف الذي ارتداه ..
كان في جيبه قلم فضي جميل أعجبه وفي وقت مكالمه نادر

للمدير نقله فارس لجيب بنظاله خفية.. ومع ذكر الرجل لنادر
تذكر القلم فأخرجه وفتح غطاءه بيده وأخذته، ليبرز جزؤه الحاد،
فضرب به ذراع الرجل..
ولكن..

ذلك لم يكن قلمًا؟!!

كان مدية حادة وقادرة على القتل والاختراق بسهولة..
أسقط فارس المدية وابتعد جبراً عن فجوة الطعام وما زال
يسمع صرخات الرجل وجرحه يثعب دماً..

- أيها الوغد سأقتلك.. سأدفنك حيًّا..
صرخ مهدداً وهو يسحب ذراعه نازعاً نيتريته ليلفها على
جرحه..

و..

- من أين حصلت على هذا السكين؟!!

صاح الرجل مندهشاً مفزوعاً ولا يزال يئن فيما تالأأت
الدموع على صفحة وجه فارس الشاحب قبل أن يرفع كفه
ليضغط رأسه والأخرى تمس عنقه هامساً بصعف:

- يؤلم.. يؤلم.. نادر يؤلم!

بدا بيكائه وهمساته كالمستغيث بنادر الذي دوماً ما يعالج
جراحه..

- هل حصلت عليه منه؟ من نادر؟

سؤال الرجل أوقف أنين فارس وجعل عينيه تتسعان إلى آخرهما خوفاً من أن الرجل سيتجه بالأذى لنادرا.. فأنزل كفيه عن عنقه ورأسه، وراح يتلفت كالمجنون قبل أن تتسمر عيناه على المقعد..
خاف وانقبض قلبه فما هو مقدم عليه سيؤولمه كمرّة سابقة ولكن لا حل آخر لديه..

انتفض من ألمه وسحب المقعد وراح يضرب به الحائط..

وفي موقع معين بالضبط..

- هيا.. هيا.. هيا..

راح يصرخ بها فارس فيما انعقد خاجبا الرجل دون أن يفهم ما الذي يفعله..
وانطلق فجأة..

انطلق جهاز الإنذار مدوياً في المستشفى بأكمله..

وشحب وجه الرجل وقفز هارباً..

فيما علا صراخ فارس وسقط أرضاً وكفاه تغطيان أذنيه..

كان مؤلماً.. مؤلماً إلى حد مهول مما جعل عينيه تتسعان وعقله يضطرب.. ففتى مثله قضى ثماني سنوات دون ضجيج فمثل هذا الصوت مؤذ وموتر لأعصابه.. وقد حدث ذلك سابقاً وعلى الرغم من إطفائهم له لم يهدأ فارس إلا بالحقن..

- الثالثة فجراً -

« طبيب نادر »

« طبيب نادر »

« نادر »

ظلت تلك الكلمات تتردد بأصوات غريبة وأنف نادر يشم رائحة كيميائية نفاذة جعلت وعيه الغائب يعود مرغماً وشبهقت شفتاه نفساً عالياً وعيناه تفتحان بالكامل .. راح صدره يعلو ويهبط بقوة ولم يستوعب ما هو فيه بعد، وألم ارتطام وجهه بالأرضية يداهمه ..

كان نصفه العلوي متكئاً على ركبة شخصٍ ما حملت كفه عبوة المادة التي استخدمها لإفاقته بينما انجنى إلى جواره عامل من المستشفى يقول: - من الجيد انطلاق جهاز الإنذار وإلا لكان الفتى قتل نفسه وطيبه فاقد الوعي.

- الغريب بالأمر فقدانه لوعيه.

تمتم بها سالم وعيناه تحديقان بنادر أسفل منه وحاجباه ينعقدان أكثر وأكثر ..

- هل تعاني من مرضٍ ما؟

سأل سالم باهتمام فإن كان نادر يعاني من مرض يفقده وعيه فلن يستطيع البقاء كطبيب لفارس ..

صرخ بها نادر فجأة وهو يدفع سالم بخشونة بعيداً عنه ويسقطه أرضاً، بل وقفز واقفاً متجاهلاً لكل ذاك الخدر الذي لا يزال يعصف بجسده وعيناه تتجهان تلقائياً للنظر للحاجز..

وهناك وأمام عينيه رأى سبعة من الأشخاص في حجرة فارس.. كانوا يغطون الرؤية عنه.. فاندفع راكضاً إلى حيث حجرته وهو يتمنى أنه لم يصب بسوء.. علا لهته وهو يُبصر في طريقه الباب المكسور والخزانة المدفوعة بعيداً والسريّر الذي عاد لمكانه..

وانقبض قلبه فزعاً وعيناه تلمحان تلك الدماء المغطية للأرضية.. هل آذاه إلى هذا الحد؟!.. أبغض ضعفه واستسلامه للمخدر وعدم حرصه وحذره بشكل أشد..

وتحرك ليقف أمام السريّر شاخص الوجه متسع العينين وأربعة من الرجال يثبتون جسد فارس على السريّر..

بل جذب أحدهم بعنف ذراعه المغطية لأذنه - رغم صيحاته المتوسلة - ليقيدّها بالرباط المطاطي في زاوية السريّر وحذا البقية حذوه موثقين أطرافه الأربعة كاشفين بذلك أذنيه اللتين زاد الصوت من تحسّسهما وألمهما وجعله يصرخ ويتلوى باكياً..

فيما سحب رجل خامس ياقة قميصه الأصفر ليغرس نصل حقنة مهدئ في كتفه..

وليطهر في الوقت نفسه لنادر ذلك الأثر بعنقه والذي جعل قلبه
يخفق بقوة فقد وصل له المجرم إذا بل وأذى عنقه وهو مرمي
كالجثة في الجانب الآخر لا يملك حولاً ولا قوة..

«مزعج.. يؤؤؤلم!..»

كلماته المستغيثة أيقظت نادر من لجة صدمته وبركان غضبه
ليستعيد رباطة جأشه ويعود له تماسكه وهو يسرع فجأة ليغطي
أذني فارس بكلتا كفيه وشفته تنطقان أمره:

- أسرع وأغلق جهاز الإنذار.

تراجع الرجل للخلف قبل أن يهرع لينفذ ما قاله فيما صاح نادر
بباقي الرجال محققاً:

- لقد حقنتموه بمهدئ.. ماذا تنتظرون بعد؟!.. اتركوه.

ابتعدت أيدي الرجال الأربعة عن أطرافه الموثقة وبقي فارس
تلحظات يصارع فوق سريره ونادر يشدد من الضغط على أذنيه
قبل أن يهدأ جسده ويفتح عينيه لتلتقيا بعيني نادر المتسعيتين
صدمة..

لم يكن نادر متنبهاً لنظراته المتعلقة به وعيناه تجوبان قميص
فارس الملوث بالدماء وتفجر القلق في نفسه وهو يبحث عن
مكان الجرح قبل أن يرفع بصره لينظر لشفثيه اللتين علتها بعض
الدماء بل وأسنانه و..

- أي جنون فعله بك؟! ..

تمتت بها شفتاه من وسط أضراسه التي كادت تطحن بعضها بعضاً.. والتقت عيناه بعيني فارس الزرقاوين الواهتين..

تانك العينان اللتان على وشك أن تغلقا ويتلاشى وعي صاحبهما حكماً لنادر الكثير والكثير..

بشاه شكواهما ورغبهما ولم يستطع فارس تحريك شففيه المتقوسين ليخبره أن رأسه وعنقه ما زالا يؤلمانه..

فقط نقلت تانك العينان شيئاً واحداً وذراعا صاحبهما تمتدان نحو نادر ولكن القيد منعهما حتى من الارتفاع.

ارتخت أجفان نادر.. فما الذي يفكر به هذا المجنون في هذا الوقت؟!.. كاذب يقتل!!.. وهو الآن فقط يهم بعناقه معبراً عن فرحته كونه بخير..

لم هو هكذا؟!.. ولم يثير شعور بالذنب أعمق داخله؟!..

- لا بأس.. ثم فقط وكل شيء سيكون بخير إن شاء الله.

تمتم بها نادر وكأن زمام الأمور قد انتقل إليه ليمسكه هو الآن.. ومريحاً ومهدئاً لتينك العينين الزرقاوين اللتين راحتا تختفیان تحت جفنيهما الثقيلين ورأس صاحبهما يميل لليمين غارقاً في سبات عميق..

لم يبعد نادر كفيه حتى توقف جهاز الإنذار فاستقام واقفاً قبل

أن يشير لأحد الرجال بالبقاء معه فيما أشار للبقية بالمغادرة ما
عدا سالم الذي ظل واقفاً يراقب.

راح الرجل يخرج ملابس نظيفة لفارس بأمر من نادر فيما فتش
نادر عن مصدر الدماء في جسد فارس.. أي ضربات.. كدمات..
ولكن لا شيء.

فقط أثر بعنقه.. ولحظ تورماً بسيطاً في رأسه فأشار لسالم
بإحضار كمادات باردة.

ارتفع حاجبا سالم وأشار لنفسه سائلاً:
- أنا؟!

- نعم أنت.. أم ستبقى كالمتفرج بلا فائدة؟!
رمش سالم بعينه.. كيف يجرؤ؟!.. ولكن لدقة الموقف
ولمركز المريض المهم أسرع ينفذ ما طلبه..
ولم يكذ يغادر حتى عقد نادر حاجبيه وراح يبحث في الحجرة
محاولاً فهم ما حدث..

وسبب هذه الدماء الملوثة لفارس دون جرح يذكر بجسده!!
ثوانٍ فقط وأبصر غطاء قلمه الفضّي اللامع فأسرع الالتقاطه
وبحث عيناه عن الجزء الباقي ليجد المدية النمرية في مكان بعيد
قليلاً..

رأى الدماء تعلوها.. ولم يصدق تخمينه بأن فارس قد استغفله

وأخذها من معطفه كما فعل حين حفظ رمز قفل هاتفه..

ولكن ذلك لم يغضبه بل ابتسم لمشاكسته التي يبدو أنها قد أفادته.. رأى الدماء أمام فجوة الطعام والعصا الساقطة..

لحظات فقط وارتسم المشهد وكأنه يحدث أمامه، أسرع لينظر
لشفتي فارس. وأسنانه السليمة متيقناً بأن الدماء كانت دماء الرجل
وليست دماء فارس المولع بالعض فزادت ابتسامته المنتشية..
- لم تكن سهلاً معه أبداً.

تمتم بها مذهولاً فقد أثار إعجابه بالفعل بشجاعته وعدم
استسلامه..

وفي نفسه تساءل عن كيف استطاع التحكم بنفسه، وأحسن
التصرف باستخدام المديّة بل وأذى بها الرجل أذى كبيراً فدماءه
تغرق الأرضية..

جذب عينيه ذلك المصحف القابع في الزاوية فاتجه نحوه
ليعيده فوق الطاولة..

شيء ما جعله يشك بأن فارس كان يقرؤه ولعله هو ما منحه
الهدوء بل ووجهه إلى كيف يتصرف.

« هل أستبدلها الآن؟! »

قطع تفكيره سؤال الرجل وهو يحمل ملابس مرضية نظيفة
فأوماً نادر برأسه « نعم » بل وانتبه لتلك القيود المطاطية ليزيحها

عن أطرافه قبل أن يعدل جسد فارس لينمنحه نومة مريحة.

شيء من الألم اعتصر قلبه والرداء الأصفر الذي اختاره للتصوير ينزع عنه.. كل تلك المشاريع التي صاح بها لتفذه في هذه الليلة تحطمت..

ارتاح من الأقراب ولكن لم يريح من الأسوأ ولعلّ مقابلته للرجل قد حطمت ليالي الأشهر الثلاثة ونصف الشهر التي قاساها مع العلاج.

عض على شفته السفلى حتى أدماها فالرجل لم يؤذ فارس فقط بل وتجراً عليه هو الآخر واستغفله..

- أقسم أنك ستندم ألف مرة.

نعم.. فهو ليس ممن يتلاعب به أحد.. وفقدانه للوعي وشعوره به وهو يبحث عن المفاتيح في جيوبه.. أي إهانة أشد من هذه؟!!

تقافزت شياطين الغضب من عينيه وهو يساعده الرجل في تنظيف وجه فارس بقماش مبلل من الدماء..

« لقد أحضرتها »

انتبه نادر من مصارعة بركان غضبه ليلتفت لسالم الذي رفع ذراعيه بكمادتين من المياه الباردة متابعاً..

- كيف ستستخدم..

لم يتم عبارته وشهق فزعاً حين أمسك نادر أحد ذراعيه بقوة
ودفع كفه كاشفاً عن ساعده قبل أن يتنقل للآخر متفحصاً له
بعنف وكأنه يبحث عن شيء ما..

- لقد تجاوزت حدك.. ما الذي تفعله؟

صاح سالم وهو يسحب ذراعيه بعيداً ليستفيق نادر ويحرك
رأسه وقد علا وجهه الإحباط، ثم حك أنفه الذي تسال منه خيط
من الدماء - بسبب ارتطام وجهه بالأرضية - بإهمال متجاهلاً
الاعتذار لسالم..

- ما الذي كنت تبحث عنه في ذراعي؟!

هتف سالم وكفا نادر تسحبان الكمادات منه واتجه لفارس
مجدداً..

- تبناً.. أنت لست طبيعياً.. لماذا فقدت وعيك؟!.. ثم لماذا
لا تتحدث؟!.. وعن ماذا كنت تبحث في ذراعي..

- أصببت بالدوار بسبب طعام لدي منه حساسية شديدة.. كنتُ
مهملاً.. ولا أتحدث لأني غاضب من نفسي لفقداني الوعي وكاد
الفتى يقتل نفسه..

سيل من الحديث البارد الهادي تميم به نادر وهو يضيف:

- وذراعيك!.. ظننتك كأناس أعرفهم من إحدى العصابات

يضعون الوشوم و..

- عصابات؟! -

قاطعه سالم مستنكراً « ولماذا تعرف عصابات؟! ابتعد عنهم هذا سيسيء لمركزك وللمستشفى ككل. »
انعقد حاجباً نادر أكثر وأكثر.. وظنه به خاب فعلاً فهو ليس ذاك المجرم.. أو أن نفسه الغاضبة تبحث فقط عن شخص لتفرغ فيه ثورتها..

ولكنه ليس نادماً فقد أخرج بذلك سالم من دائرة شكوكه..
فيما تحدث سالم فجأة باهتمام:

- لا عليك بشأن ما حدث فكلنا نخطئ وبذلك وإخلاصك في الأيام الماضية يغطيان ما حدث اليوم كما أن الفتى بخير وهذا ما نحتاج إليه فلا تكثر.. فقط انتبه أكثر لنفسك بأن لا يتكرر فقدانك للوعي.. ومن الجيد أن المدير الآن في منزله.

أوماً له نادر وتمتم شاكراً وهو يرى الاثنين يخرجان، لتعلو شفتيه ابتسامة عصبية ووضع الكمادات على المنضدة والتقط هاتفه وأول ما نطق به..

« حاتم هل تريد أن تلهو؟! »

ضحكات عابثة انطلقت من الجانب الآخر وصاحبها يصيح موافقاً.

٢٢ سبتمبر - الثامنة مساءً -

حرك جفنيه المثقلين بصعوبة، ورمش بهما عدة مرات وعينه
تجوبان سقف الحجرة..

أراد النهوض!.. تحريك ذراعيه!.. نساقيه!.. لكن المهدئ لا
يزال يعيث بكل جسده..

أغمض عينيه بقوة إثر صداد كاد يفتك برأسه فأدارة للجانب
الأيمن لتضدده كمادة من المياه الباردة سقطت إلى جوار
وسادته..

شيء جديد!..

لا بد أنه نادر..

توسعت شفتاه فرحةً ونظر نحو الحاجز و..

ارتفع حاجباه صدمةً للشخص الجالس أمام منضدته..

شخص يشاركه حجرته..

ولأول مرة..

انقبض قلب فارس فزعاً وحاول النهوض ولكن لم يطعه

جسده..

انكمش على نفسه وسحب الغطاء ليغطيه فإن كان ذلك الرجل

مجدداً فهو فقط ينتظر إفاقته ليسقيه من كأس عذابه..

ظل يحدق به من أسفل الغطاء بخوف ولا يزال جرس جهاز

الإنذار يزعج أذنيه اللتين لم تنسياه بعد..

حاسب محمول؟!..

لَمْ الرجل لديه حاسب محمول؟!.. وَلَمْ رأسه فوق لوحة مفاتيحه و.. هاتفه مجاور له على المنضدة!!

بل وذراعه اليمنى ممدودة فوق المنضدة وجزء من خصلات شعره الكستنائية يغطيها وصوت شخير..

« إنه نائم. »

تمتم فارس بها مذهولاً وعيناه تبصران تلك الساعة في اليمنى لير تجف قلبه سعادة وحماساً.. (إنه نادر.. وأيضاً نائم.. وفي حجرته).

ضحك ضحكة خفيفة وأزال الغطاء واستدار بجسده الخامل نحوه..

وظل لعشر دقائق يتأمله بابتسامة وصمت قبل أن يشعر بتحرر جسده لينهض..

نزل بهدوء وسار على أطراف أصابعه ليقف جواره ثم انحنى ينظر لوجهه.. إنه هو نفسه نادر، يشخر بصوت عالٍ.. وينام بعمق وقد بدا عليه الإرهاق..

انتبه لأنفه المحمر وشعر ذراعيه المنتصب..

« برد.. يشعر بالبرد. »

بدا الأمر كالمصيبة له، فتلفت فيما حوله ماذا قد يفعل!! ولم يلبث أن سحب غطاء سريره ليغطيه به مع رأسه بالكامل.

ضحك بخفة لمنظره ووقف إلى جواره ينظر للحجرة النظيفة حتى الدماء لم يكن لها أي أثر... و...
دخل فجأة من فجوة الحائط ذلك اللوح يحمل شتى الأطعمة..

كان جائعاً وأراد الأكل ولكن قدميه لم تتحركا وصراع الباردة في ذاك المكان يرعب قلبه.

تردد وقتاً قبل أن يتنازل عنه ليسحب مقعداً ويلصقه في الحاجز مقابلاً لنادر النائم وقد ملأت السعادة قلبه فقد كان خائفاً من أن الرجل آذاه..

ونقل بصره بين نادر والهاتف ثواني ولم يقاوم رغبته ليسحبه ويبدأ العبث فيه:

ساعتان مرتا قبل أن يتنحج نادر وهو يشعر بثقل شيء ما على رأسه فرفعه ليسقط الغطاء وتلتقي عيناه الناعستان بتينك العينين الزرقاوين اللتين ملؤهما بهجة وشفته المبتسمان تنطقان:

- لقد نمت في حجرتي!

هو لم يرد النوم.. كان يعمل ويحدد لرفاقه المواقع ويرسم خطته حين غفا..

- أنت بخير؟!

تمتم بها نادر وهو يتراجع بظهره للخلف خشية عنف فارس
وانتكاسته بعد ما حدث.. ولكن تينك العينين لم تجملا أي عدائية
وهو يومئ بنعم.

« كنت رائعاً. »

ارتفع حاجبا فارس قبل أن تشق وجهه ابتسامة كبيرة فنادر
يمتدحه ولأول مرة منذ لقائهما..

- لقد قاومته بشدة.. ودافعت عن نفسك.. لقد أثرت إعجابي

بحق.

رقص قلب فارس طرباً وتهلل وجهه سعادة..

- ولكن ألسيت غاضباً من أجل القلم؟!

- لا.

نطق نادر وهو ينهض ليسقط الغطاء للأسفل فيما أخرج فارس
ذراعه الأخرى الحاملة للهاتف من خلف ظهره قائلاً بتفاؤل:

- ولا هذا؟!

استحال وجه نادر أحمر من شدة الغضب وهو يختطفه من يده
لينظر لشحن بطاريته الذي كاد ينفد.. ورصيده الهابط و..

عشرات الصور التي التقطها فارس لنفسه ولنادر النائم مرات

بمفرده.. ومرات بعضهما مع بعض..

والأسوأ أنها رسالة لأحمد..

- أنت ميت.. كلا كما ميتان.

صاح بها خرجاً وقبضته ترتفع لتضرب رأس فارس الذي
أسرع يغطي رأسه في خوف.. ومرت ثوانٍ ولم يشعر فارس بشيء.
زفع بصره ليرى تلك الذراع معلقة في الهواء وعيني نادر
مركزتين بضيق على الكدمة برأسه فقد كان الذنب ذنبه لأنه لم
يستطع حمايته جيداً.

- لم تعد تؤلمني.

قال فارس بابتسامة وكأنه أدرك ما يفكر به.
تحرك نادر ليغلق الحاسوب ويرتب أغراضه وفارس يقول
يا حباط:

- كُنْتُ أريدُه هو ولكنك كنت نائماً فوقه.
عسليتاه اللتان تحولتا لكتل من النار جعلتا فارس يحمد الله أنه
لم يمسه.

- أنا جائع.
تمتم بها فارس فجأة وعيناه محدقتان بتلك الأطعمة ليقول
نادر ببرود:

- ومن يمنعك؟!.. أنت هنا والطعام هناك.
قالها والفت للساعة المشيرة للعاشرة مساءً، بقي فقط نصف

ساعة على موعد إخراجه لفارس، لم يظن أنه سينام لثلاث ساعات متتالية دون أن يشعر..

حقد على أحمد الذي رفض ست خطط من خطته قبل أن يقبل بالأخيرة.
نظر للحاجز بقلق..

كان حقن فارس بالمهدئ عند الثالثة فجراً.. وقد بقي معه في حجرته يرافقه خشية من عودة المجرم لأن باب الحجرة مكسور.. ولا يريد أيضاً أن يقابل أحداً.. فقد كاد يفضح نفسه عند سالم حين فقد أعصابه وراح يبحث عن أي أثر بذراعيه..

لذا ماذا لو صادف المجرم قبل إخراجه لفارس ففقد تماسكه وافتضح أمره؟.. هو بالتأكيد قد يقتله وعندها ستفشل خطته ولن يخرج فارس وسيؤذي والديه مجدداً بسجنه كما تأذيا من قبل.
ولكن.. في وقت نومه هل من الممكن أنه قد انتبه أحد لعلاقته بفارس!! خاصة جلوس فارس إلى جواره وهو نائم دون أن يعامله بعنف.

تحرك نادر ليغادر الحجرة ليتيقن إن كان أحد يراقبه بالحجرة المشتركة..

- هل تتناول الطعام معي؟
توقف نادر لينظر لفارس الذي ملأ عينيه الخوف وهو يحرق

بفجوة الطعام ليدرك لماذا لم يقترب منها...

- حسناً.. فقط ثوانٍ وسأعود.

دون وعي نطقها شفتاه ليصرخ فارس سعادة فهو لم يشارك
أحدًا الطعام منذ سجنه بالمستشفى، فيما حرك نادر رأسه فهو
حقًا لم يعد يعرف نفسه..

ثوانٍ وكان في الحجرة المشتركة الخالية والتي يبدو أن لا أحد
قد دخلها أبدًا بعده..

عقد حاجبيه وتضاعف شكه ألف مرة..
ولكن نفض عنه ذاك الجنون فما هو مقدم عليه يحتاج كل
تماسكه.

دقائق وكان يتشارك مع فارس الطعام والذي توسعت عيناه
وشفتاه سرورًا لسرائح البرقر الكثيرة والمشروبات الجديدة
عليه..
و..و..و..

راح يلتهم منها مظهرًا امتنانه لنادر ولقد تحقق كل ما عدته
أصابعه سابقًا.. التصوير والمراسلة والهاتف وحجرة نادر وأخيرًا
سرائح البرقر.

فيما كان نادر يفقد شهيته بالتدريج وفمه يمزغ الطعام وعيناه
تحدقان بكم الرسائل بين فارس وأحمد على عكس المرة

الماضية حين نهض ليجد فارس قد مسحها.

إذاً أحمد من أوحى له بفكرة تصويره نائماً.. بل وهو من طلب منه سابقاً أن يتصوراً معاً.. إنه يسخر منه بالكامل.
وانعقد حاجباه بشدة وهو يقرأ ما قصه فارس عليه عن دخول الرجل حجرته وكيف دافع عن نفسه وأنه كان يخشى غضب نادر منه لو لم يدافع عن نفسه..

بل و... جهاز الإنذار هو من أطلقه لأن الرجل كان يسعى لإيذاء نادر و..

رفع نادر عينيه لينظر إليه بصمت وحيرة.. لم هو متعلق به إلى هذا الحد؟!.. وأدرك فارس نظراته ليتوقف عن الاتهام ناظراً إليه باستفهام..

- هل تريد الخروج الآن؟

- إلى حجرتك؟

سأل فارس ليقول نادر بابتسامة:

- لا.. إلى خارج هذا المستشفى بأكمله.. إلى العالم.

تصلبت كفا فارس فوق الشريحة ولمعت عيناه بالدموع وهو يرمي برأسه بشدة بالإيجاب فيما ازدادت ابتسامة نادر اتساعاً وهو يحرك سبابته نحوه متمتماً:

- ستطبق وتطيع كل كلمة.. وأي تراخ أو تخاذل منك سي..

اشتدت ملامح فارس لنبرته الجادة ونادر يضيف محذراً:

- سيزمى بي في السجن!

انقبض قلب فارس وقفز فزع شديد لوجهه فيما برقت عينا نادر بخبث فإن كان متعلقاً به ويحبه إلى هذا الحد فسيسعى لحمايته بالتأكيد وستنجح الخطة.

- العاشرة و٤٥ دقيقة م -

تعالّت صرخات فارس ترج كل ممرات المستشفى وعجلات محفة المستشفى الحاملة له تدور بسرعة كبيرة، ومن حوله تدافع أطباء وممرضون ونادر يصرخ به:

- ابتعدوا.. ابتعدوا عن طريقنا.

ازداد وجه مدير المستشفى شحوباً وهو يركض إلى جواره بجسده المكتنز وقد لهثت أنفاسه وهو يقول:

- هل.. هل أنت متيقن أنه التهاب الزائدة الدودية؟

صرخ نادر وقد حمل وجهه غضباً كبيراً:

- لقد جئت بنفسك إلى حجرتي ورأيت تألمه بل وضغطت

بنفسك موضعها..

صمت ليلهث بدوره وهم يدخلون السرير للمصعد فيما ظل

فارس يتلوى وصرخاته لا تتوقف وكفاه تعصران بطنه..

- أرجو أن لا تنفجر وإلا لخسر حياته.

تمتم نادر متحدثاً لنفسه ليستحيل وجه المدير أحمر من شدة التوتر والفرع...

- لقد أصبتُ بها سابقاً وأنا متيقن أنها في آخر مراحلها...

أرّف نادر بنبرة مهتزة قلقة جعلت المدير يخرج هاتفه قائلاً
بارتباك:

- علينا أن نخبر عمه فهو الوصي عليه.

- ألم تتصل به بعد؟!

صرخ نادر بنبرة عاتبة ليسرع المدير باتصاله..

وفي الوقت ذاته فُتحت أبواب المصعد ليخرج نادر برفقة
رجلين يدفعون السرير.

قابلهم ضجيج المرضى والمراجعين والأطباء في ذلك الطابق
فخفت فجأة صراخ فارس.. ذلك الضجيج أزعجه وكاد يفقد
نفسه لولا تلك اليد التي قبضت سراً على ذراعه وهو يكرر:

- تحمل.. تحمل قليلاً.. كل شيء سيكون على ما يرام.

عادت تلك الصرخات مجدداً من فم فارس وهو يغمض عينيه
فقد كانت الأنوار شديدة مقارنةً بأنوار حجرته..

ومن خلفهم ظهر سالم راكضاً هو الآخر وصارخاً:

- لقد اتصلت بسيارة الإسعاف وهي قادمة خلال أقل من

- انهم في الخارج.. يجب شكرهم على سرعتهم.

رد نادر مبتسماً فيما بهتت عينا سالم وهو يبصر السيارة التي توقفت في الخارج من خلال أبواب المستشفى الزجاجية..

فتحت إحدى العاملات لهم الباب ليخرجوه ولم يكادوا يقفون أمام السيارة حتى دفع أحد المسعفين بابها الخلفي وقفز في خفة للخارج ليساعد نادر بنقل جسد فارس إلى سرير الإسعاف المجهز.

أحاط بهم المدير وسالم وجمع من الأطباء فيما راح يثبت الرجل جسده فارس بالأربطة وقد غطي نصف وجهه السفلي كمادة خضراء وبمجرد انتهائه رفع عينيه لتلتقيا بتيناك العسليتين وقبل أن يبدر عنه شيء كان قد دفعه نادر نحو السيارة صارخاً:

- أسرع.. أسرع.. لا وقت لدينا.

فهم على الفور مراده وأطبق شفتيه عن شتيمة وهو يدخل السرير لسيارة الإسعاف وكاد يخلق بابها ولكن..

- نادر اذهب معه.

صاح المدير لاهثاً فقد وصل للتو ولكن نادر راح يتحرك باتجاه معاكس قائلاً بحدة:

- كلا.. سألحق بهم بسيارتي، فإجراء العملية وتنويمه

سياً خذان وقتاً طويلاً وقد أحتاجها أثناء مرافقتي له.

ودون أن ينتظر رد المديّر اتجه لسيارته صاحباً سالم في طريقه:

- ستذهب معي.

أراد أن يعترض.. أن يخبره أنه لا يزال لديه أعمال لم ينجزها

ولكن ذراع نادر الجارة له لم تمنحه الفرصة وهو يسحبه خلفه.

شغل سيارته وارتقى سالم إلى جواره ثم أوقفها خلف سيارة

الإسعاف التي راحت تغلق أبوابها لتصطدم عسليتاه بعيني فارس

الزرقاوين المحدثتين به وقد علاهما خوف شديد لكونه بمفرده

دونه فانطلق صوته الهامس شاتماً أحمد.

وأغلقت الأبواب وتحرك ذلك المسعف ليضع سماعات

رأس سمكة على أذني فارس دون أن يتكلم، ثم نزع الأربطة

المحيطة بجسده فيما سحب فارس قناع العينين ليغطي به عينيه

كما طلب منه نادر لتغيب عنه الرؤية والسمع في وقت واحد

واحتضن جسده بخوف فوق السرير المهتز إثر تحرك السيارة..

الفصل الرابع عشر

« أتصدق؟! .. إنه العمل الخيري الأول الذي أقوم به في حياتي. »

تمتم حاتم ذاهلاً دون أن يستقبل ردّاً من زيد الذي توارى جسده خلف مقعد السائق..

« بحق؟! .. لماذا ينقذه؟! .. هو لن يستفيد شيئاً بمساعدته!!.. ولا نحن أيضاً!!.. »

وتأمل الراقد أمامه مضيقاً: « ألا يثير الأمر فضولك؟! »
ومجدداً لم يتلقَ أي رد من زيد فتناول حاتم برأسه لرؤية وجه فارس جيداً ولكن كفيه المشدودتين على شفتيه كي لا يصدر عنه صوت وقناع العينين الملتف على نصف وجهه العلوي زادت من إحباطه..

بل ظل جسده يرتجف فوق السرير إثر سير سيارة الإسعاف المنطلقة بسرعة هائلة ودوي صفارة إنذارها يفسح لها المجال وسط الزحام.

قاوم حاتم رغبته باستفزاز المتكوم هناك ونفسه تتساءل عن نوع مرضه الذي يعانيه والذي لن يفهمه أبداً..

فيما أجابه زيد فجأة وكفاه تشتدان على مقود السيارة:

- لقد رأيتم أثناء نقله للسيارة.

وصمت لثوانٍ قبل أن يكمل: « إنه بمثل عمر الزعيم وعمرنا حين دخلنا السجن. »

- نعم.. ولكن هل تظن هذا سبباً كافياً لجعل الزعيم يمنحه من وقته الثمين ويضع خطة لتحريره؟.. بجدية إنه أشدُّ بخلاً على وقته قبل ماله..

بقي الاثنان أسيري دهشتهما وحيرتهما ثواني قبل أن يتبّه زيد من مرآته الداخلية لحركة خلفية ليصرخ:

- حاتم أيها المعتوه... لا تفعلها... لا تفعلها... سيقطعك نادر، سيشرح جسدك.

أزاح حاتم الكمامة الخضراء ليظهر صوته واضحاً واعتصر قطعة القماش المليئة بسائل المخدر قائلاً بعشية:

- توقف عن كونك مملاً.. فلن يكون اختطافنا كاملاً إن لم نفعلها..

- بل توقف أنت عن طيشك.. فقد كان أمر نادر جلياً بأن لا نستخدمه إطلاقاً.

- ولكن الخطة الأولى مسلية أكثر.. كان يجب أن يركب السيارة بعد أن يمنحه الزعيم قرصاً يمزق معدته ألماً وبمجرد

ركوبه أستجدم أنا المخدر حتى أنهى ألمه..
وامتدت شفتاه سخطاً فأخيراً حلمه بكونه مسعفاً قد تحقق..
ولو لدقائق معدودة.. ولكن هذين الممبلين يصزان على قتل الدور
الذي يعيشه الآن..

- لماذا؟!.. لماذا غير الزعيم رأيي؟!.. وغير خطته أيضاً؟!!

- لعله لم يرد للصبي أن يعاني الألم.

نطقها زيد بتلقائية ليشهق حاتم غير مصدق فأخبر شيء قد
يفكر به نادر هو ألم شخص آخر بل ومريض أيضاً.
انعقد حاجبا حاتم أكثر وأكثر وكأنه حصل على سبب آخر
لاستخدام المخدر فدفع بالقماش باتجاه فارس ليصرخ زيد
مذعوراً:

- أنت.. ألا تشبع من استنزاف الزعيم؟!.. وتباً، أنت تشيتني
عن قيادة السيارة.

- أريد أن أتقن إذا ما كان ما بخاطري صحيحاً.

- افعلها وسأوقف السيارة وأنت تعلم أنه خلفنا وانظر عندها
كيف سيجعل عقلك الأحمق لا تزوره خواطر لغام قادم بأكمله.

- سحقاً أنت ممل للغاية زيد.. ثم لو أوقفت السيارة

فستفشل العملية بأكملها.. وقد يُقبض علينا!

- نعم ستفشل ولكنه سيعلم عندها أن لا دخل لي ولا مسئولية

بما تفعل... وقد يراف قلبه بي ولا يشركني معك.. أما مسألة
القبض علينا فهي المشكوك أكثر من كونه سيقنك.

رمى حاتم قطعة القماش على امتداد يده لإشادي زوايا السيارة
وشفتاه تنطقان خيبة:

- الزعيم.. كان يقصد ذلك حين وضعك معي بدلاً من تهيم..
لأنك جبان وغبي.

تهدد زيد براحة فإذا ما تستر على خطأ حاتم فنادر بحق لن
يتردد بأن يبلغ عنه..

وكادت عيناه تبكيان لم سره السعي والذي لم يكسب منه ذاك
المال الوفير يملكه شخص مبتز كنادر!!.. بحق هو نادم ألف مرة
على دخول منزل تلك المرأة والسرقة منه.

ومن خلفهما وعلى بعد مترين فقط.. تكررت شهقات سالم
وهو يتشبث بمقعده أكثر وكادت عيناه تخرجان من محجريهما
فزعا وهو يصرخ:

- نادر.. خفف.. خفف السرعة.

- كلا.. هو مريضنا المهم.. ويجب أن نكون إلى جواره حال
وصول سيارة الإسعاف للمستشفى.

صرخ نادر بدوره وهو يتجاوز سيارتين ليصيح سالم بنبرة
مرتجفة:

- إنها سيارة إسعاف لذا يفسح الجميع لها المجال للمرور
ويزداد ابتعادها عنه...

- لا عليك سألحق بها.
- تبّا نادر ليس هذا ما يقلقني.. ثم ما الفائدة لو وصلنا لنكون
جيرانه على أسرة أخرى؟!..

وتهدج صوته لمرأى شاحنة مقبلة نحوهما.. «تبّا.. نادر.. أنت
بسرعتك هذه ستقتلن»...
وفجأة..

ابتلع باقي عبارته وصرخ فزعاً وجسده يندفع للأمام ليرتطم
بزجاج السيارة الأمامي ويُسج رأسه وتسيل منه الدماء إثر ضغط
نادر لمكابح السيارة بشكل مفاجئ متجنباً الارتطام بالشاحنة
التي قطعت خط سيرهما..

ولم يكثرث نادر لتأوهات سالم ولا صراخه فقد فتح باب
سيارته وقفز خارجاً بجسد سليم فقد كان يربط حزام أمانه مسبقاً
على عكس سالم..

وبدوره قفز صاحب الشاحنة خارجاً لتلتقي تلك الأعين
الأربع المتقدة شراً معاً وبدأ نادر بالشجار:

- أقسم.. أقسم لو مسها سوء فأنت ميت وسأدعيك ببقاياها.
اقترب ذلك الجسد الضخم منه وعانيتها بدوره قبل أن يهتف
صادقاً:

- كلا.. أنا متيقن أنها لم تمسها.

ظل نادر لدقائق يتفحص مقدمة سيارته قبل أن يلتفت للرجل
و..

ارتخت ملامحه للحظة وهو ينظر لجسده الذي فاقه طولاً
والشارب الذي غطى شفثيه وعرض منكبيه الذين امتلأوا بعضلات
ضخمة..

«تَبَّأ.. ما هذا الجسد العملاق؟!.. بل وتتجراً لتفوقني طولاً..
صاذا تناول في وجباتك لتكون بهذه الضخامة؟!.. أيها الوغد لقد
كبرت فعلاً!»

«أيها الزعيم أنت أوسم من السابق بكثير بل وكما تعاهدنا
سابقاً قد اعتنيت بجسدك ورييت بعض العضلات أيضاً.. لقد
افتقدتك كثيراً أرجوك اسمح لي بمعانقتك قبل تعنيفي..»

هل دار هذا الحديث بينهما؟! بالطبع لا.. فقط أعينهما نطقته
قبل أن يندفع نادر ليشد على قميص تميم صارخاً بثورة:
- ماذا يوجد داخل رأسك أيها الجثالة؟! كتلة من الشحم!!..

ألم ترَ سيارتي؟!.. ألم تتبه لمعاكستك الخط العام؟!.. و..
كان نادر يواصل صراخه في الوقت الذي تابعت فيه عينا سالم
المتسعتان سيارة الإسعاف الذاهبة ومد يده نحوها والتي تلطخت
ببعض دماء رأسه..

- نادر.. نادر.. سيارة الإسعاف.

صاح بها هلعاً ولكن لم يلبث أن قفز فزع أشد لوجهه حين
رأى نادر والضخم يسقطان أرضاً يتعاركان دون اهتمام به..

و..

غابت سيارة الإسعاف وسط الزحام..

بل وعلا فجأة صوت صفارة إنذار الشرطة التي توقفت أمام
الشاحنة واندفع منها شرطيان يحاولان فك العراك..

وأدرك عندها سالم أنه لا أمل لهما قريباً باللحاق بمريضتهما..

وليحمة الله من ويلات المدير وجام غضبه.

في بقعة مظلمة لم تصل إليها أنوار الطرقات ولا ضجيج
المدينة ولا صخب السيارات وقف أحمد وقد أكل القلق كل
تماسكه فيها هو يتحرك جيئة وذهاباً إلى جوار سيارته المركونة
وسط الظلمة والبرد القارس.

- لماذا؟! لماذا تأخر؟! -

تمتم بها قلقاً وهو يتلفت بكل الاتجاهات علّها تظهر..

وظهرت فجأة..

ظهرت سيارة الإسعاف التي أوقفت صفارة إنذارها منذ وقت
طويل، ليركض أحمد نحوها وبالكاد أوقفها زيد حتى لا ترتطم

به.

تحرك أحمد ليفتح أبوابها الخلفية سريعاً لترتطم عيناه بمرأى
فارس المنكمش على نفسه فتنهّد براحة لنجاح الخطة..

- هل هو بخير؟!

سأل أحمد بانفعال ليحييه حاتم بوجه عابس:

- بالتأكيد بخير وبكامل جسده دون أن يفقد ذراعاً أو قدمًا..

وحتى دون أن نخدره..

قال الأخيرة بكل مشاعره المَحْبُطَة ولم يفهم أحمد سر غضبه

فقد كان مجرد سؤال واحد يكفي أن يحييه بـ «نعم»..

تجاهله أحمد تمامًا وهو يمد يده لتلمس كف فارس..

انتفض فارس وشهق فزعاً وبدأ عليه الخوف لملمس راحة

يده الباردة، وكاد يفقد نفسه ولكن تلك اليد شدت على كفه أكثر

لتمنحه بإبهامها ثلاث ضغوطات متتالية جعلت فارس يهمس

فرحاً:

- أحمد..

ابتسم أحمد وارتاحت نفسه لتعرف فارس عليه كالخطة التي

رسمها لهم نادر، فيما ظل حاتم يرقبهما ببعض الغباء والبلاهة

لتلك التصرفات السخيفة وبحق..

- سحقاً.. فليخبرني أحد ما مرضه!!

- اشششششششش..

انطلقت بصوت زيد وأحمد في آن واحد لتُخرس حاتم..
ولكن كاد يشير للسماعة على رأس فارس.. (ألا يدرك الغيان أنه
لم يسمعه ولن يسمعه!!؟)

ولم يعلق، فقط زفر محققاً في الوقت الذي نهض فيه فارس
جالساً بمساعدة أحمد ثم دعمه ليقف..
قفز أحمد خارج السيارة ولكن ارتفاعها قد يؤدي فارس لعدم
رؤيته لخطواته فاضطر ليسنده وهو ينزل..
ولم يكذب يلامس فارس بقدميه الحافيتين تربة الأرض المبللة
حتى اقشعر جسده.. وتلاعبت الرياح الهائجة بملابسه وخصلات
شعره السوداء فضحك بملء فمه ورفع ذراعه للأمام لتتلقى راحة
كفه بعض نفحات الهواء الباردة..

لم يسمع صوت هديرها ولكنه تخيله..
ولم يمنع نفسه من أن ينحني للأرض ليمسح بكفه تربة
الأرض التي حُرِم منها لثمانى سنوات تباعاً ونطق:

- كان هنا مطر.. أنا أحب رائحة التربة الممتزجة بقطرات

المطر.

وتوسع أنفه وهو يستنشق نفساً عميقاً ملأ به صدره..
سعادة لا محدودة ملأت قلبه وهو فاقد النظر فاقد السمع..
فماذا لو اجتمعت حواسه كلها!!؟..

وكاد يقفز فرحةً لولا تلك الضغوطات التي عادت لكفه
المتسخة وأحمد يضربها بخفة كي لا توسخ التربة ملابس فارس
أو سيارته.

وهناك شخص وسط سيارة الإسعاف كاد يصاب بالجنون..
(لم يلمس التربة هل هو مختل؟)

فيما لازمت شفتي أحمد ابتسامة مشفقة لرؤية سعادته وأحاط
بكتفيه ودفعه بخفة نحو سيارته ليتحرك معه وقبل مغادرتهم رفع
رأسه لل اثنين متمماً بتحذير: - هذا الفتى يتبعه مجرم.. من الأفضل لكما المغادرة بسرعة

قبل أن يلحق بكما ويؤذيكما.

- مجرم؟؟

نطق بها حاتم وزيد بدهشة في آن واحد.. من يعني؟! .. هل هو
يعنيهما أو يعني نادر أو عن ماذا يتحدث بالضبط؟!

- غادرا الآن.. فهو قاتل وقد آذى هذا الفتى لذا نادر أخرجه

ليبعده عنه.

آه.. إذا فهو يحذرهما.. ضمنا ثواني قبل أن تنفجرا ضحكا

معا..

- هل هو خريج سجون مثلاً؟

سأل حاتم وما زالت ضحكاته تتردد فانعقد حاجبا أحمد

وتمتم:

- لا أظن.. ولكن..

- إذا ما زال مجرمًا مبتدئًا.. لا عليك.. لدينا الكثير مما سيثير

حماسه.

قالها حاتم ساخرًا فيما لوح زيد بكفه لأحمد المندھش كي
يرحل قبل أن يُفرغ حاتم إحباطه السابق فيه.

استجاب أحمد له ووقف بفارس أمام سيارته ودفعه إلى مقعد
الراكب لتعلو تعابير فارس الدهشة وهو يشعر بأحمد يثبت حزام
الأمان حوله..

و.. لقد عرفها.. إنها سيارة.. هو داخل سيارة وبلغت سعادته
أقصاها وكاد يخلف ما اتفق عليه مع نادر ويعد السّماعة والقناع
ولكن..

« إن ارتكبت أي خطأ ولو صغيراً فسأدخل السجن.. »

تلك العبارة التي رمتها له ذاكرته جعلت كفيه تتصلبان فهو لا
يريد أن يتأذى نادر، فعبس بوجهه قليلاً قبل أن تعلو شفّتيه ابتسامة
وتافذة السيارة تُفتح ليشرع بالهواء المندفع نحوه إثر تحرك
السيارة..

أخرج ذراعه وضجك وصرخ سعادةً ليتبعه أحمد ضاحكاً هو

الآخر.

- بعد مرور خمس ساعات .. ٣ فجراً -

« أنتم أيضاً لم تجدوه !!؟ »

زلزلت تلك العبارة جدران الخجرة المشتركة بالطابق السابع من مستشفى الصحة النفسية وبصوت فاضل الغاضب المكلوم.

تنحى المدير حزناً وتوتراً، وزفر سائماً تعباً ولفافة بيضاء تحيط برأسه فيما عدل نادر ملابسه الرثة من أثر عراقك تميم وعيناه ترمقان حارس فاضل ما بين لحظة وأخرى.

وكاد فاضل يبكي حزناً وقبضته تدك مكتب نادر صارخاً:

- خمس ساعات مرت منذ مغادرته للمستشفى ولم يجد أحد له أثراً.. حتى رئيس المحققين ورجاله لم يجدوه.

مع صرخاته ارتجف جسد مدير المستشفى المكتنز والتفت ليفرغ توتره في نادر:

- كُنْتَ تلحقُ به.. كيف فقدت عقلك لتشأبك مع سائق شاحنة؟!.. بل والأسوأ احتجزتكما الشرطة لثلاث ساعات ختمتماها بالتصافي والتنازل عن الأضرار!!.. ألم يكن من الأفضل لو تنازلت مسبقاً ولحقت بسيارة الإسعاف بدلاً من ذلك!!؟.

رسم نادر الخوف والضييق على كل ملامحه وهو يتمتم:

- لقد فقدت أعصابي.. لم أكن أظن أنني سأتعارك معه.

ثم التفت مشيراً بسبابته لسالم الصامت وصاح محققاً:

- ثم لم توبخني بمفردتي؟! .. كان سالم معي ورأى كل شيء بنفسه.

شجب وجه سالم وسط نظرات فاضل والمدير اللائمة ليصرخ:

- لقد حاولت ولكن دون فائدة.. ولم يفك شجارهما إلا الشرطة.. كما أنني كنت مصاباً.

توجهت الأنظار مجدداً لنادر ليقول فاضل بحقد متأجج:

- بالتأكيد ستفقد نفسك.. مجرم مثلك ما كان علي الثقة به.

انعقد حاجبا نادر غضباً فيما شهق المدير وسالم وعيونهما معلقة به بضدمة لو صفه بمجرم، ولكن نظراتهما المستهجنة تلك لم تهز ذرة من كيانه فقد كان شبه متيقن أنهما لا يعلمان ماضيه بل صرخ المدير فجأة مذعوراً:

- اللعنة.. ألف لعنة.. لو كنت أعلم أنه مجرم سابق لما قبلت به كطبيب للفتى.. بل وذلك سيبيء لسمعة مستشفىنا.

فيما نطق سالم بدوره بضدمة:

- كيف؟! .. كيف هو مجرم؟! ..

واتجه بنظراته اللائمة لفاضل صارخاً: «كنت تعلم أنه مجرم واثمنتته على قريبك؟! ..»

(لماذا تحول اللوم والتقريع نحوه فجأة؟...) ارتجف جسده
فاضل مدركاً أن لسانه قد هذى بشيء لم يكن عليه قوله أو كشفه
أمامهما..

ولكن نادر التقط الخيوط من أيديهم ليهتف:
- أنا شخص جيد.. وقد رأيتم بأنفسكم لقد اهتممت بالفتى..
والتفت لفاضل مستطرداً: « بل واستعددت لتنفيذ كل
طلباتك. »

- وكان من ضمن طلباتي أيها القدر محافظتك على هذا الفتى
ولكنك خيبت ظني ورحت تتعارك بدلاً من اللحاق بي..
« توقفوا عن إلقاء اللوم بعضكم على بعض ولنفكر جيداً وإلا
فلن نجد الفتى أبداً. »

صدحت هذه العبارة بصوت يأسر الذي دخل وسط شجارهم
ليأخذ له مقعداً قريباً من نادر وقد احمر أنفه من شدة البرد
بالخارج ليكمل بحدة ويأس:

- لقد بحثت بكل مكان ولكن لا أثر للفتى.
سقط فاضل جالساً على مقعده وقد توسعت عيناه لفقدانه
فارس بعد الاحتفاظ به لتسع سنوات.. لقد ضاع جهده..
وحلمه.. وأمله.. وماله.. والذي لم يعد يفصل بينه وبينه سوى
أقل من شهر!؟

أي حفل أسود وقاتم يعيشه الآن؟

تكلم سالماً بدوره وقد أخذ كلمات ياسر السابقة كبادرة
للتفاهم:

- أخبرتك: الفتى عنيف للغاية وغير متقبل للناس ولذا
يستحيل أن يتحرك دون أن يحدث شغباً هنا أو هناك ولن يلبث
أن يتم الإبلاغ عنه.

تكلم نادر بدوره وهو يجوب عيون الجميع وكأنه لم يوصف
قبل قليل بالمجرم:

- بل ومع مرضه العضال لن يستطيع التوافق مع أحد حتى ولو
حاول.. وهروبه من بين أيدينا كان خطأ جسيماً منه فلن يلبث أن
يعود مكسوراً صاعراً.

أوما سالماً برأسه مؤيداً له وهو يتابع بدلاً منه:

- بل وحين عودتنا من مركز الشرطة للمستشفى وجدنا طبيباً
أخبرنا أنه دخل فتى بمثل مواصفاته للمستشفى ووجدنا مراجعين
آخرين أحدهما أخبرنا أنه رآه يركض في ساحة المستشفى والآخر
أخبرنا أنه اتجه لسلام المستشفى الخلفية بمفرده دون أن يرافقه
أحد.

صاح فاضل محققاً:

- لماذا إذا لم نجده بالمستشفى؟! لماذا لم تسجل كاميرا

مراقبة المستشفى أي صورة له!! ثم هؤلاء الشهود الثلاثة لم لم يجدهم غيرك أنت ونادر؟!... فرئيس المحققين ورجاله لم يجدوا شاهداً بالمستشفى بأكمله.

أسرع نادر يُجيب:

- إنهما مراجعان وقد يكونان غادرا بوقت قدوم الشرطة.. أما الطبيب فقد تكون انتهت نوبته ولكن خذونا مجدداً أنا وسالم وسنحدد من وسطهم في الغد أي طبيب وسيشهد..

- وماذا لو شهد؟!... لو قال إن الفتى غادر من السلالم الخارجية!!.. سحقاً.. لقد قُضي الأمر.. لقد هرب الفتى وعلينا البحث عنه في الخارج.

غطى فاضل غيابه بكفه بعد كلماته اليائسة وقد ملأ وجهه همّ عظيم فيما قال نادر فجأة:

- أبلغ عنه.. انشر صوراً له.. في التلفاز، في كل مراكز الشرطة.. ومريض مثله سيسهل معرفته ففوضياه سيتجلب الناس إليه ولن يترددوا بالإبلاغ عنه..

وصمت واتسعت عيناه بضربة فيما ارتفع حاجباه بغير تصديق وهو يُبصر نظرة الفرع بعيني فاضل..

كانت مجرد عبارة ألقاها ليقطع شكه الضعيف بأن من المحتمل أن فارس لا يعلم عنه أحد بأنه حي ومسجون..

ولكن تلك النظرة الجازعة في عيني فاضل أخبرته بأنه لن ينشر
صوره أبداً لأنه يخائف من أن يُفضح..

فيما أخذ البقية كلمات نادر بجدية ليقول المدير بانفعال:

- هذا صحيح.. ولكن هل يملك أحد صورة له؟!

وراح يتلفت في تلك الحجرة قائلاً بندم:

- لقد منعت يا فاضل وجود كاميرات المراقبة وتصويره حتى
أنك منعت دخول أحد إلى حجرته لأنه قريبك ولأنه لو تم نشر
مقطع له فقد يسيء لسمعة عائلتكم الشهيرة.

لم يظهر على وجه فاضل أي ندم إطلاقاً بل وبحدة قال:

- لا يمكنني المخازفة بفضح عائلتنا.

شهق نادر وكأن ما قاله فاضل صدمه وقال بتغاب:

- ولكنه لا يحمل اسم عائلتكم.. إنه فارس راكان عبد

السلام.. انشره بهذا الاسم ولن يتلوث اسم أسرته..

- اخرس.

صرخ بها فاضل بثورة وهو يقفز واقفاً ليصدم الجميع..

ارتد نادر للخلف وقال:

- هل فيما قتلته خطأ؟! يمكنك أن لا تفعل ذلك إنه مجرد

اقتراح لا أكثر.

- ذلك الاسم أيها المجرم.. اسم وهمي غير حقيقي.. والفتى
ينتمي لعائلي وهويته الجديدة معي بل وراكان عبد السلام نفسه
الذي ربني له قد تنازل بوصاية الفتى لي رسمياً لذا قبل المستشفى
بوجوده.. إنه من عائلي و..

- إذاً أبلغ عنه باسم عائلتك وأرجنا..
قالها المدير غاضباً وساخطاً.. فهو لا يريد الإبلاغ عنه لا
باسم راكان ولا باسم والده الحقيقي؟!..!..! شيء من الانزعاج
ظهر بوجه المدير ولم يعد يفهم الواقع أمامه..
فيما لم يلحظ أحد تلك الابتسامة المتشنية التي ملأت وجه
نادر فقد حصل على ما يريد..
فاضل يخشى لو أعلن عن فارس أن يكتشف شخص ما حقيقة
أنه حي..

أنه يعيش.. يتنفس.. بل وحقيقة أن فاضل يخبئه..
ولكن من هذا الشخص الذي يخشاه فاضل؟!
هل هو راكان الذي يرفض فاضل نشر بلاغ عن فارس باسمه؟!
أو والد فارس؟!
أو مايا التي يصيح فارس دوماً بحبها له؟!
شيء من الراحة والاطمئنان ملأ كيان نادر فسيكون تنقله
يفارس ميسراً إن لم يبلغ عنه عمه..

- اتصل براكاڤ وأخبره بأنك ستشتر اسم فارس الذي تبناه باسمه فهذا سيقول من حرج عائلتكم الشهيرة. كما أن راکاڤ يعيش ببريطانيا كما أخبرتنا سابقاً وقد أولاك وصاية الفتى ولن يهتم بنشر اسمه في وطننا ما دام لن يسيء له في بريطانيا.

قول مغاير لما قاله المدير تماماً نطق به سالم ليحل هذه المعضلة..

ازداد وجه فاضل عبوساً وشحوباً ولم يجد رداً ليسكت فضولهما..

- إن مر يومان دون أن يظهر أثر للفتى أو يُبلغ عنه أحد فسيبلغ عندها عنه بل وسندرج ببلاغنا أنه نتيجة إهمالكم قد فر المريض. تتمم بها حارس فاضل منقذاً له. من تلك الأعين المرتابة، ليصفر وجه المدير ويشهق سالم رعباً فذلك قد يدمر سمعة مستشفى بل والمريض قد يتم إخراجهم من قبل عائلاتهم لو علموا أن مريضاً نجح بالهرب من هذا المستشفى الذائع الصيت. « وأبلغ أيضاً عن أن الفتى كان يتعرض للضرب داخل المستشفى. »

شهق المدير وسالم لقول نادر المفاجئ ولم يعلم الاثنان هل سيتكران خيائته لهن!! أو تعرض مريضهم للضرب!! فيما انعقد حاجبا فاضل وهو يتفحص وجه نادر المبتسم والذي تابع:

- حين جئتُ أول مرة كان جسد الفتى تملؤه الكدمات وعندها علمت أنه يتعرض للعنف الجسدي.

صاح المدير مفزوعاً:

- يستحيل أن يحدث ذلك في مستشفى.. نحن لا نضرب المرضى ولا نعنفهم.. ثم كيف لمجرم مثلك أن يتهم مستشفىنا بالإهمال؟!.

فيما أسرع سألهم يقول:

- لعلها من إيذائه لنفسه فظننت أنه يتعرض للضرب. حرك نادر سبابته قائلاً بثقة:

- كوني مجرماً هذا ما جعلني أعلم أنه تعرض للضرب من شخصٍ ما.

شحب وجه الاثنين والتفتا لفاضل الذي حافظ على برود أعصابه ليسأل نادر مباشرة:

- ولماذا لم تُبلغ سابقاً عن أنه كان يتعرض للضرب؟!

فرك نادر كفيه بعضهما ببعض وأظهر بعض التوتر وهو يقول:

- كُنتُ خائفاً.. خائفاً لأنني لا أعلم من هو الذي يضربه!!.

ومن الذي أرسله؟!.. وأستف لأنني شككتُ بك سابقاً فحين قدمتُ إليك وأخبرتني أن أشهد بعدم أهلية الفتى لتأخذ وراثته ظننتُ..

« سحقاً. »

صرخ بها المدير ووقف ليهتز جسده المكتنز وقد عقد حاجبيه
عصبيةً ليشتتم مجدداً ويصرخ:

- أيها الحقير.. كنت تحبسه في مستشفى من أجل الورث
وليس لحقيقة أنه آذى أطفالك.. كنت فقط تريد شهادتنا بعدم
أهليته لتستولي على أمواله التي قلت مسبقاً إنه يملكها.

وقف سالم بدوره إلى جوار المدير قائلاً:

- أيها المدير من الأفضل أن نقطع صلتنا بهم ونمسح كل
ملفات الفتى وحتى لو أبلغوا عنه سنكر وجوده بمستشفانا.

- وهذا ما كنت سأفعله.. فهذه القضية تتعدى قدرتنا وتسيء

بشتى الوسائل لمستشفانا الذي بنيناه بأيدينا.

وقف فاضل بدوره صارخاً:

- وكأنكم ستكونون قادرين على ذلك.. لا تزال لدي أوراق

دخول فارس للمستشفى.

صاح المدير:

- سنقول إنه بقي لشهر وغادر وسنجهز أوراق خروجه.. نحن

لا شأن لنا بك ولا بقريبك المريض ذاك.. ابحث عنه.. وليمت
بأي مكان فهو لا يهمنا.

- بعد أن سرقتم أموالى تتصلون من مسؤوليته!!

- نحن لم نسرق منك شيئاً فما أعطيتنا بإرادتك..

كانا يتجادلان وسط ابتسامة ونظرات مستمتعة خبيثة من نادر
الذي راح ينقل بصره بينهما وقد ذكره ذلك بالشجن وبرفاقه
الأربعة حين يبدرون الشقاق بين صفوف المساجين..

- هل ستشهد لي؟

انتبه نادر فجأة من شروده لصوت فاضل الموجه له ليردد
لحظة قبل أن يقول:

- نعم سأفعل..

رماه المدير وسالم بنظرات قاتلة ولكن سرعان ما تابع:

- ولكن هما يعلمان الآن أنني مجرم وإذا ما تم الطعن في كوني
مجرماً سابقاً لم يمر على سابقته عشر سنوات كاملة فالمحكمة
سترفض شهادتي.

ضحك سالم لهذا الخيط الذي أنقذهم به والذي تشبث به
المدير فوراً ليصرخ:

- نعم بالتأكيد سنفعل..

ازداد وجه فاضل شحوباً، وعيونه اتساعاً، فلأول مرة ومنذ

ثمانتي سنوات يحدث شرخ بينه وبين المستشفى..

أمواله التي خسرها عليهم لثمانتي سنوات..

مجاملتهم لهم ومجاملتهم له..

سنوات الانتظار الطويلة..

احمرت عيناه ونبض عرق جبينه وأدرك حارسه أن ضغطه قد ارتفع ليضغط كتفيه معيداً له للجلوس:

« للفتى مساعد: »

انتقلت الأبصار بالكامل لياسر الذي مسح أنفه والذي كان صامتاً. طوال الوقت ليقول بهدوء: « يا هادي »

- حين كنتُ أبحث بالخارج وأسأل أخبرني أحدهم أنه رأى سيارة إسعاف أخرى كانت قادمة للمستشفى ولكن سيارة الإسعاف الأولى أشار قائدها بيده لهم ليذهبوا لأنه سبقهم.. وهذا أثار حيرتي.. وشككت بأن يكون هناك مساعد له في سيارة الإسعاف.

صمت الجميع ذاهلين ما عدا نادر الذي اصفر وجهه وازداد اصفراره حين قال سالم:

- هذا صحيح.. وقدومها السريع كان غريباً بل أنا بنفسني رأيت سيارة الإسعاف الأخرى ومغادرتها.

- أنا.. أنا اتصلتُ بهم قبلك يا سالم.
تكلم نادر وهو يناوب بصره بينهم وإن ظهر توتر حقيقي بعينه.

- وأنا أيضاً اتصلتُ بهم ولعل هذا ما جعل الأمر يختلط عليهم.

قالها المدير هو الآخر ليهذا الجميع بل وتنفس نادر الصعداء..

ولكن لم يلبث ياسر أن قال:

- ولكن هذا لا ينفي أن للفتى مساعداً فطوال بقائي لثماني سنوات أرافقه لم يستطع الفتى التحرك خارج حجرته ولا مقابلة الناس فما الذي استجد ليكون بكل هذه الجراءة، بل والأشوأ هل كان يندعنا حين تظاهر بإصابته بالزائدة الدودية!!؟

اشتدت قبضة نادر وإنعقد حاجباه ليقول:

- الفتى ليس بهذا الذكاء.

ابتسم ياسر وهو يقول:

- وهذا ما فكرتُ به.. من أوحى له بفعل ذلك؟ فلو كان حقاً يعاني من المرض فهل كان سيبتعد إنشاً واحداً بعيداً عن مكان علاجه وهو يتلوى ألماً؟!

تساؤلاته المنطقية أثارت حيرة الجميع بل وشكهم فعيناه كانتا مسلطتين طوال حديثه على نادر.. نادر وحده..

فهو من أبلغ الجميع بكونه مصاباً بالتهاب الزائدة الدودية..

ابتلع نادر ريقه وقبل أن ينطق مدافعاً عن نفسه كان قد صاح سالم محققاً:

- عن أي هراء تتحدث؟!.. نادر كان بصحبتى طوال الوقت وأنا شاهد على ذلك ولم نفرق أبداً.. ولو كان لديه مساعد فهو

قد يكون من الخارج وليس من مستشفانا.. ثم أي مصلحة قد يجنيها من تهريب الفتى؟!!

ألجمت الألسن فشهادة سالم واضحة للغاية. ولكن نطق نادر فجأة وقد خرج بالكامل من تمثيليته المملة ليستعيد بروده وعينه تظلمان وتظلمان وهو ينتبه للذكاء المفاجئ للمائل أمامه وقال:

- ولم لا تكون يا ياسر أنت من ساعده؟!.. فقد تغيبت البارحة عن نوبتك وطوال فوضوية ما نحن فيه لم تأت بل ولم تقدم عذراً لغيابك.

شهق فاضل وعينه مسمرتان على ياسر بصدمة وحمل وجهه تعبيراً غريباً، فيما شحبت أوجه البقية وكان أكثرهم شحوباً وجه ياسر الذي قذف نادر الكرة لمزماءه وأصاب هدفًا..

استعجمت عليه الكلمات وأدار عينيه الباهتين لينظر لفاضل الذي صاح مدعوراً:

- هل فعلت به شيئاً؟!.. هل خنت ثقتي بك؟!.. أنت.. أنت لم تؤذه لدرجة قتله؟!.. أليس كذلك؟!!

- أقسم أني لا دخل لي بهروبه وتغيبي بسبب أنني كنت.. وصمت ولم يكمل.. وتضاعف الشك آلاف المرات في قلوب الجميع و.. فقط أحدهم كان يحتاج لدليل واحد ليكون متيقناً و..

نهض ياسر ومد يده باتجاه فاضل ليتقلص كم معطفه الطبي..

و...
تفجر بركان.. ما زال الدم يحملي..
تفجر حقيقة وليس مجازاً..

تفجر بركان بشري.. لم يكن خامداً يوماً ولا لثانية واحدة..
كان فقط عده التنازلي الأحمر قد بدأ منذ ليلة..
وها قد وصل للصفر..
وكل ما احتاجه أن يرى ذلك الأثر فقط ليتفجر أسوأ من كل
سابقاته..

واستحالت عينا ذلك البركان البشري حمماً ملتهبة واسود
وجهه وصمت..

نعم لم يتكلم..
لم يشهق..

لم تصدر أنفاسه الملهبة صوتاً حتى..
وكل ما حدث تالياً هو نفسه لم يعرف كيف حدث..
هو الآن فوق جسد ياسر وقبضته تعمل، الدماء تتناثر من شفتي
ياسر وأنفه..

وجهه اعتلاه تشوه فظيع..
إحدى عينيه بدأت بالتورم..

ومن الله أن تكون حميت..
وفجأة تحرك ذلك البركان ليقبض بكلماته على رأس ياسر
وعلى الأرضية راح يدكه.. ويدكه..
ويدكه..

صرخات من حوله..
محاوالاتهم جذبه بعيداً عنه..
جميعها لم يشعر بها نادر حتى رأى ذلك الأحمر القاني ينساب
من أسفل رأسه..
وهل سيتوقف؟!
كلا لن يتوقف.. تلك اليد التي امتدت لمعطفه وسرقت
مفاتيحه..

راح يضربها ويحطمها بقبضته وسمع تكسر بعض العظام..
هو فقط يتسلى به قبل قتله..
لم ينم بسببه.. لم يرتح بسببه.. بكاء الفتى وخوفه بسببه..
بل ومرضه بسببه..
ذلك الجسد من أسفل منه هداً تماماً ولكن ما زالت قبضة
نادر المكومة تتنقل على مساحة ذراعه محطمة لها..
وعيناه تُحدقان بأثر الأنياب المغروسة فيها..

أنياب فارس..

وأراد الانتقال للأخرى..

ولكن لحظة.. ما زال القلم بجيبه ويحمل دماءه لم لا يكمل ما

بدأه فارس؟..

...

ارفع بغتة رنين هاتفه بنغمة مميزة..

تلك النغمة صارعت عقله كي توقظه من سكرة غضبه و..

..

« سيقتلك »

صرخة مدوية هزت الحجرة بأكملها، ونادر يتلقى على رأسه

ضربة غاضبة عنيفة من سالم ليلتفت للخلف ليقتله هو الآخر..

وتجمد فجأة وهو يُبصر حارس فاضل شاهراً مسدساً باتجاهه

فيما كان فاضل إلى جواره يرتجف من رأسه إلى أخمص قدميه

فمن أمامه أشد جنوناً وإجراماً من مجرمه الحقيقي.

ابتعد نادر عن جسد ياسر ولا يزال فاقداً تماسكه بالكلية.. لقد

فقد نفسه وحطم كل مخططه ولن يجد مخرجاً الآن لا لنفسه ولا

لذاك المسكين فارس..

« ماذا بك؟!.. أيُّ لوثة أصابت عقلك؟!.. لقد قتلت الرجل.. »

قالها المدير مفزوعاً وهو يقسم أن من أمامه لا ينتمي لمجال

الصحة إطلاقاً..

ولم يكن نادر قد خرج ممّا هو فيه.. فذلك الوغد المفترش
الأرض بجسده كان نادر يعلم أنه هو.. هو المجرم.. ولكن شيء
في نفسه لم يرد ذلك..

مرافقته له.. استبساله للحصول على صداقته.. ومساعدته له
وتغطيته لغيابه.. هو حقاً أراد أن يكون سالم أو ذلك الحارس
ولم يرده ياسر..

وعلى الرغم من كل عاطفته الراضية إلا أن قبضته تحركت
بمفردها وصنعت ما صنعت كالسابق تماماً..

كيوم مرافقته..

مسح نادر الدم على معطفه وناوب بصره بينهم.. الكل
مفزوعون وخائفون منه و..

- كان يتهمني مسبقاً أنه أنا.. ولو صدقتموه فسيأطرد من
وظيفتي وأنا بالكاد حصلتُ عليها ولكوني مجرمًا سابقًا لن
يوظفني مستشفى آخر.. فيما كان هو من اختطفه.. وتغيبه وتلعثمه
وخوفه هو الدليل..

كيف نطقها شفتاه؟ هو نفسه لا يعلم ولكن لم يلبث أن قال
المدير محتدًا:

- بهروب الفتى أنت مطرود سلفاً وبعلمي أنك مجرم ولا

حتى مريضاً ساقبك بمستشفى ولا يحتاج الأمر إليه ولا لما
قاله.

هل ينقل البركان إلى جسد المدير؟! قاوم نفسه بصعوبة...
فيما لا يزال جسد سالم يرتجف ممّا فعله نادر وهو يغطي
بعض جراح ياسر النازفة إضافة إلى فزعه من ذلك المسدس بيد
الحارس مستغرباً في نفسه كيف يتنقل به...
ولكن انتبه فجأة لكلمات فاضل الأخيرة قبل ثورة نادر ليسأل
بصدمة:

- لقد.. كنت تسأل ياسر إن كان آذى الفتى وهذا يعني أن
قول نادر صحيح فهناك شخص يؤذي الفتى!!... بل.. بل أنت لم
تهتم بكونه يؤذيه.. فقط استنكرت أن يؤذيه إلى درجة القتل.
شهق المدير لهذه الحقيقة الصادمة وشحب وجهه ليباري
وجوه الموتى وهو يصيح:

- بل.. بل ياسر من وظفه هنا هو فاضل نفسه وبنفس يوم
التحاق فارس بمستشفانا.

(كيف ينتقل الحديث دوماً من مطاردة فارس وريث أموال
والده ليتهموه بتهم حقيقية لا يستطيع الرد عليها؟! هذا ما فكر به
فاضل وقد انتفض جسده كما لو تم القبض عليه بالجرم
المشهود...
- يا إلهي!

همس بها نادر فجأة وهو يخرج قلمه المسجل عليه اسمه ليتابع بانفعال مبالغ فيه وقد تمالك جزءاً من رباطة جأشه على الرغم من الجسد الدامي إلى جواره:

- البارحة حين فقدت الوعي كنتُ قد نسيْتُ قلبي بحجرة الفتى وبعد أن ساعدني شالم لأُفيق وجدتُ دماء به وأظن الفتى استخدمه للدفاع عن نفسه ضد ياسر حين هاجمه. لم يفهم المدير ما قاله فقد خبئوا الأمر عنه ولكن شالم اتسعت عيناه لآخرهما وهو يصيح:

- لعل هذا سبب ثورة الفتى البارحة وعنفه فالجميع بحثوا عن مصدر الجرح بجسده ولم نجد... والتفت لينظر لذراع ياسر المضمدة وانتفض جسده وهو يذكر كيف كان نادر يبحث في ذراعيه.. إذاً نادر كان يحاول حماية الفتى فقط ويريد معرفة من آذاه.. بل وكان يشك به..

ظل متحديق النظر بنادر الذي لا يزال يلهث ثم عقد جاجيه وقال بحزم:

- نادر لا شأن له بهروب الفتى.. بل وقد تولى رعايته بإخلاص وياسر على الأرجح هو الذي هاجمه ولعل صياح الفتى من معدته بسبب الضربات التي تلقاها منه وحين أخرجناه من المستشفى

هرب لأنه خائف منه..

وامتقع وجهه مستطرداً:

- كما أنه يحاول دوماً الانتحار ولن أستغرب لو وجدنا جسده غارقاً بالبحر أو بأي مكان.

ارتخت ملامح فاضل أمام هذه الحقيقة المنطقية الوحيدة والمقنعة لما حدث ولم ينبس أحدهم بعدها بشفة..

وظل الصمت سيد الموقف وكأن الأمر حُسم قبل أن يُدخل الحارس مسدسه واتجه لجسد ياسر ليحمله على كتفه بخفة فهو مسئوليتهم أولاً وآخرأ..

كما أنهم بحاجة لاستجوابه..

فقد يكون سئم من مماطلتهم له وقتل الفتى أو اختطفه..

بل وتغيبه عن نوبته يزيد من تلك الشكوك..

كان يتحرك فاضل مغادراً حين أمسك نادر بذراعه قائلاً:

- أنت.. أنت وعدتني بالمال.. وظفني معك فلا ذنب لي أن أطرده وأفقد مستقبلتي.. لا تجعلني في هذا الحدث الخاسر الوحيد.. فقد كنتُ مخلصاً لك..

حدجه فاضل بنظرة مشمئزة وتجاهل توصلاته، وطرده عقله

كل ذرة شك به كونه مهرب فارس فقد خسر وظيفته بل وشهد له سالم بأنه كان برفقته.. فسحب ذراعه بعنف قائلاً بتكبر:

- فلتمت جوعاً.. كان عليك أن تحرص على الفتى أكثر.

ثم خرج ليلتفت نادر للمدير الذي صاح مخاطباً فاضل:

- أنا جاد.. سأنكر أي علاقة لنا بك أو بسفاحك المتنكر.

توجه نادر نحوه ليقول مستعظفاً:

- ليس عليك طردي.. سأكون جيداً!

- اخرس واحزم أغراضك وارحل.

ألقي بها المدير له قبل أن يغادر فيما اعتلت عيني سالم نظرة مشفقة وقال:

- أنا أسف.. لقد كنت مخلصاً حقاً.. ولكن مصلحة

المستشفى فوق كل شيء وأرجو أن تجد عملاً قريباً.

قالها وغادر هو الآخر دون أن ينتظر رد نادر الذي ما أن غادر

الجميع حتى شد قامته وتراقصت على شفتيه نصف ابتسامة متهكمة..

الشرح بين المستشفى وفاضل سيعيق التحقيقات ولن يكون

هناك تعاون.. وإن لم يطلب فدية لاختطاف فارس فهذا سيُبعد

الشكوك أكثر عنه وسيبقى الجميع ما بين شكوكهم بكون فارس

هرب بنفسه أو أن يأسر له دور في الأمر..

- ولا أظن أن مجرمًا سيء السمعة مثلي قد يُظن به فعل عمل

خيري.

وهز كتفيه (الحسنة الوحيدة لكونه مجرمًا).
زادت ابتسامته اتساعاً وهو يحدق بحاسوبه المحمول
لموضوع فوق المنضدة والذي صور ما حدث كاملاً..

ثم أطبقه وقد ارتجف صوته غضباً:
- وكأني سأجعل إهاناتهم لي تمر.. لم أفعلها ولن أفعلها طوال

- ٥ فجراً -
حمل نادر حقيته على ظهره وقد بدا في أجمل وأبهى حلة على
نقيض وجهه الذي رسم حزناً ومسكنة كادا يقتلانه غيظاً
لاضطراره للتمثيل حتى آخر دقيقة وهو يغادر الطابق الأول
للمستشفى وسط نظرات العاملين به والتي امتزجت بين التشفي
والتعاطف.

وبمجرد أن احتل مقعد السائق بسيارته حتى تغيرت ملامحه
تماماً وعلتها البهجة والارتياح وهو يرتب خصلات شعره في
المرآة الداخلية و..

« زعيم أنت بخير؟! »

ارتفع من الهاتف صوت تميم والذي كان قد ضغط نادر إجابته
سبقاً ليرد:

- أين لقاءنا سيكون؟
صمت لحظة يستمع للمكان المتفق عليه ثم حرك السيارة
نحوهم..

تأمل قبضته التي لا يزال بها بعض آثار الضربات، وبحق هو
رغب بقتله ولا يزال يرغب ولكن قد يُمنح يوماً ما فرصة لذلك..
ولا بأس إذا ما قضى بأسر باقي أيامه يحمل جريرته هو بهرب
فارس.

ضحك بقوة فهو قد رتب للأمر ولكن لم يكن يظنه سيكون
بهذا الشكل الجميل.

« هذه ليست سوى زوبعة ما قبل العاصفة.. وإذا كانت أسرته
لا يعلمون حقاً بكونه حياً فستزلزل حياتك بأكملها يا فاضل
أنت وهذا المستشفى إذا ما رفعوا قضية عليكم. »

نصف ساعة وكان نادر يغادر سيارته وقد ابتسم وعيناه تبصران
الثلاثة الذين كانوا يقفون مستندين بظهورهم على شاحنة تميم..
لم ينتبهوا له وقد بدوا منسجمين في الحديث كالماضي تماماً
حين يكتفي بمراقبتهم فقط داخل زنزانتهم..

ظهر التردد عليه ثواني..

هم يستحقونها فعلاً منه..

ولا يدري كيف ولكن لم يتمالك نفسه لابتسم وهو يمشي

مشية متبخرة اعتادوا عليها حين كانوا يسقطون أحد زعماء
السجن..

لم ينتبهوا له فشر ببعض الخزي..
« زعيم »

صرخ بها تميم لينتبه الجميع لنادر الذي كان يقف وسط
الطريق بخطوات مشيته نفسها فقفز لوجهه جرح شديد وتمنى لو
يمسحها من ذاكرتهم ولكن..

أوووووه افتقدتك حقاً..

صرخ تميم وهو يركض ليعتقه حتى أن قدمي نادر ما عادتا
تلامسان الأرض وبحق لم يكن يظن أنها ستكون ذات أثر عليهم
لهذا الحد..
« يا رأس البطيخة.. أنت تخنقني.. لا تعانقني! »

لم يهتم تميم لصبرخاته الغاضبة ومحاولاته إبعاده حين شعر
الاثنان معاً بجسد حاتم الذي قفز فوقهما وبالتحديد فوق رأس
نادر صائحاً:

- وأخيراً.. لم شمل زنانة ١٠٩.

ضحك زيد من بعيد قبل أن يتحرك ليقف أمامهم، وهما لم
يفكا الخناق عن نادر ولم يهتم بمشاركتهما عناقه فهو قد التقى به
قبلهما.

وبعد وقت تراجع الاثنان للخلف لينظرا لمظهره الذي تغير
وملابسه الباهية وهيئته الوسيمة.. كان يختلف تماماً عن
ماضيهم..

وقبل أن يتحدثوا كان قد تلقى تميم قبضة نائرة على رأسه..
فيما سقط حاتم أرضاً بركلة على ساقه من نادر الذي صرخ:
- معطفي قد تجعد.. وشعري تبعر.. وحذائي اللامع لامسه
غبار أقدامكما القذرة و..

واستمر بتعنيفهما ليضحك الاثنان..
« كالأيام السابقة تماماً.. ترفض مشاعرهما المحبة لك
والمليئة بالنقاء.»

قالها زيد ليحذجه نادر بنظرة نارية وهو يرتب هندامه:
- نقية!؟.. أحدهما كاد يقتلني والآخر كاد يكسر رأسي..
توقف الثلاثة فجأة أمامه صفّاً واحداً ليرقبهم بنظرة مترددة
قبل أن يصيح:
- سحقاً.. لا.

- أرجوك يا زعيم.
صاح بها تميم وحاتم ولولا أنهما ساعداه لرفض ولكن لم
يلبث أن أطبق شفتيه قبل أن يقف بدوره ليرطم بكتفه كتف كل
واحد منهم كتحية أهل السجن:

وبمجرد إنهاهم لذلك حتى حتى نادر رأسه هامساً:

- سيغطيني الحرج لعام قادم بأكمله.

- يا زعيم أنا لم أرتكب أي خطأ أبداً وقد اختطف الفتى ذلك

الأحمد الغبي.

رفع نادر رأسه لينظر لحاتم الذي تابع بحماس:

- بحق لم اخترت غيباً مثله ليكون صديقك!! هو حتى لا

يعرف أننا مجرمون.. بل والأسوأ ذلك الفتى المختل راح يلعب في

التد...

- لا ينبغي أن يخرج وصف مختل من فمك أنت بالذات؟!..

والتفت لزيد ليسأله بحدة:

- هل خالف الخطة؟.. هل آذى الفتى؟! هل هو حتى حاول

التدخل في تفاصيل الخطة؟!..

ابتسامة متوترة رسمتها شفتا زيد وهو يجيبه:

- كلا.. كلا.. الأمور جميعها تمت كما خططت له ولم نخطئ

أبداً.

- هذا جيد.

نطق نادر وهو يرتكن بظهره على الشاحنة من خلفه فيما سأل

تميم بانفعال:

- زعيم.. قبضتاك.. ماذا حدث؟!.. هل قتلت أحداً!

- حسنًا.. كان الوغد بمحطته الأخيرة ولكن رنين هاتفني
باتصالكم أوقفني لسوء الحظ..

ألقي بها هازئًا ساخرًا ولكن ذلك لم يُضحك ولم يعجب
الثلاثة الذين صرخ زيد أولهم:

- لا تقحميني في جرائم قتل.. فجرائمي بالكاد تبقيني سنوات
بالسجن.

فيما قال تميم: « لا تؤذ نفسك أرجوك. »
أما حاتم فقد تمتم ساخطًا:

- دائمًا المقطع الجيد من الخطط تستأثر به لنفسك.
ثم تذكر شيئًا ليخرج من جيب سترته الداخلي ورقة أعطاها
لنادر قائلاً:

- انظر هذا موعد المحاكمة التي ستكون الفتاة الجميلة
محامية فيها وموعدها بعد شهر من الآن.
التقط نادر الورقة منه والتهم حروفها وبدأ عليه الحماس فإذا
مايا سيتعود للوطن مجدداً وهي فرصة جيدة لمقابلتها.

- خذني معك إذا ما أردت مقابلتها فهي جميلة ولعل لدي
بعض الجاذبية التي ستسحر ثرية مثلها.

- إن كنت تملك جاذبية فتلك الفتاة لا تملك أي جاذبية
إطلاقاً كما أنها بغیضة ووقیحة.

- أكثر منك؟!!

سأل تميم باندهاش ليعبس نادر فيما ضحك الباقيان قبل أن

يقول نادر:

- لن أقابلها بشكل عادي سأختطفها.

شحبت أوجه الثلاثة فيما تابع نادر بصدق:

- وجوابها على أسئلتني سيحدد إذا ما كان علي تركها تعيش أو

أدفنها برحابة صدر.

قال الأخيرة باستمتاع عجيب وكأن بينهما حقداً ماضياً ويده

تمتد ليمس شعره المبرخ جيداً.

فيما أسرع زيد ليخرج من جيبه بطاقة يأولها لنادر قائلاً:

- إنها الهوية المزورة التي طلبتها للفتى.

أخذها نادر منه وبدت كالحقيقية تماماً فقال بحق:

- لم أيها الغبي لا تترك هذا الطريق السلي الذي تتخذه

وتستأجر محلاً للإلكترونيات وتكسب رزقك منه بدلاً من

تضييعه في مثل هذه السخافات؟!.

هل هو يمتدحه أم يذمه؟! لم يفهم زيد ولكن تلك الفكرة

أعجبت له لم لا يكسب رزقه دون خوف من الشرطة؟!.

- زعيم.. ألا تريد أن ننشئ عصاة جديدة وتقودها؟! وبحق

دعنا نخطف الفتى المختل ونطلب فدية.

بتر حاتم عبارته بخوف حين رأى نظرات نادر.. (وبحق لم هو

يكرر مختل أمامه (١١؟) ..

- المرأة المسنة صاحبة الملايين التي منحتك سيارة إسعاف
من مستشفاهما لم لا تتزوجها؟!
قالها نادر صادقاً ليصرخ حاتم ويحتضن جسده فزعاً:
- لا.. شبابي أضيعه عليها.. لا وألف لا..

- ألم تقل إنها بآخر مرضها وستموت؟ تزوجها أيها الغبي
وخذ أموالها بدلاً من تضييع عمرك في مطاردة منسنيات غيرها
وبعدها خذ أيًا من الشابات اللاتي ترضيك.
ازداد عبوس حاتم فيما التفت نادر لتميم وفتح شفثيه وأطبقهما
وصمت برهة ولم يلبث أن تحدث:
- ابق أنت كما أنت.

ابتسم تميم لعبارته التي اعتبرها كمدح فيما نظر نادر للرأس
حاتم الذي لا يزال الضماد يلتف حوله وذراع زيد المرفوعة
وكانها مكسورة وقال:

- تقمصكما لدور مراجعين كان جيداً أمام الطبيب سالم، هو
حتى صدق كل كلمة قلتماها كشهود على حادثة هرب فارس من
المستشفى.. كما أن تغطيتكما للسيارة الإسعاف لتشابه سيارة
المستشفى العام كانت مذهلة.

ضحك الاثنان بحرج وأزالا تلك الضمادات الكاذبة، وبحق

هما لم يبعدها إلا لأنهما بحاجة لمثل هذا الإطار منه وقد منحهما إياه ولكن بطريقة « هذا ما انتظرتماه فخذاه إذا »

ارتفع رنين هاتف نادر فجأة ليأخذه وينظر لاسم أحمد المذون عليه وفتحه:

- أيها الأحمق أين أنت؟! لم لا ترد على اتصالاتي؟! هل أنت بخير؟! هل استطعت اتباع الخطة وتخليص نفسك دون أن يشكروا بك؟! أنت لم.. ماذا فعلت؟

تحرك نادر مبتعداً عنهم ليلوي حاتم شفّيته متمماً بحدة:

- إنه صديقه الغبي ذاك.. بل ويصرخ في وجهه.. غابت عن نادر بقية محادثتهم وهو يسمع أحمد يواصل حديثه انغاضب:

- لقد تأخرت كثيراً.. والفتى.. الفتى..

- ما به فارس؟! هل هو بخير؟

- إنه بخير.. وقد وضعته بالحجرة وأغلقت عليه الباب وقد ظل لثلاث ساعات صامتاً كما وعدك قبل أن أسمعه يطرق الباب متادياً لك وسائلاً عنك.. وقبل قليل بدا صوته عصياً وهو يسأل ن كان أصابك سوء فهو خائئ...

- أنا قادم.

ألغاه نادر وأغلق هاتفه ببرود قبل أن يقفز لسيارته وابتسم

وهو يراهم يلوحون له بأيديهم مودعين ولوح لهم بدوره وكان
هذا لقاءه الأخير بهم.

كان يفصله عن مكان فارس عشر دقائق بالسيارة فتوقف أمام
خدمة قهوة بالطريق ليطلب لنفسه قهوة ساخنة بعد هذه الليلة
العصيبة...

ولم يلبث أن غالب نفسه ليقول ساخطاً:

- وقهوة مثلجة تعلوها الكريمة والشوكولا.

وصلت.. فقد طلب فارس منه مرة تذوق القهوة ولكن

المثلجة أفضل لفتيان بعمره...

لم هو يفعل ذلك؟! .. لم هو يطيعه؟! .. لم هو أنقذه أصلاً؟!!

هو حتى خسر وظيفته ومستقبله بسببه!!

هل سيجد يوماً إجابة لكل تساؤلاته المستفهمة؟!!

الفصل الخامس عشر

(خربشات.. خربشات.. خربشات..)

توقفت كفه الصغيرة عن رسمها وعبس بوجهه الجميل وهو
يبعد الكراس بعد أن كان مستلقياً فوقه..
اعتدل جالساً وتطلع للباب وذاكرته تُلقي له كلمات مايا
المعددة

« لا تخرج.. ابق هنا وارسم حتى أعود. »

امتدت شفتاه وبدأت عيناه منذرتين ببكاء شديد فقد مرت ساعة
كاملة مُنذ تركها له بالحجرة..

جذبه من خضم ملله ومصارعته لرغبته بالخروج أصوات
عالية ومتداخلة من صالة المنزل، فوقف وبفضول طفولي غادر
الحجرة إلى حيث تلك الأصوات..

« جدي؟!... »

ترددت تلك الصرخة العصبية المستهجنة بصوت مايا ذات
الأربعة عشر ربيعاً ووجهها المحمر حنقاً يواجه مسناً تعدت
سنواته الستين وكفه تشتد على مقبض عصاه الذهبي ذي رسم
الطائر فيما راح أسفل عصاه الأسود يدك أرضية الصالة إثر اقترابه
منها وشفتاه تنطقان بلطف:

« أنتِ ابنتي.. ابنتي أنا.. توقفي عن عنادك ولتعيشي معي
بالمنزل وسأوفر لك كل ما تحتاجينه وترغبين به.. فأنا جدك
وولي أمرك بعد وفاة والدك. »

ارتفعت كفاهما لتشتدا على خصرها ونظراتها المتحدية تصدم
لطفه الكبير وتحطمه:

« ما زلت تكرر كونك جدي؟!.. تبّا.. أنت لست إلا نكرة..
ولتخرج من منزلنا.. ثم من قال لك إنني بحاجة لمالك؟!.. أفضل
الموت جوعاً والعيش مشردة على أخذ قرش منك حرمت
والدي منه. »

احمر وجه ذلك العجوز وترقرقت عيناه بالدموع لذكرى ولده
الراحل منذ سنين واقترب منها قائلاً برفق:

« أخطأت بحقه.. ولكن لا تعيشي مع رجل غريب لأنك فقط
غاضبة لأنني لم أمنحك المال الذي يجعلكما تعيشان الرفاهية.. »
صرخت مقاطعة له باستهجان:

« ما زلت تهذي بالمال!!.. هل هذا كُلُّ ما يُهمك؟!.. أنا
غاضبة لأنك قتلت والدي أيها العجوز.. وإن بقيتُ معك بمنزل
واحد لا أظنك ستعيش لليوم الذي يليه. »

اتسعت عينا المسن فرعاً فيما أشارت للرجل الواقف بعيداً
يرقبهما بصمت صارخة:

- والرجل الغريب هو زوج أمي.. هو من اعتنى بنا في فترة
سجن والدي وبعد قتلك لوالدي فلا تتحدث عنه وكأنه لا شيء..
بل أنت.. أنت لا شيء..

تراوحت تلك التغاير في وجهه زاكأن ما بين السعادة
والاستهجان.. السعادة لامتداحها له.. والتوتر والاستنكار
لوقاحتها مع جدّها، ولكنه ظل يقبع بالزواية لا يتدخل بين النارين
المشتعلتين ومن الجيد أن زوجته فاتن في الشوق وإلانشب
صراع أعظم وأسوأ..

« عيشك مع والدك وسط لصوص مجرمين قد أفسدك، أنت
بحاجة للتهذيب لتكوني سيدة مجتمع راقية كما يريد والدك، »
رد المسن وعيناه مسطّتان عليها بحدة لتحذجه بنظرات نارية
قائلة..

فهل تغضب لتقليله من احترام والدها واتهامه بأنه لم يُحسن
تربيتها؟!..

أم لأنه الآن يُريد إعادة تربيتها لتكون سيدة!!.. بل والأغرب
هو يتحدث كما لو كان يعرف ما يريده والدها!!..
« حقاً؟!.. كيف ستهذبني؟!.. كما هذبت ابنك الذي نبذته..
وسجنته.. وأبعدته عن عائلته.. هل تريد سجنني أنا الأخرى
والتسبب بقتلي كما تسببت بقتل ابنك أمجد؟!.. ابنك الذي ظل

يتردد عليك خمس سنوات طالباً رضاك وصفحك إلا أنك لم
تكثر له.. وهل تظنني نسيت كيف حملني إليك وأنا في الخامسة
لُيريك أن لديه طفلة وأن عليها معرفة جدها ولكنك رفضت
استقباله وطرده واصفاً نسله بالمشين؟!..»

ارتخى جفننا المسين وأطبق شفثيه واعتصر قلبه الألم والندم
وباقى كلماتها يغيب عنه، فلم يظن أن ضغيتها نحوه قد بلغت هذا
الحد.. فيما تابعت مايا وهي تمنحه ظهرها مغادرة:

- إجرام والدي أنت سبيه.. وموتة أنت سبيه.. أنت لا تنفع
كأب ولم تكن أباً فلا تمارس دور الجد علي.. وأفضل أن يفرق
بيننا الموت على أن يظل رأسينا سقوف واحد.

كلمتها الأخيرة ألقتهَا وغادرت الضالة بخطوات غاضبة
ليتبعها راكان هامساً لها بعدة كلمات مؤنبة..

فيما انهارت الدموع من عيني المسين حتى ارتفع نسيجه باكياً
ولم تستطع قدماه حمله ليرمي بثقله على مقعد هزاز قريب..

طال بكأؤه وطال ومألت الدموع وجهه كما ملأته التجاعيد..
وشفتاه تُمتمنان بقلب مفطور ألماً

«بُني.. بُني أمجد.. كُنتَ صالحاً وقد أفسدتك.. فليغفر الله
لي.. ولتغفر لي بني في قبرك..»

شهقاته علت وكفه المجعدة ترتفع لتمسح وجهه و..

التقطت عيناه....

التقطتا من فرجة الباب صورة ذاك الطفل الصغير ذي السنوات
الخمس والذي أطل برأسه من فرجة الباب لتهتز خصلاته السوداء
الطويلة أمام عينيه مانعة عنه الرؤية فرفع كفه ليُبْعِدَها واختل توازنه
فسقط على الأرض..

رخت ملامح المسن وهو ينظر للصغير الذي ذلك أنفه المما
قبل أن يقف ودون تردد تحرك نحو المسن ليقف قبالة مبادلاً إياه
النظرات بابتسامة جميلة عذبة..

وظل صمتهما ثواني قبل أن يكسره الصغير وهو يقترب منه
ليمد كفه لاسماً مقبض العصا على هيئة الطائر بانبهار وقد
أعجبه..

منحه المسن عصاه فعلت ضحكاته الطفولية وهو يتلمسه
ويحركه يمنة ويسرة فيما ابتسم المسن سائلاً:
- ما اسمك؟!

- فارث.

أجاب وهو يلتفت نحوه مانحاً له أجمل ابتساماته ولكن
صدمته تلك الدموع التي انهارت غزيرة من عيني المسن وبكاؤه
العنيف وذراعه تمتد نحوه.. اجمر وجه فارس وانتقل الحزن لقلبه
فتحرك نحو المسن ليُمسك مسند المقعد وراح يحركه هائلاً في
محاولة لتسليّة العجوز..

ولكن بدلاً من ذلك سحب العجوز واحتضنه بقوة وهو يكرر:

- أسف.. أسف.. أسف.. أسف بني.

ارتفعت كفاه الصغيرتان لتمسح الدموع من وجهه وتلك هي
المواساة الأولى التي يتلقاها منذ وفاة ولده أمجد..

وبسبب وجه فارس الملاصق له تيقن من شكه فملا مح وجهه
شبيهة بولده أمجد.. بل واسم « فارس » الذي كان أمجد دائماً ما
يكرر أنه سيُسمي ولده الأول به زاد من تيقن المسن من أنه طفل
أمجد.. أنه حفيده.. وأنهم قد أخفوا الأمر عليه..

فزاد من احتضانه..

« فارس. »

انتفض الاثنان على صوت مايا التي أسرعت تنتشل الطفل من
حضن المسن وقد علا وجهها التوتر والقلق واعتصبرته بين
ذراعيها وكادت تسحقه على صدرها وكأنها تخشى أن يختطفه
من أمامها..

بكي فارس تألماً من شدها عليه فيما مسح المسن وجهه قبل
أن يغادر وهو يحمل سرهم في أعماقه و..)

عطسة اخترقت سيكون المكان وانتشلت فارس من حضن
ذكرياته ليحك أنفه بظهر كفه فيما مسحت كفه الأخرى على مسند
المقعد الهزاز..

ملأت الحيرة وجهه وإلى الآن لم يعلم لم يكن المسن ضاماً
له بشدة؟!!

وما سبب فزع أخته مايا وهي تتشل جسده من بين ذراعيه
لتضمه إليها وقد ملأ وجهها خوف هو الأول والأخير والذي لم
ير له مثيلاً على وجهها بعد ذلك؟!!

تنهد بانزعاج بعد تحرره من ذكره ليعبس بشدة فقد مرت
الساعات الثلاث التي وعد نادر بالصبر فيها ولكنه لم يأت إلى
الآن..

تأمل بصمت الحجرة التي يقطنها بعد خروجه من المستشفى
كانت مختلفة تماماً عن حجرته بالمستشفى.. وعلى الرغم من
جمالها إلا أنه يشعر الآن بالوحدة فيها دون نادر..
كما أن أحمد لم يُبادل الكلام بعد أن دفعه برفق إليها وأغلق
الباب خلفه ليُبعد عندها فارس قناع العينين والسماعة ليجد نفسه
وحيداً كالسابق تماماً..

تلك المشاعر السلبية أخذت منه دقائق فقط قبل أن يعود
ليتعامل مع كل ما حوله وكأنه شيء جديد عليه بالرغم من أنه
عاش منذ تسع سنوات رفاهية فاقت جميع ما يراه..

ولم يكبح نفسه والسرور يعانق قلبه عن رمي جسده مجدداً
فوق المقعد الهزاز وراح يؤرجحه بقدميه المتطاوالتين وضحكة

خفيفة تُفلت من بين شفثيه المزرقتين...
المزرقتين؟! لم؟!... لأنه وقبل نصف ساعة قد فتح ستائر
النافذة وفتح مزلاجها أو كسره بالأصح دون أن يقصد لتهب
الرياح مرتطمة بجسده، وعيناه تجدقان بحماس بالخارج..

ولكن.. سرعان ما أصابته البخية..
تمنى أن يرى أشجاراً.. حدائق.. أناساً.. أسواقاً..
ولكن كل ما رآه مساحة شاسعة على مد بصره لا يوجد بها
طيف بشر واحد ولا حتى مبانٍ..

« لماذا اختار هذا المكان؟! »
عاد يكررها بخيبة وهو يتأرجح على المقعد قبل أن يقفز فجأة
واقفناً وقد شده منظر المكعبات الزجاجية اللامعة التي ملأت
التريا المعلقة بالسقف أعلى سريره..
كانت تلتمع إثر أنوار حجرته القوية..

وافتر ثغر فارس عن ابتسامة متحمسة.. فأخر مرة رآها بقصره
فوق سريره ورغم محاولاته وقفزاته لم يستطع لمسها لقصره
وصغر سنه..

ثوانٍ وكان يعتلي السرير وبمدة واحدة من ذراعه استطاع
لمسها.. هو قد كبر وكبر دون أن يشعر..
ضحك فرحاً ويده تشدها ليقربها من عينيه ليراها جيداً و...

تساقط صف كامل من المكعبات الزجاجية مربوط بشلك خفيف
ليرتطم ببطن السرير...
اتسعت عينا فارس ثواني وهو يتخيل غضب نادر فأنحنى
نحوها ليُعيدّها وبعد محاولات فاشلة داخله اليأس فتركها مخبأة
أسفل غطاءه..
وهل اكتفى بما عبث به؟!
لا.. فذلك اللوح الزجاجي كطاولة والذي استقام على عمود
فاخر من الخشب بدا له غريباً.. وخلال نصف ساعة كان
مفصولاً إلى جوار الأريكتين اللتين ارتمت وساداتهما في أرجاء
الحجرة..
وتلك الزهرية العملاقة رسم عليها بعض الرسومات الأجل
فنتقشها السخيف لم يعجبه وكان خطأهم هم أن وفروا له قلم
التلزين كي يسجل الأرقام بالمفكرة الصغيرة المجاورة للهاتف
والتي قد امتلأت بأكملها بخربشات مهمة وغير مهمة..
والهاتف فقط هو من أخذ من وقته الطويل..
وطوال استخدامه له كان يرفعه فقط فيتلقي صوته رجل
غريب يسأله إن كان بحاجة لشيء فيداخله شيء من الخوف
لصوته غير المألوف فيغلق في وجهه..
وانفرجت شفتا فارس لخاطر مفزع.. ألم يتماثل للشفاء؟!

لماذا إذاً لا يتقبل صوت الرجل؟!
واستمر الأمر لساعة بأكملها محاولاً التيقن من شكوكه فيرفعه
ليسمع صوت الرجل فيبادر لا شعوريّاً بإغلاقه...
قبل أن يُفصل الخط عنه..

ولم يسمع بسبب باب حجرته المغلق جيداً والعازل للصوت
تلك الأصوات المتجاذلة لأحمد وموظف الاستقبال الذي أخبره
أن خدمة الهاتف لن تكون ضمن خدماتهم وأن عليه أن يؤدب
أطفاله...

ومع اختفاء الخط من الهاتف انتبه فارس للساعة المحيطة
بذراعه الأيمن وقد كانت ساعة ضخمة فهي ساعة نادر التي
منحها له قبل تنفيذهم لخطة الهروب..
وقد تجاوز الوقت الآن أربع ساعات وأكثر فانعقد حاجباه
وبدا يداخله القلق ولكن..
هو لم يستكشف بعد دورة المياه..

و اتجه نحوها..
وتنقلت تلك المستحضرات الصابونية بين كفيه واشتم
رائحتها الجميلة وانسكب بعضها على الأرضية و..
انتبه لمجفف الشعر الملاصق للحائط..
اتسعت عيناه عن آخرهما فهو يشابه ما كانت تستخدمه مايا..

بل وكانت الخادمة في بعض الأحيان تجفف شعره به..
توسعت شفتاه بابتسامة جامحة وفتح الصنبور ليبلل خصلات
من شعره إن لم يكن كله وراح يرتب خصلاته ويجففها بالمجفف
للأعلى بطريقة تشابه تسريح نادر لشعره..

علت ضحكاته وهو يحدق بنفسه في المرأة وانتبه أخيراً..
(رؤيته لم تكن مشوشة أبداً..)

إذا فشكه كان خاطئاً بأنه لم يتعاف من المتلازمة..
كما أن وجهه ممتلئ ببعض الشيء مقارنة بآخر مرة رأى نفسه
فيها بالمرأة والتي تصادف ضرب المجرم الأخير له وانفراده به..
بياض وجهه مشرق وعيناه لم تعودا باهتتين وقد صفا بياضهما
بشكل جميل وتوسطهما بؤبؤان أزرقان أشبه بالبحر..
شعره الأسود الكثيف ازداد كثافة وطولاً ووصل لمتصف
رقبته..

خامر قلبه شعور رائع من السعادة وقليل من الخوف..
الخوف لأنه وبعد تلك المرة السعيدة سرعان ما تحطمت
سعادته حين اقتحم المجرم عليه خلوته وأذاقة ألواناً من العذاب
والضرب وأجبره على أن ينظر لجثة أخته والدماء..
ذلك البحر المتوسط لحدقتيه راح يهتز منذراً بسيل من
الدموع..

ترك المجفف.. ودورة المياه.. وكل ما أثار حماسه وفضوله
في الحجرة من أثاث..

ليطرق الباب..

« نادر. »

« أين نادر؟! »

« أريد نادر »

« أريده الآن. »

نعم لن يثق بأنه سيكون بخير في هذا المكان إلا بوجوده معه..

هو يخاف من أن يقتحم المجرم خلوته هذه..

ولا يريد لهذه السعادة أن ترحل كالسابق حين حاول مناداة

نادر لينقذه ولكن لم يكن يعرف وقتها اسمه..

حاول تمالك نفسه وهو يطرق الباب بأدب كي لا يغضب

أحمد ولكن الوقت طال وتجاوز خمس ساعات فأضحت طرقاته

عصبية أكثر وهو ينادي نادر فقد أصبح قلقه الآن اثنين..

من أجل نفسه خوفاً من المجرم..

ومن أجل نادر لتأخره.. فهل هو بخير؟!..

ولكن أحمد لم يجبه..

فنادر قد حذره مسبقاً من الحديث معه فهو لم يختبر بعد ردة

فعله إذا ما التقى بشخص آخر وجهًا لوجه غير نادر..
ولكن فارس لم يفهم سبب تجاهله له، فعاد الحزن ليكسو
ملامحه وهو ينظر لما حوله.. هل هو سجين مجددًا؟!
قرص البرد جسده فسحب قدميه ليرتمي على السرير وكل ما
يخفف عنه خوفه وجود ساعة نادر حول ذراعه..
ليل من الخمول والشعب تسلل لجسده بعد كل ذلك المجهود
الذي بذله بالعبث بما في الحجرة..
ولكن لم يلبث أن رفع كفيه ليغطي شفثيه بعد أن داهمه شعور
مفاجئ بالغثيان لم يفهم له سببًا، بل وضاعت عيناه فجأة وكفه
تنتقل بشبه صدمة لتشد على أسفل كتفه لإحساسه بوخز وألم
بعضلاته.. وتدفقت مياه أنفه بغزارة..
هذه الأعراض هل هي متعلقة بمرضه؟!
شحب وجهه جزعًا وتلك الآلام توهن عضلات جسده
ولكن ألم قلبه كان أشد فنادر قد أخرجه بعد تعافيه.. فهل سيغيده
للمستشفى إذا ما رأى هذه الأعراض الغريبة؟!
فرع عظيم غطى وجهه وتحامل على نفسه ليسحب جانب
الغطاء وراح يمسح به أنفه وقطرات العرق من وجهه.. (سيخفي
الأعراض على نادر وسيتحمل ألمها فهو يفضل الموت على
العودة لذلك المستشفى.)

صراع طويل قضاه مع تلك الأعراض التي تراوحت ما بين
الشدة والخفة قبل أن تُغمض عيناه دون أن يشعر وغرق في النوم
مجهداً منهكاً..

٦ - والنصف صباحاً - ٢٢ سبتمبر -

طرقات خفيفة انتشلت أحمد من عمق شروده واضطرابه
ليسرع نحو باب الصلاة الخارجي الملحوق بالنزل الموجود على
أطراف العاصمة..

فتحه بسرعة ليتنهد براحة لرؤيته نادر بخير والذي دخل بكل
برود وهدوء حاملاً حقيبه على كتفه وبعض الأكياس بكفه.

« هل لا يزال هائجاً؟! »

سأل نادر وعيناه تجوبان الصلاة الصغيرة التي التف على
جدرانها أريكة طويلة زرقاء اختفى خلفها ممر صغير مظلم ضم
بابين متقابلين...

خمن نادر أن أحدهما يضم حجرة فارس فهو من حجزها
إلكترونيًا وبالتحديد خارج حدود العاصمة تحسباً لأي ظرف.

« هل مر الأمر بسلام؟!.. لم يشك بك أحدهم صحيح؟!.. ثم
لماذا أغلقت الخط في وجهي دون أن تُجيب؟! »

سأل أحمد وقد بدا قلقاً للغاية ليجيبه نادر:

- نعم .. نعم .. والله الحمد .. ولوقت طويل لن تساورهم
الشكوك حولي.

عبارته الأخيرة جعلت وجه أحمد يشحب فإذا قد ينتهي بهم
المطاف للشك به، ولم يشعر بنفسه إلا وكفه تمتد لتقبض على
طرف معطف نادر الأيمن صارخاً بعصية:

- أنت .. أنت لم تخبرني بأن هناك مجرمًا يطارده الفتى .. لقد
ظننت الأمر أهون من ذلك .. ولولا إخباره لي عبر رسائل الهاتف
الليلة الماضية لم أكن لأعلم .. نادر أن يطارده مجرم قد قتل أخته
قبل تسع سنوات هذا فظيع.

دفع نادر كفه بعيداً عن معطفه وتمتم محققاً:

- لماذا يصبر الجميع على تجعيد معطفي؟!!

وألقي نظرة ساخطة نحوه قبل أن ينزع المعطف ليعلقه على
مشجب قريب ولكن وجه أحمد هو الآخر لا يُنذر بهدوء قريب ..
فأجاب بملل:

- لأنك ستكون مزعجاً هكذا .. لهذا لم أخبرك.

انعقد حاجبا أحمد أكثر وأكثر وبدأ الهم في وجهه قبل أن
يتحرك ليجلس على الأريكة ناظراً للأسفل فهو للمرة الأولى
يُقحم نفسه بمثل هذه المعضلة ..

ارتكن نادر بكتفه على زاوية الممر وظل معلق النظر به ثواني

الغريب آثار خيرة نادر فامتدت يده لتسحب كفيه بعيداً عن وجهه
ولم يكده يلامسهما حتى شعر بيللهمما. «أنا...»

ارتفع حاجباه وعيناه تنتقلان للنظر لخصيلاته السوداء التي ما
زالت تتقاطر من أطرافها بغض الميأة. «...»

وزفر بتعب لتلك التستريخة والتي أدرك نادر منها أنه قد عبث
بشعره بالمجفف وشكل بعضه للأعلى متجاهلاً خصلاته الجانبية
الأخرى المبتلة والتي جعلت أذنيه تزرقان بروادة. «...»

«ألا يمكنك أن تجلس هادئاً لدقائق دون حقنة مُهدئ؟!»
تذمر بالتعب ثم سحب الغطاء الدافئ ليغطي به جسده بالكامل
حتى رأسه..

«تَبّاً...»

همس غاضباً وعيناه تلتقطان المكعبات الزجاجية الساقطة
إلى جواز السرير والطاولة المحطمة والزهرية المشوهة ومزلاج
النافذة المكسور..

«ستدفع ثمنها جميعاً أنت.»

انتفض أحمد الواقف أمام الباب بسكون - خشية إفاقة فارس
- وهمس معترضاً:

«وما شأنني أنا؟!...»

- لم لم توقفه؟

- لأنك منعتني من الدخول عنده.
- ليس وهو يستنزف أموالني.
- لقد رأيته من ثقب الباب ولكن خشيت أن يكون عنيفاً نحوي.
- بل كنت تستمتع وتحته في نفسك لفعل الأسوأ بي.
- لا تخلق مبررات لسرقة أموالني بعد أن رميت مصروفي بعيداً.
- سحقت.. لن أدفع قرشاً واحداً عن هذه الأضرار وبما أنك أول من قابله الموظف فلن يطالب أحد بالمال غيرك.
- أنت مبتز فظيع.. لم عدت؟!.. ليت ذلك المجرم قتلك.
- تجاهل نادر شتائم الغاضبة وهو يغلق النافذة بقوة وأسدل الستائر عليها كي لا يصاب فارس بالبرد..
- وظل يصارع غضبه ثواني قبل أن يحدق بالنائم متمتماً:
- من حسن الحظ أنه نام وإلا لكانت الخسائر أكبر.
- قالها والتفت ليرى أحمد الذي انحنى في إذعان نحو الطاولة يصلحها في صمت وقد احتقن وجهه ثم انتقل للزهريّة لينظفها في دورة المياه.. فهو بحق بحاجة لكل قرش من أجل دراسته وزواجه..
- تنهد نادر باستياء قبل أن يركل بقدمه المكعبات الزجاجية

أسفل السرير فالنزل يستحق نصيبه من الضرر لمقتنياتهم الزديثة..
كما أنه يصعب على أحمد إصلاحها..

«ألسنت غاضباً من أجل فقدك لوظيفتك؟»

فاجأه سؤال أحمد فالتفت نحوه لثلثقط عيناه نظراته المتعاطفة
والمشفقة وهو يفك عقد سلك الهاتف.. (لهذا إذا استجاب
وسيدفع بدلاً عنه قيمة الأضرار.. لأنه يظنه مفلساً ولم يعد لديه
مصدر دخل جديد للمال..)

«لا..»

رد نادر بصدق ليرتفع حاجباً أحمد دهشة فيما تابع نادر:

- لقد كنتُ سأتركهم سابقاً.. هل نسيت؟

- ولكن الأمر يختلف الآن.. كانوا سيمنحونك وظيفة دائمة
لو أكملت الأشهر الستة.

طيف من الحزن مر على وجه نادر وكأنه للتو انتبه لهذه
الحقيقة التي نسيها أو تناساها وتذكر والديه وتفاخرهما به..

«لا تحزن سأساعدك في البحث عن وظيفة أخرى..»

أخرجته عبارة أحمد المواسية من شروده ليقول ببرود:

- وفر تعاطفك لنفسيك.. فأنا لستُ نادماً.. ولستُ حزينا
على الوظيفة..

- حقاً؟!!

- أنت مستغرب؟!
- بالتأكيد.
- وأنا أيضاً.

اتسعت عينا أحمد فيما هز نادر كتفيه كناية عن عدم تفهمه هو الآخر قبل أن يدير عينيه لينظر لفارس بابتسامة قائلًا:

- بل والأغرب أنا أشعر.. أشعر بالراحة و.. وال.. وال..
- والسعادة؟!!

حلق مذهولاً بأحمد الذي أتمها بدلاً عنه قبل أن يكمل:

- لقد أنقذته.. وفرجت كربته - بتوفيق الله - لهذا تشعر بالسعادة.. ولن يضيع الله أجرك.

ظل الصمت بينهما ثواني وقد ظهر تغير طفيف بوجه نادر وما زالت عيناه معلقتين بالنائم هناك.. قبل أن يدفع فجأة أحمد للخارج بعد أن أنهى التنظيف هامساً بتحذير:

- مهما حدث.. لا تصدر صوتاً فهو نائم.
- حدث؟!.. ما الذي سيحدث؟!!

واصل نادر دفعه للخارج وترك الباب مفتوحاً ليهمس أحمد مستنكراً:

- نادر أغلقه.. ماذا لو رأي وثار وقد يمرض أكثر؟!!

- كلا.. لن يُغلق عليه باب من الآن وصاعداً إلا بيديه هو..
يكفيه سجن تسع سنوات.. وإذا ما ثار فسأتكفل أنا بأمره.

قالها بحزم وهما يسيران في الممر قبل أن يصلا للصالة.. ولم
يكادا يتعدان عن الحجرة حتى شهق أحمد فزعاً وهو يشعر
بكفي نادر المتسللتين للداخل سترته..

« ماذا تفعل؟!.. هل تريد سرقتي؟! »

صرخ أحمد وهو يبعده ولكن نادر لم يتحرك وكفاه تنتقلان
لجيوب بنطاله في جراحة..

وفهم أحمد فجأة عمَّ يبحث ليتجمد مكانه مستسلماً لنادر
الذي راح يعلو وجهه مزيج من الإحباط والغضب وهو يخرج
الجيوب الواحد تلو الآخر قبل أن يرفع عينيه لتصادمه تلك
الابتسامة المستفزة على وجه أحمد وهو يقول:

- هل ظننتني أحمق؟!.. تريد مسح صورتك من هاتفي.. أنا
لست ساذجاً.. فهي موجودة في هاتفي الآخر وجهازي اللوحي
وحاسوبي وسحابة التخزين الإلكترونية.. لذا لن تستفيد شيئاً من
تخطيم هاتفي الذي أخفيته قبل قدومك.

احتقن وجه نادر واشتدت قبضته:

« إن لم تمسحها فسأحطم كل أجهزتك التي ذكرتها الآن. »

- وأقطع مصدر ابتزازي لك؟!.. لا وألف لا.. ثم إنها المرة

توقف فارس في خطواته لسؤال نادر المفاجيء والتفت لينظر
لأحمد الذي كان جسد نادر يحجبه من قبل ..

ضاقت عينا فارس قليلاً حين رآه فهو تواصله الثاني مع شخص
وجهاً لوجه بعد سنين وبعد تقبله التدريجي لنادر، تراجع
خطوتين للخلف وقد شحب وجهه مما جعل نادر يسأله بقلق:

- فارس .. هل أنت بخير؟! .. هل تتصوره ذلك المجرم؟!!

عادت زرقاوتي فارس المرتجفتان خوفاً لتجوبا عيني نادر
المتلهفتين للإجابة وظل صامتا يصارع نفسه ثواني .. فإن لاحظ
تلك الأعراض فقد يعيده للمستشفى فابتسم قائلاً:

- لا .. هو أحمد وقد عرفته.

علبت شفتي نادر ابتسامة مرتاحة أراحت فارس والذي عادت
له بهجته فاندفع نحوه ليعانقه، فيما تراجع نادر للخلف فهو بحق
ليس بحاجة لعناق جديد فعضلاته ما زالت تؤلمه من عناق
المجنونين السابقين ..

ومع تراجعهم وبحقد دفع أحمد من ظهره ليحل محله وتلتقطه
ذراعا فارس الصارخ سعادةً:

- لقد كنتُ قلقاً عليك .. لماذا تأخرت؟! ..

طالت ثرثرته السعيدة وبصعوبة حفظ أحمد توازنه وعقله
يشتم نادر وفتح فارس عينيه ليجد نادر يقف في الخلف بكل برود
وكفاه منشغلان بإخراج حاسوبه من حقيبتة ..

« أسف.. فهو وغد عديم المشاعر.. »
ارتد فارس بجسده للخلف ناظراً بخوف لأحمد وابتلع ريقه
وقبضتاه تشديدان و.. انتبه لنظرات نادر المتفحصة له فاستعاد
هدوءه ليصرخ بشكل مبالغ فيه:

- أحمد.. لقد حفظت الجزأين اللذين وعدتك بحفظهما.

- أنت تمزح.. -

قالها أحمد ذاهلاً ليضحك فارس بارتباك وهتف متفاخراً وهو
يشيح بنظراته بعيداً عنه:
- وقرأت الكتاب كاملاً أيضاً.

- إذا فأنت ستحصل على جائزتين.

- حقاً؟! -

ارتفع حاجباً فارس وبدا سعيداً فيما تابع أحمد:

- أجل كما وعدتك.

- ولكن لا أحد يأخذ جائزة على حفظ كتاب الله فهو من
سيعطيني الجائزة - هذا ما أخبرني به أبي - أما الكتاب فهو ما
اتفقنا عليه.. أليس كذلك؟

تغيرت ملامح أحمد وصدق به غير مصدق وإن أعجبه ما قاله
تماماً ليقول:

- أنت محق.. أسف لقد أخطأت.

وامتدت يده نحوه ليسحبه للجلوس على الأريكة فقد بدا
شاحباً ولكن فاجأه تحرك فارس بغيداً عنه وقد بدا مرتعباً
ليجلس على الأريكة ملاصقاً لنادر الذي وضع خاسوبه على
المنضدة.

« هل كان الأمرُ صعباً؟! »

نطق نادر وهو يرمقه بهدوء ليحرك رأسه بـ « لا » ومع صمت
نادر الطويل المحدث به تابع:

- كان ممتعاً.. ممتعاً جداً.. كانت السيارة تهتز بقوة.. ونزلتُ
على التربة وكان الهواء قوياً وشممت رائحة المطر..

ثم عبس بوجهه « ولكنك تأخرت باللحاق بي.. وقد خشيتُ
أن يؤذيني أو يؤذيكَ. »

- لا تخش شيئاً.. ذلك الوغد لن يقترب منك مجدداً.

قالها بعزم صادق وهو يتسم له براحة فقد نجحت الخطة وها
هو الآن يجلس جواره بخير دون أن يمسه أذى..

ابتسم فارس بدوره وهو يراه يفتح مقطع فيديو على حاسوبه
فيما جلس أحمد إلى جوارهما ليُشاهد ما نادر بصدد عرضه.

وثوانٍ وكان ذلك المقطع المُكبر - والذي حُجب منه وجه
فاضل - يُعرض أمام عيني فارس المتحمستين المستمتعتين
بالجهاز الذي يرغب الآن بسحبه والعبث به..

اتسعت عيناه وارتجف جسده وضناقت أنفاسه لمرأى ياسر
الذي دخل الحجرة لينضم للجميع..

أنزل فارس رأسه هلعاً..

لم يرد رؤيته..

وبان الفزع بكل ملامحه..

« نادر أوقفه. »

همس أحمد قلقاً وهو يرى الفوضى التي أحدثها المقطع في
الفتى ولكن نادر لم يكثر رغبته شعوره بارتجاف جسد فارس
الملاصق له..

« لا تخف... كل شيء على ما يرام.. إنها مجرد صورة. »

لمعت عينا فارس بدموع الخوف ورفع عينيه محرّكاً رأسه
رافضاً المشاهدة..

« أكمله فقط وسترى. »

« لا. »

قالها ونهض محاولاً الهرب فهو منهك كفاية من مصارعته
للأعراض، ورؤيته المجرم الآن زادت من ألمه واضطرابه..
ولكن نادر أمسك ذراعه مانعاً له وسحبته للجلوس مجدداً..
« أعلم أنك خائف.. ولكن يجب أن تواجه خوفك وتكسره. »

اتسعت عينا أحمد عن آخرهما لفهمه سبب خوفه فذلك
الرجل ياسر هو المجرم إذاً.

« لا أريد. »

قالها وتلاحقت أنفاسه ذعراً وهو يحاول تخليص ذراعه من
نادر ولكن نادر لم يُفلته..

« لا أريد أرجو ووك. »

صاح بها وزاد اضطرابه وخوفه وعيناه تتجهان للأسفل..

« لن تُشفى إذا بقيت هكذا تجبن عن رؤيته. »

قالها نادر بحدة فاتسعت شفتا فارس مصدوماً ورفع عينيه
لترتطمأ بعيني نادر الجادتين..

اهتزت الدموع بين أهدابه فرمش بها لتخط على وجنتيه فهو
يريد الشفاء حقاً.. وبتغير مفاجئ أطبق شفثيه وهز رأسه
مستسلماً لنادر..

ذلك الضغط عليه لم يعجب أحمد إطلاقاً ومع ذلك اكتفى
بالصمت فنادر أدرى بطبيعة مرض فارس وما قد يُعجل بتعافيه.

فيما لم يظهر على نادر أي تعاطف أو تأسف وهو يعيد تشغيله
وعيناه ترمقان الملتصق به والذي عاد جسده للارتجاف وبسبب
عيني نادر المركبتين عليه لم يجرؤ مجدداً على الإشاحة بهما
بعيداً عن ياسر..

عاد لذاكرته ذلك الماضي المتمثل في ياسر..

ضربه له لتسع سنوات...
تعذيبه بالصور وإذاؤه الجسدي المستمر لموضع واحد من
جسده..

قتله للـمى وعجزه عن إنقاذها و..
شهق وهو يرى نادر في صورة الفيديو أيضاً يجلس مجاوراً
لياسر..
إذا نادر يعرف المجزم!..

وارتخت ملامحه فجأة والدموع تعلق بعينه المتنقلتين
بصمت مصدوم بين الفيديو ووجه نادر المبتسم..
ذلك العراك والضرب أذهبا فزع فارس بالكامل بل وراح
يقترّب أكثر وأكثر من الشاشة ناظراً..

فيما اهتز جسد أحمد بفزع ووكز نادر بمرفقه كي يغلق ذاك
المشهد العنيف.

« ألم ترحل بعد؟! .. لم نعد بحاجة إليك. »
ألقى بها نادر ليعبس أحمد فيما سمعا ضحكة فارس المفاجئة
ونادر في الفيديو ينهض عن جسد ياسر..

« أنت قوي بالفعل.. لقد تغلبت عليه. »
تمتم بها فارس بصدمة عند انتهاء المقطع ولم يصدق عينيه
وهو يتابع بانفعال:

- يُمكن ضربه.. هو حتى لم يستطع قتالك..
- أوما نادر برأسه موافقاً فيما لا يزال فارس غارقاً بذهوله قبل أن يسأله بلهفة:
- هل مات؟!
- ابتسم نادر لمعالم الراحة والانشراح في وجهه وأجاب:
- لا.. ولكن عليك أن تتوقف عن الخوف منه.. فأنت أيضاً قد اقتصصت لنفسك منه وقد رأيت بنفسك ذراعه المصنابة بسببك.
- ألم تخف منه أبداً؟!
- سأله ندم عن إعجاب وتعجب في آن واحد
- لا..
- أنا كنتُ خائفاً عندما ضربته.
- وأنا كنتُ غاضباً فقط لأنه خدعني واذاك.
- ذراعه التي مزقت جسد أختي لقد حطمتها بقوة.
- صاح بها بفرحة وانبهار شديدين.
- هل تشعر بتحسن الآن؟!
- سأله نادر وهو يطبق الحاسوب ليتسم فارس مجيئاً بصدق وامتنان:

- نعم.. نعم..

كررها كثيراً وهو يومئ برأسه وعادت الدموع لتعانق عينيه..
من أين خرج له هذا الطبيب الذي جعل حياته تُشرق أكثر
وأكثر؟!!

افتر ثغره عن ابتسامة محبة كبيرة ورفع قبضته ليمسح وجهه
قبل أن يلحظ جهازاً مستقراً أمام الأريكة..
« تلفازاً!!!!!! »

صرخ سعادةً وهو ينهض نحوه ليتفحصه فيما شحب وجهه
حمد خشية تعطيله له وتحمله تكلفة إصلاحه فأصابع فارس
راحت تدق كل أزراره تتالياً..

قفز أحمد نحوه ومد له بالريموت: « يمكنك استخدام هذا.. »
أدار فارس بصره نحوه وتأمله ثوانيً ليهيمن شعادةً وقد زال
خوفه:

- أنت هو أحمد حقاً.. الذي عالجت نادر.. والاه أنت طويل
أيضاً ولكنك لست أطول من نادر..
- نعم.. نعم.. خذه وتوقف عن ضغط الأزرار بقوة فقد يسقط
التلفاز.

قالها بتوتر فيما انعقد حاجبا نادر بصمته وهو يتأمل فارس
مستغرباً عبارته قبل أن يراه يسحب الريموت بكل أريحية من

أحمد وقفز ليتوسط الاثنين وراح يقلب القنوات..
سحب نادر كوب القهوة المثلجة التي أحضرها له وناولها إياه
قائلاً:

- إنه بنكهة الشوكولا التي تحبها.
سحب فارس الكوب بسعادة وقربه لشفتيه ونادر يراقبه
بصمت ولم يكذ يتذوقه حتى ظهر امتعاض خفيف بوجهه ثم
وضعه على المنضدة بصمت دون أن يكمله..

«وأنا لم لم تحضر لي واحداً؟!»
بطرف شفتيه همس بها أحمد محققاً ليهمس نادر بدوره:
- لستُ مسئولاً عنك..

- فقط امتناناً لي لأنني شهدتُ في المستشفى بوجود فارس
فيه ثم ارتباطي به حتى عودتك الآن أيها الوغد..
- أنت من أشركت نفسك وقد كنت العضو غير المرغوب فيه
بالخطة.. ثم يكفيك شرفاً أن ائتمنتك عليه من بين الجميع.
ارتخت ملامح أحمد وبدا غير مصدق فنادر يثق به إذاً..
«من هؤلاء؟!»

صرخ فارس مفزعاً الاثنين ليعقد نادر حاجبيه ويُحدق
بالشاشة التي حملت صورة لإنمي قديم ما زال مستمراً بالعرض
فقال مستنكراً:

- هؤلاء... إنهم طاقمه.
- ولكن حين كُنْتُ أشاهده كان هذا القائد ليس لديه طاقم
سوى من خمسة أعضاء.
- أنت تمزح.
انقلب ذلك البرود في نادر لحماس وهو يكلمه وكأن ما
يتحدثان عنه جدي بل و..
- ما هو آخر حدث شاهدته فيه؟!
- حين غلب الرجل الجشع.
- تبًا.. لقد فاتك الكثير.. وذلك المجرم الذي تسبب بحبسك
يستحق القتل لهذا فقط.
ثم رفع سبابته متحدثًا باندفاع:
- أبوه قُتل.. وانضم لفريقه اثنان آخران واختطفوا طبًاخ..
أسهب في حديثه فيما حزن فارس لسماعه موت والد القائد
فيما ارتسم الغباء بكل أشكاله على وجه أحمد وهو ينظر لنادر
المنسجم معه فقبل قليل كان قاسيًا للغاية بإجباره على مشاهدة
ذلك المقطع والآن يشاركه اهتماماته..
والتفت نادر نحوه ليرى نظراته المستفزة الساخرة ليمر
وجهه..

« أنت طبيب بشري؟! »

صرخ فارس فجأة موجهًا حديثه لأحمد ليجيبه رغم استنكاره

كلمته الأخيرة:

- نعم.

- هل هو صعب؟! .. ما هو تخصصك؟! .. أنا أريد أن أصبح طبيباً مثلك.

- لا .. الأمر يعتمد على مدى اجتهادك.

ظل فارس يتحدث معه فيما عاد نادر يراقبه بصمت قبل أن يستدير فارس بجسده كله نحو أحمد وانبه نادر لظهر قميصه الغارق تماماً..

اشتدت ملامح نادر ونهض نحوه مقاطعاً للاثنين ليلمس أسفل عنق فارس من الخلف مفاجئاً له .. امتلأت أصابع كفه بقطرات العرق المتقاطرة منه..

تفجر خوف فظيع في عيني فارس وهو يلتفت نحوه فيما دقق نادر النظر بأنفه السائلة مياهه وعينيه الواهنتين الذابلتين ثم ارتفع كف نادر ليضغط أسفل كتف فارس ليتقلص وجهه ألماً..

« أنت لست بخير؟! »

قالها نادر بقلق ليحرك فارس رأسه صارخاً بوجل:

- لا .. لا .. أنا بخير.

- توقف عن الكذب.

قالها غاضباً ويده تمتد نحوه ليوقفه فهو بحاجة للراحة

وشرب دوائه، ولكن وقبل أن يلمسه كان قد نهض فارس وابتعد عنه حتى التصق ظهره بالحائط خلفه صارخاً باضطراب:

- أنا لا أكذب.. أنا بخير.

أشار نادر بحزم لأحمد بأن يخرج من الحجرة قائلاً بحدة:

- أنت حتى لم تتقبل وجوده وبقيت تتجنب النظر نحوه ولولا المقطع الذي رأيته لياسر لم تكن لتثق أنه ليس المجرم بل وتغير تعاملك معه بالكامل.

أحمد نفسه لاحظ ذلك ولكن لم يعرف السبب إلا الآن.. فيما بدا فارس على وشك البكاء بانهيار وهو يرى خطوات نادر المقتربة فصرخ:

- لا.. لا.. أنا بخير.. فقط لم أتم.

تحرك أحمد ليغادر ولكن ارتفعت فجأة كف فارس ليتشبث بطرف سترته مستغيثاً به من نادر الذي إذا ما قال أمراً يستحيل تغييره:

- أنا أراك.. أقسم أنا أراك جيداً الآن ولا أشعر بسوء.. لقد كنت خائفاً فقط أنني لو نظرت إليك قد أظنك المجرم.. أقسم أنني أثق الآن أنك أحمد ولا أفكر بشيء آخر.. لا تذهب أرجووك..

وانهار باكياً وهو يرفض إفلاته ولم يُبعده أحمد وإن نظر نظرة مستعطفة لنادر أن يتهاون معه..

فزعه وبكاؤه المبالغ فيه وهروبه منه أقلقته نادر الذي لانت
ملامحه فجأة واقترب منه ليقول:

- اهدأ.. اهدأ.. إنه مجرد دواء سيتناوله وستعود أفضل من

السابق..

«لا.. لا.. لا أريد العودة للمستشفى..»

صرخ بها باكياً وانهار على ركبتيه كارهاً لنفسه لأنه كُشف،
وشفتاه تنطقان مزلزلتين الاثنتين:

- أرجو و و و كما.. أرجو و و كما.. سأكون بخير ولكن لا تُعيداني
إليه.. سأفعل أي شيء تريده.

خالج الحزن قلب أحمد فيما اقترب نادر منه ليربت على كتفيه
قائلاً:

- إذا هذا ما يقلقك.. هل أنت أحمق؟!.. هل تظن أنني
أخرجتك منه لأعيدك إليه مجدداً؟!

رفع فارس غيئه المستعظمتين الغارقتين نحوه ليقول نادر
برفق:

- فقط ستأخذ دواءك اليوم هنا وليس في المستشفى..
فالأعراض الانسحابية للدواء من جسدك قد ظهرت وهي ما
سببت ارتباكك وتزعزع أفكارك وإذا لم نجعل الدواء يخرج
بالتدريج من جسدك فقد تتكس.

- إذا لن تعيدني للمستشفى؟

- أبداً..

قالها نادر صادقاً وتأنك الزرقاوان ما زالتا تلفظان دموعهما خارجاً..

هذه الحياة الجديدة التي يعيشها فارس الآن رآها نادر في عينيه المهترتين الجزعتين واللتين نباتاه بأنه غير مصدق لها وكأنه يعيش حلمًا جميلًا لا يريد الإفاقة منه ويخشى فقدانه.. حتى ولو على حساب استنجاهه من نادر بأحمد زغم تعلقه المجنون به..

- هل تريد الالتقاء بأختك مايا؟! ..

جفت الدموع بعيني فارس وبدأت اللفظة بعينه المتسعتين ولكن سرعان ما قال نادر:

- هل تريد أن تلتقي بها وأنت ما زلت تعاني مع أعراض المرض؟! .. ألا تريد أن يخف عنك قليلاً كي لا تشعر بالسوء نحوها؟.

كلماته المنطقية جعلت فارس يهدأ ويومئ برأسه بـ «نعم».

- إذا حقيقة تعافيك البسيط الآن قد تتلاشى في أي لحظة.. وكما تعلم فإن مرضك صعب الشفاء وقد تضطر لاستخدام الدواء لأكثر من سبع سنوات وقد يكون مدى الحياة وذلك كله يعتمد على تجاوبك وسماعك للنصائح.

- ولكن إن تناولته الآن فسأنام لثلاث عشرة ساعة.

وجال ببصره فيما حوله بإحباط فهو لم يشبع بعد من
استكشاف ما حوله..

- وحين تُفيق سيكون لك يومان كاملان للعبث، ثم في هذه
الليلة حين تُفيق سترجل وسنمر بأماكن كثيرة ومنها السوق فقد
تركنا ملابسك في المستشفى وأنت..

وصمت نادر محققاً وهو يُحدق بملابس فارس المبتلة
بعرقه.. هو بحاجة لاستبدالها بشكل عاجل..
والتفت لأحمد المتصلب والذي قال بانفعال:

- ماذا؟!.. ليس لدي سوى ما أرتديه.. ثم يكفي أيها الوغد
الأضرار التي..

وصمت ليعلو عينيه خبث مفاجئ وهو يلتفت لفارس قائلاً
بإلف:

- فارس تعال واختر لك من هذه الحقيبة ما يناسبك وفي الغد
سيشتري لك نادر ملابس جديدة!

لم يكن قد أتم حديثه حين قفز فارس في طاعة عمياء إلى حقيبة
نادر فملأه بالحقبة تعجبه وتروقه كثيراً..

فيما استشاط نادر غضباً وكان سيتجه إلى أحمد الذي فر
هابياً ولكن عليه اللحاق بفارس قبل أن يعيث فيضاداً بملابسه

- التاسعة مساءً -

مرت نصف ساعة فقط منذ إفاقة فارس وقد تناول طعامه كاملاً برفقة نادر الذي شاركه النوم أيضاً في الحجرة خشية عبثه بأي شيء..

ولكن عيني نادر المحتقتين لم تغادرا ذلك القميص الأصفر الذي غرق نصف فارس العلوي فيه وهو يدفع كُمَّيه الفضفاضين للأعلى كي لا يتسخا بالطعام وراح يلف الشال جيداً حول عنقه أما البنطال فلولا حزامه المثبت له لم يكن ليسهل عليه ارتداؤه.. (لماذا يختار دوماً أكثر ما يعجبني؟!... ويسلبه مني تتاليا!!) همست بها نفس نادر وهو يذكر (قناع الغينين.. أمواله.. ووظيفته المسلوقة).. ولولا تلك الضجة المخرجة التي صنعها فارس للحصول على ملابسه هذه لم يكن ليعطيها له..

« أنا مستعد للخروج. »

قالها فارس بحماس بعد إنهائه لطعامه فوقف نادر وحمل الحقيبة فيما أسرع فارس ليحمل الأكياس مساعداً له وقد زينت شفتيه ابتسامة رائعة..

وخلال دقائق كانا يتزلان السلم ليبدأ فارس رحلته الخارجية الأولى..

جابت عيناه ما حوله بفضول وهو يمشي ملاصقاً لنادر ويبدو
أن فترة العلاج قد أثرت فيه كثيراً فلم يفرع من موظف الاستقبال
ولا من الضيوف الجدد للنزل..

وتجاوزا المخرج ليُشرق وجه فارس وتتسع عيناه لمرأى
السماء المظلمة التي زينتها النجوم..

وكاد يفضح نادر بصيحاته السعيدة وهو يرفع رأسه للأعلى
محدثاً بها فهي المرة الأولى منذُ زمن طويل لا يكون سقفه
غيرها...

وتوسعت شفاته وهو يتلفت كالمجنون محدقاً بهذا وذاك
وخطا عدة خطوات بعيداً عن نادر الذي علت شفتيه ابتسامة
خفيفة..

« هل أنت جاد حقاً برحيلك إلي قريتنا؟! »

انتفض نادر بفرع من صوت أحمد الذي وقف خلفه فجأة
مصرحاً بقلق وأنفاس لاهثة:

- لقد أخبرتني ريم أنك اشتريت منزلكم القديم وقد نقلت
والديك إليه بناءً على طلبك وأنت خلال يومين ستلحق بهما..
- لهذا عدت مسرعاً إلى هنا بعد هربك.

- نعم.. هل فقدت عقلك؟!.. منزلكم القديم إلى جوار
الأسرة التي حاولت قتل ولدهم ولذا لن يتركوك بحالك.. كما أن

فارس لن يكون بخير في وجودهم.
- لقد فسخت خطوبتك بريم فلم ما زلتما تثرثران معاً
حولي؟!!

- لا تُغير الموضوع.. لم يكن من ضمن خطتك أخذ الفتى
وعودتك للقرية فلم غيرت رأيك فجأة؟!
صمت غلف وجه نادر واكتفى بمراقبة فارس الذي مَيَّز سيارة
نادر من بين السيارات..

« نادر.. ما الذي تخفيه علي؟! »

« لا شأن لك: »

بكل جفاء نطقها نادر مفاجئاً أحمد واتجه بخطواته للسيارة..
وفتح حقيبتها الخلفية ليرمي داخلها بالأكياس وحقيبة ملابسه..
« نادر.. أليس ذلك الرجل في مقطع الفيديو رفيقك في
مناوبتك؟! »

(لم يتغير الحديث فجأة؟!).. حذق به نادر مستغرباً ليتابع
أحمد:

- لما يقرب ستة أشهر رافقته؟!.. لقد رأيتك تضربه بكل برود
وكأن ليس بينكما صداقة أو عشرة..
- هو ليس صديقي.. وهي أقل من ستة أشهر.. ثم لو مررت
بما مررتُ به في السجن لم يكن ليعد ذلك شيئاً عندك.. فرفيق

زنزانتى لسنة بأكملها الخائن لى أنا ورفاقى كُنتُ شريكاً فى مؤامرة قتله بعد خيانتة لذا فى أسر ذاك لا شىء عنده ولهذا لم أشعر بأى ندم بل وما حدث لا يُعدُّ شيئاً هو مجرد محطة ومررتُ بها.

- ولهذا أنا قلق.. ماذا لو استفزك أولئك الأشخاص فى القرية بعد أن تسببت بإعاقة ولدھم؟! هل ستستطيع التماسك؟!!

- هذه مشكلتى ولا شأن لك.

قالها نادر غاضباً فهو أصبح مزعجاً بحق.

- ماذا لو سألك عن الفتى بماذا ستجيبهم؟!!

- إن كُنتَ قلقاً بهذا الشأن فقد زورتُ له هوية ونسبته إلى عمى المتوفى منذُ عشر سنوات والذي عاش هنا بالعاصمة.. ولذا لو سأل أحد عنه فسأخبره بأنه ابن عمى.

ما قاله أورث أحمد ارتياحاً ولكن كونه زور له هوية باسم عمه هذا يدل على أن نادر كان يخفى مسبقاً أنه عبأء لقرية وبرفقته فارس.

- نادر ماذا تخفى على؟!!

قالها مستعطفاً هذه المرة وقد تغير وجهه ليعقد نادر حاجبيه فقد بدا قلقه عليه واضحاً وصريحاً على عكس السابق.

- لا شىء حقاً.. فحارس فاضل قال إنه لن يعلن عن فارس ليومين وهى فرصتى لتزريه من العاصمة قبل الإبلاغ عنه وإن

كُنْتُ أَظُن أَنَّهُمْ لَنْ يَجْرُؤُوا عَلَى فَعْلِهَا.. كَمَا أَنَّ غِيَابِي عَنْ وَالِدِي
قَدْ أَثَّرَ بِهِمَا قَلِيلًا لَذا أَرَدْتُ مُرَافَقَتَهُمَا.. وَفَارِسَ بِحَاجَةِ لِلْعِيشِ
وَسَطِ أَنْاسٍ وَأُمِّي وَأَبِي لَنْ يَسْتَأْذِنَا مِنْهُ كَمَا وَأَنْهُمَا لَنْ يَضَايِقَاهُ إِلَى
حِينَ تَرْتِيبِ مَوْعِدِ لِلْقَائِي بِشَقِيقَتِهِ..

- حَقًّا؟!

- نَعَمْ.

قَالَهَا نَادِرٌ وَرَكَزَ بَصَرَهُ فِيهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَعِدًّا لِسُؤَالِ آخَرٍ..
وَتَسَاقَطَ رِذَاذُ مَفَاجِئٍ مِنَ الْمَطَرِ لِيَرْفَعَ الْاِثْنَانِ رُؤُوسَهُمَا
لِلْأَعْلَى قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَا صِيَاخَ فَارِسَ بِسَعَادَةٍ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنَ السَّيَّارَةِ
لِيَمْدَ ذِرَاعِيهِ وَيَدُورَ حَوْلَ نَفْسِهِ وَالرِّذَاذُ يَرْتَطِمُ بِجَسَدِهِ..
عَلَتْ شَفَتِي نَادِرَ ابْتِسَامَةٍ مُبْتَسِرَةٍ وَهُوَ يَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ لِيَمْسِكَ
ذِرَاعَهُ ثُمَّ فَكَّ طَيَّاتَ كَمَمِهِ الْمَلَاصِقَ لِمِرْفَقِهِ لِتُغْطِيَ ذِرَاعَهُ كَامِلًا
قَائِلًا:

- تَوَقَّفْ عَنِ التَّصَرُّفِ كَالْجَانِحِينَ.. وَالْبَرْدُ شَدِيدٌ.

لَمْ يَمْنَعْهُ فَارِسٌ وَهُوَ يُرْخِي الْأُخْرَى لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْتَبِهَ نَادِرٌ فَجَاءَتْ
لِدَاخِلِ سَيَّارَتِهِ الْفَوْضَوِيُّ وَدَرَجَةُ الْمِفْتَوحِ وَقَدْ تَنَاقَرَتْ مِنْهُ
الْأَوْرَاقُ وَ.. ضَرْبَةُ تَلْقَافِهَا فَارِسٌ عَلَى رَأْسِهِ وَنَادِرٌ يَصْرُخُ:

- لَمْ لَا تَكْفُ عَنِ الْعِبَثِ بِأَغْرَاضِي؟!..

« هَلْ سَيَنْسَجِمَانِ حَقًّا؟! »

تمتم بها أحمد قلقاً ولكن فارس لم يغضب من نادر بل راح
يضحك وهو يفتح باب السيارة ويقذف بنفسه داخلها ليرتب تلك
الفوضى ويحق هو الشخص الأول الذي استطاع اقتحام
خصوصية نادر ومشاركته أغراضه وملابسه بل ونادر قدمه على
نفسه وفقد وظيفته بسببه!..

وقف نادر إلى جوار باب السائق وتردد ثواني قبل أن ينظر
لأحمد قائلاً:

- انتبه لنفسك جيداً ولقد أرسلت مقطع الفيديو لهاتفك
ليكون وسيلة ضغط عليهم إذا ما اهتمدوا إليك فهددهم فقط بنشره
وإن كنت أظن أنهم لن يكثر ثوالك.. وخلال شهر سأعود إن شاء
الله للعاصمة.

- لا تقلق.. لم يبق سوى القليل على إنهاء تطبيقي العملي.

- من هو القلق عليك؟!

قالها بحدة وهو يقذف بجسده خلف المقود فيما تتمم أحمد
بأشد حالاته قلقاً:

- كُن بخير.. كُن بخير أرجوك.

لم يكن قد أنهى عبارته حين ارتفع رنين هاتفه ليلتقطه وقد
كانت ريم المتصلة.. فأجاب سريعاً ليتلقى صوتها العصبي:

- هل منعتك من العودة للقرية؟!

- هل أنت غبية!! ومُنذ متى كان نادر يسمع رأي أحد؟!

- لقد علمتُ ما يخفيه؟!

- حقاً؟!

- نعم.. والده يختصر ولن يُكمل شهراً واحداً.

- يا إلهي!

- نعم.. لهذا اشترى منزل والديه ليحقق أمنية والده قبل وفاته.

متجاهلاً تلك الأسرة الحاكمة عليه.. ولقد أخبرني طبيب والدته أنه

اتصل بنادر قبل أسبوع وأخبره بذلك.

اشتدت ملافح أحمد وتضاعف قلقه وقال:

- لن تصدقي!!.. وجهه لا يظهر تعبير ولو طفيف عما يعاينه.

إنه يُخفي كل شيء في أعماقه ويقاسيه وحده كعادته سابقاً ولكني

متيقن أنه لن يحتمل كثيراً فحبه لوالديه يفوق حبه لكل شيء آخر

وهو بحاجة لمن يقف إلى جواره.

- إذا تعال للقرية.

- هل أنت ساذجة؟! هل نسيت والدينا؟!.. بالكاد فسحنا

خطوبتنا التي لا معنى لها ولكنهم لن يتركونا بحالنا.. كما أن لدي

تطبيقاً عملياً ودراسة وقد لا أفرغ إلا بعد ثلاثة أسابيع.

- إذا سأقف إلى جواره بنفسي.

- سحقا.. دعيه وشأنه.. وكأنه لا يعلم أنك تحببته ستكونين

ضغطاً أسوأ عليه.

- وغد حقير.. بدلاً من الربط بيننا أطعت والديك جنباً وجئت
لخطبتي.

- وكأن ما فعلناه أضاع عليك فرصة زواجك به.. توقفي فقط
عن التنجس والدلال أمامه فهذا أكثر ما يكرهه.. ومن الجيد أنه لا
يزال يعاملك جيداً من أجل عنايتك بوالديه أثناء سجنه.
- لهذا أكرهك.

أغلقت الخط في وجهه ليعبس وبحق كلاهما سعيدان لفسخ
الخطوبة وأدار أحمد بصره لسيارة نادر المتحركة..
وقد عاوده القلق فنادر بحاجة ماسة لمن يعتني به الآن.. بل
والأشد حال وفاة والده هو بحاجة لمن يساعده على تفريغ بعض
ألمه وحزنه بدل كتمانها داخله.. ولكن من قد يكون ذلك
الشخص؟!!

وفي داخل السيارة ارتفع صوت ارتطام معدني حزام الأمان
بعضهما ببعض وفارس يحاول ربطه قبل أن يسحبه نادر منه
ويربطه جيداً وفارس محقق به بحق فالمرّة القادمة هو من
سيربطه لنفسه..

« أنت مشاكس فظيع. »

قالها نادر غاضباً والمسند الفاصل بينهما قد فُتح درجه

وتناثرت سجائر نادر القديمة منه..

- هل هو أحمد؟!..

حرك نادر السيارة سائلاً: « ماذا تعني؟! »

- الذي يدخن؟!.. فلقد رميتُ بكل العلب الممتلئة في

الخارج.

شحب وجه نادر وأوقف السيارة لينظر للدرج الآخر والذي

كان خالياً تماماً..

استحالت عيناه حمماً فيما ضحك فارس مكماً:

- كُنْتُ أعلم أنه ليس أنت.. لا تغضب منه.

تكومت قبضته وتفجر غضب عنيف في وجهه ولكن تلك

الابتسامة البريئة وهو يخرج ذراعه من النافذة لتلقى رذاذ المطر

ويسأل في الوقت ذاته:

- ماذا ستشتري لي من السوق؟!.. أريد قميصاً عليه رسم ذاك

الإنمي.. وأريد حذاء رياضياً فحذاؤك واللاسع للغاية وأريد

هاتفاً لي جديداً و..

وراح يثرثر ويطلب منه وكأنه مسئولٌ عنه بل وكأنه يطلب من

والده ليزفر نادر بحنق ويحرك السيارة متنازلاً عن سجائره المرمية

بالخارج قبل أن يهزه صوت فارس الصارخ:

- هناك كشك قهوة.. أريد قهوة مثلجة بالشوكولا فالتى

بالبارحة لم أستطع شربها.

- حسناً.

قالها نادر تلقائياً وهو ينظر له مستغرباً ففارس لم يسأله إلى أين هو راحل به؟!!

لم يناقشه؟!!

ولم يظهر أي اعتراض؟!!

ثقتة العمياء به تدهشه ووجد نفسه يسأله:

- هل سافرت سابقاً في السيارة؟!!

عاد فارس بنظره نحوه ليجيب متحمساً:

- لا.. كنتُ في قصر والديّ فقط أخرج للبحيرة القريبة أو مدينة الألعاب والمدرسة حتى الطائرة لم أركبها.

ثم استرخى في مقعده أكثر ناظراً لنادر الذي قال بتعب:

- أشعر وكأن لهم سبباً مقنعاً لعدم فعلهم ذاك.

اكتفى فارس بابتسامة نقية لطيفة دون أن يفهم مقصده..

فبحق إضافة لمرضه الصعب هو مشاكس وفوضوي ونادر الآن مضطر ليكون رفيقه وحده وطيبه أيضاً لما يقرب الشهر فهل سيكون قادراً على احتماله مع كل ما ينتظره في قريته؟!..

« خذ. »

انتبه نادر من شروده على صوت فارس وهو يمدُّ له بكيس

ممتلئ ببذور دوار الشمس فارتخت ملامحه وتناول منه ليبدأ
بقضمها فهو يحبها وستساعده في قطع الطريق ..
لكن ..

«من أين حصلت عليها؟!»

هتف نادر فجأة مستغرباً مستنكراً ليتسم فارس وهو يقضم
واحدة بتلذذ قائلاً:

- لقد طلبتها من طفل في سيارة مجاورة لنا قبل قدومك.

شحب وجه نادر وظل يغالب حرجه من تصرفه ثواني قبل أن
يمر بكشك القهوة متجاوزاً له وهو يقول بحدة:

- لا تطلب شيئاً من أشخاص آخرين حتى ولو أطفالاً.. ولن
تحصل على القهوة الليلة.

بدا الانزعاج على فارس فيما تمتع نادر بحقن:

- ليس وكأني بخيل معك لتطلب من الآخرين.

وعاد يقضم البذور وسط ثرثرة فارس - الحزينة والمعتذرة -
وقد علت شفثيه ابتسامة فهو بحق لا يكف عن إشغاله عما يضايقه
ومفاجأته بتصرفاته الجنونية الطفولية والغريبة.

مُتلازمة فريجولي

هل التقيت بمن سيقرب
عالمك رأساً على عقب؟!..
عذراً..
عقباً على رأس؟!!

مهلاً
أي منهما؟!!

حسناً.. لم لا تقرر أنت؟!.. فلقاء الاثنين
أصبح وشيكاً..
ولتشهد مع الجمهور طقوس اللقاء
الأولى بين (نادر وفارس).

@mnowolita.m

@Mnowolita.M

منال معشي



adabarabic7



services_book



servicesbook1



www.adab-book.com



